القافلة

مجلة ثقافية تصدر
كل شهرين • سبتمبر - أكتوبر 2011



ملف العدد
الحرير

الإنترنت.. عوالم متعددة
النانو.. أناقة وتجميل

5 العدد
المجلد 60

قافلة الأبحاث

تنظِّم مجلة **القافلة** نشاطاً بحثياً غرضه إشراك الباحثين الراغبين، لا سيما طلاب الجامعات وطالباتها، بإجراء أبحاث ميدانية متعمقة في موضوعات تقترحها المجلة أو يقترحها المتقدمون أنفسهم. وتهدف هذه الخطوة إلى كتابة موضوعات تتجاوز المقال العادي، وتحقق الشمول والإحاطة بزوايا الموضوع المطروح كافة، لتقديمها في النهاية على شكل مواد صحافية جادة تتمتع بعناصر الجذب والتشويق الصحفي.

للمشاركة في هذا النشاط البحثي يرجى مراسلة فريق تحرير القافلة على العنوان الإلكتروني التالي:
qresearch@qafilah.com

وذلك من أجل

- الاطلاع على قائمة الأبحاث المقترحة من المجلة.
- معرفة شروط اعتماد البحث وصلاحيته للنشر.
- الاتفاق على الموضوع، وتبادل الرأي حول محتوياته وآفاقه.
- تحديد عدد الكلمات وملحقات البحث.
- تعيين المهلة الزمنية للبحث والاتفاق على موعد التسليم.

بعد اعتماد البحث للنشر من هيئة تحرير المجلة، ستصرف مكافأة الباحث، حسب سلم المكافآت المعتمد لدى المجلة لكتّابها.



صنع الحرير تاريخاً وطريقاً وتجارة وثقافة. وبقي بين النساء لبوس الأناقة التي يعز نظيرها.

القافلة

محطات العدد

سبتمبر - أكتوبر 2011
شوال - ذو القعدة 1432

توزع مجاناً للمشتركين

- العنوان: أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa
الموقع الإلكتروني: www.qafilah.com

- الهواتف: فريق التحرير 00966 1 212 8005 Ext. 1754
00966 2 651 1333 Ext. 3612
00966 3 835 2065 • 00966 3 833 5749
البريد الإلكتروني: alqafilah@sspc.com.sa
الاشتراكات 00966 3 874 6948
فاكس 00966 3 873 3336

أرامكو السعودية
Saudi Aramco

الناشر
شركة الزيت العربية السعودية
(أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
خالد بن عبدالعزيز الفالح

المدير التنفيذي لشؤون أرامكو السعودية
خالد إبراهيم أبوبشيت

مدير عام الشؤون العامة
ناصر عبدالرزاق النفيسي

رئيس التحرير
محمد الدميني

مدير التحرير
محمد أبو المكارم

إعداد وإنتاج

الشركة السعودية للنشر المتخصص
Saudi Specialized Publishing Company

ص ب 65701 الرياض 11566
المملكة العربية السعودية
هاتف: 00966 1 2128005
فاكس: 00966 1 4401367

إحدى شركات

المجموعة السعودية للأبحاث والتسويق
Saudi Research & Marketing Group

طباعة
شركة مطابع التريكي
e-mail: traiki@sahara.com.sa

ردمد ISSN 1319-0547

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير
- ما ينشر في القافلة لا يعبر بالضرورة عن رأيها
- لا يجوز إعادة نشر أي من موضوعات أو صور «القافلة» إلا بإذن خطي من إدارة التحرير
- لا تقبل «القافلة» إلا أصول الموضوعات التي لم يسبق نشرها

رسالة المحرر

1 قضايا

اقتحم الإنترنت عالمنا من دون سابق إنذار، وأصبحت الحاجة إلى وجوده تكاد تماثل حاجتنا إلى الطعام والشراب. لم تعد طرق التواصل الاجتماعي تقتصر على عالم واحد، بل انقسمت إلى عالمين لا تقل واقعية أحدهما عن الآخر. في ملف قضايا، تستكشف هذا الفضاء الواسع لترصد الحقول المشرقة والمظلمة، ولتكشف عن غرائب هذا العالم وخباياه. بين أرقام الإحصائيات وآراء الشباب والباحثين تتسع الرؤية وتتضح ملامح العالم الافتراضي.



ينقلنا باب قول في مقال إلى حضور المرأة القوي في قضايا المجتمع السعودي، وإلى دورها الجوهري في مجالس الشورى. يستعرض هذا المقال جوانب تألق المرأة السعودية في شتى المجالات المحلية والدولية.



2 طاقة واقتصاد

يقف بنا ملف الطاقة والاقتصاد بمحطات مليئة بالأسئلة المدهشة، فكيف تمكنت الصين من أن تمسك بزمام الاقتصاد العالمي وتصبح المحرك الأساسي له؟ وكيف استطاعت تقنية النانو دخول عالم التجميل والأناقة من أوسع أبوابه؟ وما السرُّ وراء نقلة ماليزيا على يد مهاتير محمد من دول العالم الثالث إلى مشارف دول العالم الأول؟



3 علوم وبيئة

تزداد الأرض دفئًا مع مرور السنوات، وملامح شيخوختها أخذت بالظهور. في ملف بيئة وعلوم، يأخذنا باحث في الجيولوجيا في رحلة لفهم حقيقة ما يحدث في باطن الكرة الأرضية. نلتفت بعد ذلك إلى ظاهر الأرض لنرى جوانب فريدة في عالم السيراميك، كما ننتقل إلى جديد عالم الاختراعات وحكايا المبتكرين.

الفاصل المصوّر



بالأبيض والأسود تأخذ المناظر أبعادًا أعمق للجمال، في هذا الفاصل المصور، نفرد مساحة أكبر من اللون وأصغر من البياض، وذلك من خلال لقطات فوتوغرافية للمصور المبدع عماد بو خمسين.

حياتنا اليوم

4

في الحياة اليومية نتناول التجربة ودورها في حياتنا، وذلك من خلال موضوع التجربة وصناعة الإنسان ورصد تجاربه العاطفية إلى حياته العملية.

كما نختم هذا المناخ بموضوع جميل يحمل عنوان «صندوق الذكريات.. أسرار ومقتنيات»، وكيف تخلى عنه الكثير من الناس مقابل التقنية.



الثقافة والأدب

5

كم من راحل بجسده خالد بروحه وحي بأفكاره ، وكم من شخص لم يرض بمحدودية حياته فامتد بعمله إلى حياة الآخرين. تنتقل القافلة بين أعلام التراث ومشاهير الأدباء والفنانين من الأحياء والراحلين. جولة ماتعة وشيقة نرى من خلالها عالمًا نسجته الأقلام المرهفة بحرفية، من عبدالله بن خميس إلى ترانسترومر إلى عوالم عبده خال.





ملف العدد

6

يسدل العدد ستاره على مشهد أخير يتسم بالنعومة والأناقة. تفرش القافلة في ملفها الأخير بساط الحرير لتري القراء دهاليز نادرة في صناعته وحضوره في شاشات السينما ودور النشر، ولتروي كذلك جوانب من علاقة الحرير بدول العالم كفرنسا واليابان والهند وإيران. كم هو مذهل ما فعلته دودة القز الصغيرة في عالم شاسع المدى.

الرحلة معاً

هل يتحمّل عالمنا ملياراته السبعة؟

لعل أفضل مناسبة نعترف فيها، أمام أنفسنا، أن هذه الكرة الأرضية التي نعيش فوقها قد تخطى سكانها حاجز السبعة مليارات نسمة، هي الأعياد، ولنقل المناسبات الاجتماعية إجمالاً!

ففي صبيحة كل عيد، نكتشف في منازل أقاربنا وجيراننا وأصدقائنا دائماً الوجوه الجديدة ذكوراً وإناثاً. وعلينا أن نهرع إلى صاحب المنزل ليعرفنا بتلك الوجوه، رغم أننا سننساها، مرة أخرى، بمجرد خروجنا من منزله.

الزحام البشري لا تجده في المنازل فقط، بل تشهده في الشوارع، في الأسواق، في المدارس، في المطارات، في مواقع الأعمال، وفي كل قنوات التواصل طبيعية كانت أم إلكترونية، وفي خضم كل ذلك تتراجع الخدمات مقابل ذلك الفيض السكاني، فتزداد شكاوي المواطنين، ويتقلص إنجازهم، ويهدر وقتهم، وتضطرب حياتهم.

بين عامي 1999م و2011م، زاد سكان العالم مليار نسمة. العالم بمؤسساته الحكومية والخاصة ومنابره الإعلامية أفرد مساحات لقراءة هذا الحدث. المجلة العريقة «ناشيونال جيوغرافيك» التي تنطق باللغة العربية الآن، خصصت حيزاً في أعدادها هذا العام لدراسة آفاق النمو السكاني الذي يجتاح هذا العالم، وعنها أنقل جملة من حقائق هذا المقال.

هناك خوف مزمن ورثه الإنسان منذ القدم تجاه الزيادة السكانية، وبعض الأديان ربطت تلك الزيادة بنهاية العالم، أما أساس الخوف فهو واحد: الموارد التي تحتضنها الأرض لن تكفي لإطعام الأفواه المتزايدة في العالم. وكان توماس مالتوس، الاقتصادي والقس الإنجليزي، الذي عاش في القرن التاسع عشر، صائباً في كتابه المبكر: «قانون السكان العام» عام 1798م، حين أعلن أن موارد الأرض محدودة وأن الناس يتزايدون بوتيرة أسرع من توفير احتياجهم للغذاء، وتكاد هذه النظرية، رغم ناقديها، أن تكون ركناً ثابتاً في المناظرات العلمية التي تنعقد حول مشاكل النمو السكاني وخصوصًا لدى الأمم النامية. بل إنها تجددت حين أعلن 16 عالماً و202 من الحائزين جائزة نوبل، تحذيراً مماثلاً عام 1992م، ينص على أن البشر والعالم الطبيعي يسيران في اتجاه تصادمي قد يغيِّر عالم الأحياء بصورة لن يعود معها هذا العالم قادراً على حفظ الحياة بالطريقة التي نعرفها.

لقد خلقت وسائل الإعلام صخباً واسعاً قبيل إطلالة المولودة الفلبينية «دانيكا» في أحد مستشفيات مانيلا، وعيّنتها الأمم المتحدة كائناً رمزيًا للرقم الملياري السابع في تعداد سكان العالم، لكننا لا نعرف جميعاً ما إذا كان اجتياز هذا الرقم هو نذير فأل أم شؤم عليه. فالدراسات والتنبؤات تتلاحق إلى حد يتمنى معه المرء أن ينزوي في منزله أو مدينته بعيداً عن كل هذا الصراع الذي يلف البشرية!

المشكلة أن هذه «القنبلة السكانية» التي أصبحت كتاباً جدلياً صدر عام 1968م للباحث في علم بيولوجيا الجماعات السكانية، «بول أرليتش» لن تنفجر إلا في دول العالم النامي، وبينها الدول العربية بالتأكيد. وسواء حدث الانفجار السكاني أو تأجل فإن غياب الخطط الفاعلة هو ما سيفاقم هذه

الأزمة، فالدراسات تشير إلى أن العالم الغربي قد بلغ ذروة نموه السكاني منذ أكثر من قرن، وبعض دوله الاسكندنافية مثلاً تعاني تقلصاً سكانياً واضحاً فيما كندا وأستراليا تضعان حوافز للهجرة واكتساب المواطنة.

والثابت، فعلياً، هو أن الشعوب الآسيوية والأفريقية والأمريكية اللاتينية ستواجه النسبة الأعلى في النمو السكاني المقبل بكل ما يتطلبه من تأمين موارد طبيعية، وخدمات، ومساكن، وفرص عمل، وإقامة مدن صالحة للحياة. وملامح القلق في كوكبنا واضحة، فالمياه الجوفية تنضب، والكتل الجليدية تذوب، وفي كل يوم يقضي قرابة الملياري مواطن يومهم جائعين أو بمستوى معيشي منخفض.

ورغم ما تثيره هذه التحولات من أسئلة فإن أحد التحديات القائمة هو: صعوبة كسر السلوكيات التي يتعودها البشر أو تعديلها، فالمواطن الغربي الذي يستهلك سبعين ضعف ما يستهلكه المواطن البنغلاديشي من الطاقة، أو يحتاج إلى نحو 5.3 طن من الكربون مقابل عُشر طن لأحد السكان الأفارقة، لن يتراجع عن استهلاكه أو أن يتنازل عن جزء من حصته العالية لرفع مستوى الحياة في قرية أفريقية أو هندية، فالحقيقة أن زيادة الاستهلاك تعكس ارتفاعاً في المداخيل، وارتقاء في سلم الرفاهية وتحكماً اقتصادياً فيما ينتجه الآخرون، وإحساساً بالسلطة والهيمنة، وهي عوامل جوهرية لا تشجع أحداً على التنازل عنها، إنها المكتسبات الكونية التي تصنف العالم إلى طبقات بينها: الأول والنامي والفقير، وربما المعدم!

في وسط تلك الصورة القاتمة، لا بد أن نشير إلى نقاط ضوء حقيقية في سماء هذا الطوفان البشري. أولها: تقدم الطب، فبفضل الأبحاث الطبية اكتشفت مئات اللقاحات والعقاقير التي أنقذت الملايين الجائعة والمريضة من حافة الموت، وهناك المنظمات الصحية والإغاثية والإنسانية الدولية التي تعمل بطاقة منتظمة على مكافحة المرض والفقر وتمارس بعض الضغوط على حكومات الدول الغنية لمواجهة المجاعات والكوارث الطبيعية التي أحاطت بدول عديدة، ما رفع المتوسط العمري في دولة كالهند مثلاً من 38 «1952م» إلى 64 اليوم، وهذه أسباب أدت إلى تصاعد مستوى المعيشة وإطالة الأعمار، وأفضت إلى نمو سكاني حتمي، لا في الهند وحدها بل في باقي العالم.

هذا التمدد السكاني المكلف واجهته الصين مثلاً عام 1979م بقانونها الشهير «طفل واحد لكل عائلة» وهو قرار صادم لكل العقائد والإيديولوجيات، وأثار زوبعة من الانتقادات العالمية، لكنه، كما تقول الدراسات السكانية جنَّب الصين الوقوع في كارثة مجاعة عظمى، أما الهند فسيتجاوز سكانها سكان الصين، بحلول 2030م، فلا يعرف ما إذا كانت ستتفادى الكارثة رغم كل جهودها في تنظيم الأسرة وإقامة مخيمات التعقيم والاستثمارات في قطاعي الصحة والتعليم.

هنالك معضلة لم تحل، وهي تلخص المشهد الدرامي لمليارات البشر برمته، وهي المدن العملاقة التي تتناسل مدناً عملاقة أخرى. في هذه المدن تتراكم الحشود البشرية في أحياء أغلبها فقير ومزدحم تنقصه الخدمات والمرافق الأساسية لهذه التجمعات، ورغم أن طفرة المدن الكبرى ذات عمر قصير، أي أنها تراوح بين قرن ونصف القرن، فقد سحبت بساط الحياة من القرى والأرياف والمستوطنات البشرية الصغيرة وكدَّستهم في المدن. وهكذا أصبحت المدينة تهيمن على كل عناصر الحياة المعاصرة: المال، المؤسسات، السلطات، المراكز الحضرية، مواقع العلم والبحث والدراسة، مصهر التحولات وصناعة القيم، صراع الفقر والغنى. إنها المأوى إذًا فيما يتزايد عزل الريف أو استيعاب سكانه.

فهل من سبيل إلى تقليص هذا المد البشري الذي سيزيد ملياري نسمة بحلول منتصف هذا القرن؟

الواقع أنه لا توجد حلول سحرية، فدول العالم ومنظماته وتشريعاته تنظر إلى المستقبل السكاني كنظرتها إلى أي قضية سياسية. إنها أزمة تختلف حولها السياسات، وتتصارع بشأنها المصالح، ولكل تكتل دولي أو إقليمي رؤيته الخاصة لهذه المسألة. الحقيقة أن ملف سكان العالم ضخم وشائك ومكلف. وبما أنه لا يؤرق دول الشمال فإنه سيصبح ملفاً إضافياً ضمن ملفات الجنوب العالقة!

رئيس التحرير

قافلة القرّاء

نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش موضوعات طُرحت في أعداد المجلة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قرَّاء القافلة مدعوون إلى الإسهام في هذا النقاش على أن تكون كلمات المشاركة بين 300 و600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

حول

كيف رعت «القافلة» خطوتي الأولى؟

كنت كاتبة غير منتظمة الكتابة في مجلة القافلة. كما ساهمت بالكتابة في مطبوعات أخرى، ولقد غبت عن الكتابة في مجلة القافلة، لأني بعد انتهائي من إعداد موضوع «الأسبرين»، انصرفت عن الكتابة بفعل ظروف عائلية. منذ فترة وجيزة فقط، وبعد عودتي من السفر، عاودني الحنين والرغبة في الكتابة بمجلة القافلة، فحاولت الاتصال بالمجلة عن طريق البريد الإلكتروني، ولكني وجدت أن الرسائل تعود إلى بريدي الوارد مرة أخرى. وفي الحقيقة، أرسلت رسالتي هذه لكم طارحة فيها هذه التساؤلات، ليس لأني فقط أود المساهمة في الكتابة في مجلة القافلة فحسب، إن كان ذلك ممكناً في الوقت الحالي، بل لأن مجلة القافلة تعني لي الكثير. وسبب ذلك يعود إلى أن بدايتي الفعلية والحقيقية ككاتبة وباحثة- إن صح التعبير- كانت في هذه المجلة، بالرغم من أني كنت أمارس الكتابة قبل ذلك في مجال القصة الموجهة للطفل والمسرح، إلا أني لم أنشر مقالاً أو قصة من قبل في الصحف. لكن بعد كتابتي لموضوع «الأسبرين»، والذي نُشر في مجلة القافلة، وأشرفتم على كتابته، تعلمت منكم ومن ملاحظاتكم حول ما كتبته أموراً كثيرة طالت حتى إخراج المقال وتحريره. لقد استمتعت واستفدت كثيراً بالعمل، حتى بدا الفرق واضحاً في كتاباتي قبل هذا الموضوع وبعده.

لستُ أبالغ ولستُ أجامل إن ذكرت أنني قد لمست فرقاً في تعاملي معكم وفي تعاملي مع أي جهة أخرى في هذا المجال. فمنذ الوهلة الأولى التي سلمتُ فيها «ملف الضحك» لمجلة القافلة عام 2006م، تكونت بيني وبين فريق القافلة علاقة حميمية جميلة للغاية. فلقد كنت أشعر بأنني جزء من هذا الفريق، بل في الأوقات القصيرة التي كنت أنقطع فيها عن التعامل معكم، كنت أفتقد ذلك كثيراً جداً. وإلى الآن لم تنقطع علاقتي بالقافلة وإن كنت انقطعت عن الكتابة فيها، فأنا ما زلتُ أتابعها وأطلع على جديدها وأقرؤها.

ما زلت أذكر مجلة القافلة التي كنت أقتنيها وأطلع عليها وأقرؤها حتى قبل أن تظهر بحلتها الجديدة. عندما أحضر والدي العدد الأول منها بشكله الجديد، في الحقيقة انبهرت ولم أكتف بالاطلاع عليها في المنزل، بل أذكر أنني حملتها معي في حقيبة الجامعة وأخذت أقلب صفحاتها الفخمة وأقرؤها بين المحاضرات حالمة بأن أرى اسمي ذات يوم على إحدى صفحاتها حتى وإن كتب ضمن رسائل القراء. ولا شك في أنني أرسلت رسالة أو أكثر للقافلة في تلك الفترة لعلي أرى اسمي على إحدى صفحاتها، وإن لم يحدث ذلك. لذلك عندما قرأت الإعلان المكتوب فيها بادرت بالمراسلة بالبريد الإلكتروني لأكتب فيها، وكم كانت سعادتي غامرة عندما تلقيتُ خبر نشر «ملف الضحك» فيها. ولا غرو أنني كنت أنتظر وصول ذلك العدد من المجلة لي بفارغ الصبر رغم إرسال نسخة «ملف الضحك» المنشور في المجلة لي عن طريق البريد الإلكتروني قبل وصول المجلة لي.

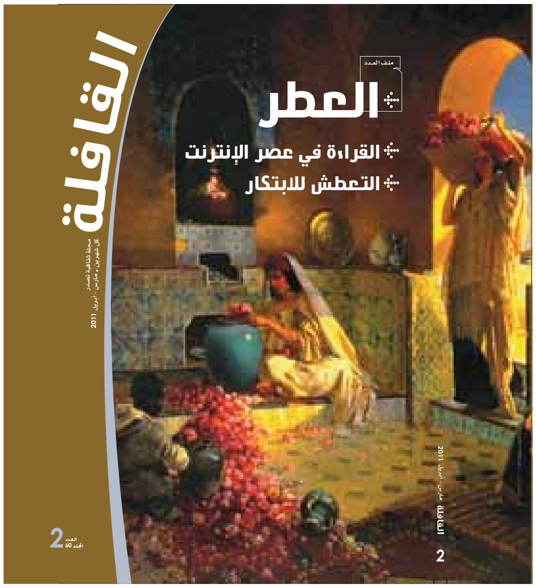
وسررتُ أكثر عندما اتصلتم بي لتخبروني بأنكم ترغبون في التعاون معي، إنه لشرف كبير لي. وعندما علق الأستاذ عمر المضواحي على العدد الذي نشر فيه «ملف الضحك» في مقال له في جريدة الشرق الأوسط حمل عنوان «القافلة تطارد فلول 2006 بالدعوة إلى الضحك بجدية أكبر»، لا أستطيع أن أصف لكم كيف كانت مشاعري، ولكنني تحمست كثيراً للكتابة والسير قدماً في هذا المجال.

أريج عيسى المحفوظ، القطيف



حول

الطيب ومفرداته



طالعت بالقافلة مارس- أبريل 2011م ملف العدد الذي كان عن العطر، ولما لهذا الموضوع من مكانة عند العرب، كانت هذه الكلمات:

في القديم كانت أصول الطيب سبعة: المسك، والعنبر، والكافور، والزعفران، الصندل، والعود، وماء الورد.

والطيب: ما يتطيب به، وقد تطيب بالشيء، وطيَّب ثوبه، وتم حلف المطيبين في الجاهلية، حيث اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة في دار ابن جدعان وجعلوا طيباً في جفنة وغمسوا أيديهم وتحالفوا على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسموا بالمطيبين.

والطيب يُذكر ويؤنث، وقد فرق بعضهم بين ما يذكر منه وما يؤنث من الطيب: المؤنث منه هو طيب النساء من مثل: الخلوق والزعفران وما يلون الثياب. أما المذكر من الطيب فهو: ما لا لون له كالكافور والمسك والعود والعنبر وغيرها مما لا يترك أثراً من لونه.

وهناك مفردات وثيقة الصلة بالعديد من أنواع الطيب منها: العَرف، والعبق، والفتاق: وهو مزج المسك بالعنبر، وربما عبَّروا عن المزج بالمُقطَّب، والتطيب، والتأرج، والتعطر، والتضوع، والفوح، والريح، والنفح، والشميم، والهندي: نسبة إلى مكانه، والأبيض، والوردي، والأشهب إشارة إلى لونه.

ولعود البخور عدة أسماء، ومن أسمائه. الألوة والألنجوج، والقطر، والقنطار، والوجُّ، والوقص، والشذا، والصنفي، والقماري، والهندي.

أما اللبان فاسمه العربي هو «كُندر» وهو مشتق على الأرجح من أصول فارسية عن مصطلح إغريقي في مجال الصيدلة ويعرف بـ Libanos khonclros، أي بخور الحبوب.

وفي أخبار ملوك غسان في الجاهلية ما يدل على تقاليد مغرقة في التنعيم من خلال التفنن في إغراق مجالسهم بالطيب. كما كان التطيب عندهم من دلائل الغنى والنبل والترف، وهو علامة من علامات الفرح، وعدم الحزن، ولهم في الطيب أمثال كثيرة منها: «ثلاثة يحكم بالنبل حتى يدري من هم: رجل رأيته راكباً، أو سمعته يعرب كلامه، أو شممت منه طيباً».

كما ورد في القرآن الكريم خمسون آية، جاءت فيها مادة «طيب» بمعانيها ومجازاتها المختلفة، مثل: الريحان، المسك، وغيرهما.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويستعمله ويوصي باستعماله. ويقال عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه كان لا يرد الطيب، ويقول عليه الصلاة والسلام «إذا أُعطي أحدكم الريحان فلا يرده، فإنه خرج من الجنة» والريحان: كل نبت طيب، والريح من أنواع المشموم.

وكان النبي يحث أهل بيته على الإكثار من الطيب واستعماله، حتى أمر أن يجعل في جهاز ابنته فاطمة الزهراء، رضي الله عنها، عند زواجها بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في ثيابها، ويصرف من مهرها عليه الثلثان، فقال، صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا ثلثين من الطيب وثلثاً من الثياب».

وقد بيَّن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنواعاً من الطيب تحسن بالرجال وأخرى تحسن بالنساء، طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، ويسمى ذكارة الطيب وهو المسك والعنبر والعود والكافور والغالية والذريرة، وقد نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الرجال عن لبس المزعفر والمعصفر.
وعلى هذا، فإن طيب النساء في التراث العربي هو ما ظهر لونه وخفي ريحه مثل الخلوف والزعفران وتغلب عليه الحمرة والصفرة. وكان الصحابة على سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في طلي أجسامهم وشعورهم ولحاهم بالطيب، وكان أحدهم إذا خرج إلى المسجد عرف من طيب ريحه.

وجاءت في كتاب «الأغاني» أخبار عن الطيب وأهله، منها ما أخبره عن مجلس بدا فيه هشام بن عبدالملك مضمخاً بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت يقلبه فتفوح روائحه.

ويذكر المقري صاحب كتاب «نفح الطيب» أن كميات كبيرة من العنبر والعود كانت توقد احتفالاً بليلة ختم القرآن. وروى أن بعض الوزراء كان له طقوسه الدالة على تنعم لا يخلو من مبالغة إذا أراد الاستحمام، فقد كان يرافقه أعداد كبيرة ممن يقومون على خدمته، حين يدخل الحمام ليلاً فيكون بين يديه شمع معمول من العنبر والعود وأنواع الطيب.

ويروى أن الرميكية زوجة المعتمد بن عباد رأت جواري يلعبن بالطين، فصنع لها زوجها «طيناً» من العنبر والمسك وماء الورد، لأنها اشتهت اللعب بالطين.

وفي الأعراس العربية القديمة كانت الدنانير تجعل في جامات فضة والدراهم في جامات الذهب، ونوافح المسك وجماجم العنبر في بواطي زجاج، ويفرق ذلك على الناس وتخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة، وقد توقد شموع العنبر في أتوار من ذهب. كل هذا يدل على مدى حضور أنواع الطيب التي هي علامة للتنعم والرفاهية في التراث العربي والإسلامي.

صلاح عبدالستار محمد الشهاوي- طنطا

• تعقيباً على ملف العطر في العدد2 من المجلد 60

قافلة القرّاء

إلى..
رئيس التحرير

ترحّب القافلة برسائل قرائها وتعقيبهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.

عتب محب

يطيب لي أن أشكركم على جهودكم الطيبة، والشكر موصول لأسرة التحرير على ما تقدمه من ثقافة للإنسان العربي، نظراً لمتابعتي واطلاعي المستمر لأعداد المجلة وما تحويه من مواضيع، وعذراً فإن لي ملاحظة تأخر وصول المجلة، وعلى سبيل المثال فقد وصلني العدد 2 من المجلد 60 وهو عدد مارس وأبريل 2011م بتاريخ 2011/11/1م عليه أرجو مراعاة ذلك قدر الإمكان.

طالب الشقصي

القافلة: شكراً يا أخ طالب على ثنائك، ولعل تأخر العدد كان لعدة أسباب خارجة عن إرادتنا في أن تصل إليك المجلة في وقتها. نعدك أن تصلك القافلة دوماً.

قصة للنشر

تحية لكل القائمين على إثراء مجلتكم الغرّاء التي أضحت منارة للفكر والعلم وال‌أدب. لقد وصلني العدد 2 / المجلد 60 من مجلة القافلة عن شهري مارس - أبريل، فرأيت من واجبي ومن حقكم عليَّ أن أتقدم بوافر التقدير والمحبة على الجهود الحثيثة التي تبذلونها وعلى المصداقية والمثابرة على التواصل الدؤوب مع قراء مجلتكم ومحبيها، وقد لا أستطيع الادعاء بأني أولهم، ولكني من أوائلهم.

لقد حرصت دائماً على متابعة ما تنشرونه من مقالات أدبية وعلمية رائعة، وكنت قد أرسلت لكم العديد من النتاجات القصصية والشعرية، إلا أنه لم يتم نشرها، فشعرت بخيبة أمل يزخرفه عتب المحب لحبيبه والتلميذ لأستاذه.

أرجو منكم الرد على رسالتي هذه لأتمكن من إرسال بعض المواد التي حاز معظمها الجائزة الأولى في المهرجانات والمحافل الأدبية في سورية، ولعل آخرها الجائزة الأولى التي نلت شرف الفوز بها عن قصتي «الراعي الحكيم». وأخيراً وليس آخراً، أرجو إرسال موافقتكم على نشرها في سياق المواضيع الأدبية التي تزخر بها مجلتكم الرائعة، وسأقوم بإرسالها لكم عند طلبكم.

أحمد العلي- سوريا

القافلة: مبارك الجائزة يا أخ أحمد، وعلى الرحب والسعة ما تبعث به من مقالات وقصص صالحة للنشر بما يتوافق مع مجلة القافلة.

عنوان تغيّر

وصلتني مجلة القافلة يوم الإثنين الموافق 1432/12/4هـ التي لها ذكرى خاصة عندي منذ أكثر من أربعة عقود، العدد كان جميلاً، فيه مطر الشعر وروح القوافل البعيدة التي تركض في سهوب العمر والأحلام، فشكراً يا أصدقائي على هذه اللفتة التي لم أكن أنتظرها، لواحد يلوذ بالصمت والعزلة.

آمل التكرم بتعديل عنواني البريدي الموجود لديكم.

سعود الجراد- حائل

القافلة: مرحباً بك يا أستاذ سعود، وشكراً على إطرائك الذي وصلنا، وسنقوم بتغيير عنوانك إلى العنوان الجديد.

أمنيات وحلم

أملي بالله أن يتحقق حلمي وأمنيتي أن أجعل في منزلي مكتبة ضخمة فيها من المعارف العلمية والثقافة العامة، وفيها، أيضاً، أرشيف خاص بمجلتكم، كما أتمنى أن تكون القافلة موجودة دوماً في الأرشيف الخاص بالمكان الذي أعمل به، حيث أرجع لمجلتكم كمصدر مهم. لذا أتمنى أن أحصل على المجلة، وذلك للاستفادة والاطلاع على المعلومات المستقاة من مصادر عربية وأجنبية.

عيسى بن علي العايش- الأحساء

القافلة: شكراً يا أستاذ عيسى على إطرائك للقافلة، كما نود أن تكون مجلة القافلة على أرفف قسم الأرشيف التابع لإدارة المراكز الصحية بالدمام. كما نعدك بأن تصلك نسختك الخاصة من المجلة.

من جامعة الزرقاء

يسرنا إعلامكم بتسلمنا العدد الثالث من المجلد 06 لعام2011م من مجلتكم القيّمة القافلة. وهي هدية كريمة منكم إلى مكتبة جامعة الزرقاء، الأمر الذي يساعد على إثراء مجموعة المكتبة ويوفر للطلبة وأعضاء الهيئتين التدريسية والإدارية فرصة البحث والاطلاع والمعرفة.

د.عوني المنصور- مدير مكتبة جامعة الزرقاء- الأردن

القافلة: نشكر لكم إعلامنا بوصول المجلة، ونتمنى دومًا أن تكون القافلة عند حسن الظن.


إلى الثورة الرقمية سِرْ!

أتى العصر الرقمي وشبكة الإنترنت بتحديات كبرى لصناعة النشر التقليدي غدت تهدِّد ما ألفه الناس من وسائل قراءتهم. جايسون إبستاين* الذي خاض تجربة واسعة في صناعة النشر وعمل في واحدة من أكبر دور نشر للكتب في العالم، راندوم هاوس، يعرض لكتاب «تجار الثقافة: صناعة النشر في القرن الحادي والعشرين» لعالم الاجتماع البريطاني جون ثومبسون.

Merchants of Culture: The Publishing Business in the Twenty-First Century, by John B. Thompson, Polity, 432 pages.

حول

بين الكتاب الورقي والرقمي

لقد استمتعت بقراءة مقالة عن الكتاب الورقي الذي يحمل عنوان «إلى الثورة الرقمية سر»، المنشور في مجلة القافلة العدد٢، مجلد٦٠ مارس- أبريل، وقد وَجدت فيها تحليلاً منطقياً ونظرة واقعية وحكماً متوازناً.

إن تناول هذا الموضوع من خلال المقالات أو حتى من خلال المؤتمرات والندوات لا يعطيه حقه، وذلك لتشعبه وعلاقته بالثقافة المتعددة مثل: الاقتصاد، البيئة، الأمانة العلمية، الحضارة الإنسانية، وحفظ المعلومات وتوثيقها.

ولهذه الأسباب وغيرها لا نتوقع نتائج استئصال الكتاب التقليدي ليحل مكانه الكتاب الإلكتروني، ولكن في ضوء ما يشعر به الإنسان نحو هذين النمطين من الكتب، ومن خلال التجربة، واستفتاء عدد كبير من القراء حول هذا الموضوع، نجد أن أكثر المثقفين يميلون إلى الكتاب الورقي.

وأذكر قبل عدة سنوات استفتت مجلة القافلة قراءها بخصوص تحويل هذه المجلة الورقية إلى مجلة إلكترونية، ومنذ ذلك الحين بدأت أشعر بخوف وقلق على مستقبل الكتاب والمجلات من أن تختفي من صناديق البريد وواجهات المكتبات، وأن تتحول المكتبات الخاصة إلى مطاعم أو حوانيت لبيع المثلجات، وأن تصبح المكتبات الخاصة في الجامعات والمدارس ودور البلديات مجرد مستودعات لحفظ مواد التنظيف. قد تختلف الآراء حول هذا الموضوع باختلاف العصر والجيل، فكثير من الشباب اليوم متحمسون لرؤية كل شيء على حواسيبهم بدءاً بالملابس التي سيشترونها وانتهاءً بشريك حياتهم في المستقبل.

ويطول الحديث عن هذا الموضوع ولكن دعونا نتساءل: هل تقارن الأزهار الصناعية بالأزهار الحقيقية؟ حتى لو كانت الأزهار الصناعية أجمل وأطول عمراً فأين شذاها وعطرها؟

لقد كان الناس في الماضي يتباهون ويفتخرون بما لديهم من كتب في مكتبات منازلهم ويفرحون عندما يصدر عدد جديد من مجلتهم المفضلة أو كتاب جديد لأحد المؤلفين المشهورين، فيسارعون لاقتنائه وقراءته بنهم شديد، فإذا كانت هذه الكتب أو تلك المجلات منشورة على موقع إلكتروني، فكيف يمكنهم تحسسها ولمسها واقتنائها؟ كما أنه من المعروف أن الشعب العربي بشكل عام ليس بقارئ، فهل لديه الصبر للبحث في المواقع الإلكترونية لإيجاد موضوع يهمهم أو التحقق من معلومة تفيدهم؟ مع العلم بأن الدعايات التجارية والصور والأغاني تعترض طريق الوصول إلى الموقع المقصود فتخطف الانتباه وتبدد التركيز وتضيع الهدف المقصود.

هل يكفي أن توثق حضارة الأمم والشعوب وتُحفظ على أقراص مدمجة أو في محركات الحاسوب؟ خصوصاً في ظل ولادة فيروسات عنيدة، وظهور قراصنة محترفين وأعداء متربصين؟ ولما كانت معظم المواقع مملوكة لأشخاص ولا تخضع معلوماتها للمراقبة والتحقق العلمي، فهل تصلح لتكون مرجعاً يعتمد عليه عند كتابة الأبحاث؟ وهل المواضيع المترجمة التي ترد فيها تراعي دقة الترجمة وعمقها؟ هل يستفيد الطلاب من تحضير الأبحاث المطلوبة منهم إذا كان كل ما يقومون به هو نسخ — لصق، ولا يخفى على أحد أن كتابة الأبحاث الجامعية والمدرسية كانت تستدعي، في الماضي القريب، البحث عن عشرات المراجع في المكتبات الخاصة والعامة ثم قراءتها وتمحيصها. كيف سيكون شعور مؤلف كتاب عندما لا يرى ثمرة جهده وحصاد خبرته على ورق مشدود بخيط متين بين دفتين قويتين ومصفوف بين كتب مكتبته؟ وكيف سيهدي مؤلف الكتابِ نسخاً من كتبه للأصدقاء والأقارب عندما يكون هذا الكتاب مخفياً بين عشرات المواقع وبين آلاف الكتب الأخرى المدفونة فيها؟ وقد يقول قائل، أليس التحول للكتاب الإلكتروني يُرشِّد استعمال الورق وينقذ أشجار الغابات؟ ونحن نجيب ألا يبالغ الناس في هذه الأيام في استعمال الورق الصحي، وفي تغليف الهدايا، وأعمال الديكور، والإعلانات التجارية وغيرها!

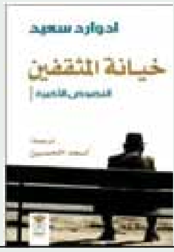
على أي حال يجب علينا احترام التقنية والاعتراف بأفضالها، ولكن لا بد من إبعادها عن أن تطغى على بعض جوانب حياتنا.

وفي الختام لا بد من التذكير بأن خطر الحاسوب والشبكة العنكبوتية على الصحة لا يقل عن خطرها المحدق بالعقل والسلوك القويم.

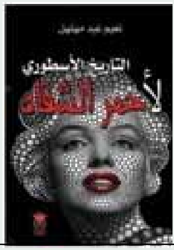
درويش مصطفى الشافعي- الأردن

قافلة النشر

دار نينوى



خيانة المثقفين
إدوارد سعيد



التاريخ الأسطوري لأحمر الشفاه
نعيم عبد مهلل



تقنيات الصحافة المسموعة والمرئية
د.رياض معسعس



أحاديث في التربية الموسيقية
د.نبيل اللو

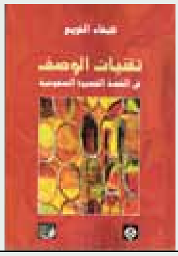
نادي الرياض الأدبي



جملة لا تناسب القياس
عيد الخميسي



رهانات الرواية العربية
د.سعيد يقطين
د.محمد القاضي

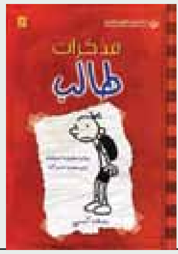


تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية
هيفاء الفريح



نصوص برسم الورد
مجموعة قصصية لطالبات من المرحلة الثانوية

العربية للعلوم ناشرين



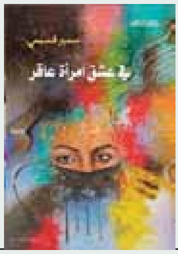
مذكرات طالب
يوميات غريغ هيفلي



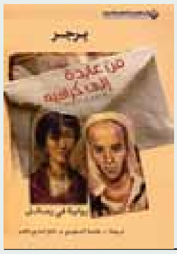
ما وراء الوجه
أحمد الواصل



سين
سعدية مفرح



في عشق امرأة عاقر
سمير قسيمي



من عايدة إلى كزافيه..برجر
ترجمة: د. فتحية السعودي، تانيا تماري ناصر

دور نشر متنوعة



هكذا تكلم هردبشت..
يوسف غيشان..دار ورد



بيوس أو طفل الحكمة والطقوس..عبد الإله حبيبي.. دار سلمى



الفكر والأسلوب في مسألة العروبة..صبحي غندور..
مركز الحوار العربي

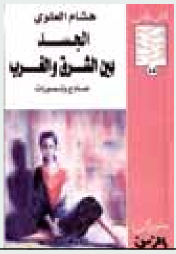


رجب طيب أردوغان..
شريف تغيان..دار الكتاب العربي



في المقهى..أحمد سعيد أبو حيمد.. نادي الشرقية الأدبي

منشورات الزمن



الجسد بين الشرق والغرب
هشام العلوي



الثورات العربية في
عالم متغير
د.إبراهيم أبراش

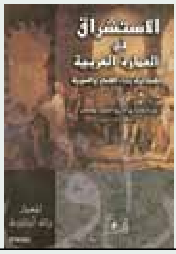


موسيقى المواجيد
د.محمد التهامي

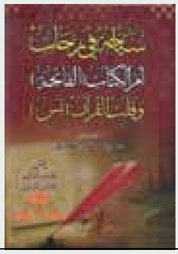
دار المأمون



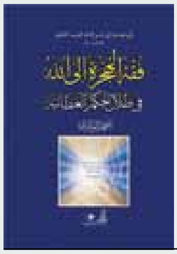
الأعمال الشعرية
الكاملة.. مأمون جرّار



الاستشراق في العمارة
العربية..رائد أرناؤوط



سياحة في أم الكتاب
سعيد مفلح هودلي



فقه الهجرة إلى الله
أحمد الوثاري

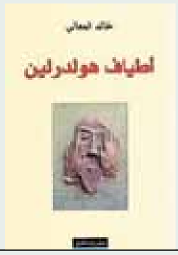
الجمل



رجل يبتسم للعصافير
مبارك وساط



الكاميرا لا تلتقط العصافير
مازن معروف



أطياف هولدرلين
خالدالمعالي

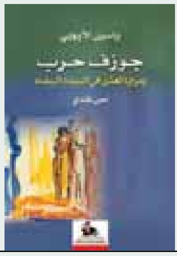


حريق
جمال علي الحلاق

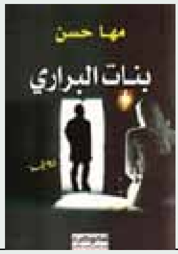
رياض الريس



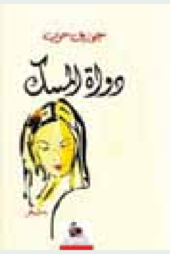
صحافي ومدينتان
رياض نجيب الريس



جوزيف حرب و مزايا
العشق
ياسين الأيوبي



بنات البراري
مها حسن



دواة المسك
جوزيف حرب

دار طوى



صخب يضيء
خالد السعن



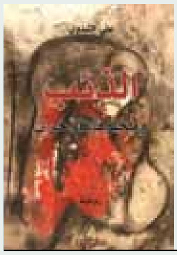
عبور محرم
فاتن يتيم



لا يوجد شيء لعرضه
هدى ياسر



قُبلة وأشياء أخرى
علوان السهمي



الذئب ومخلوقات أخرى
علي الشدوي

الإنترنت
عالم واحد.. عوالم متعددة



لا تحتاج «الأمراض» الاجتماعية سوى إلى بيئة ظل، حيث الرطوبة والانغلاق، بينما يحتاج التواصل الاجتماعي الحميم إلى شاشة وقليل من الدفء، كيف نخلق من مواقع التواصل الإلكتروني حقولاً مشرقة لا زوايا مظلمة؟ متعة اختيار المقرّبين مساحة إجبارية لإقصاء المبعدين. رحاب أبو زيد تنقلنا إلى عالم «الإنترنت» الواسع، وتكشف غرائب هذا العالم الافتراضي.

يسجل التاريخ شهادة براعة للإنسان المعاصر في مقدرته الفائقة على التكيّف مع أبرز وسائل الاتصالات الحديثة، والتعامل معها بفطنة، ولا سيما أن العالم أجمع لم يتعرف على الشبكة العنكبوتية إلا منذ عقدين من الزمن فقط!



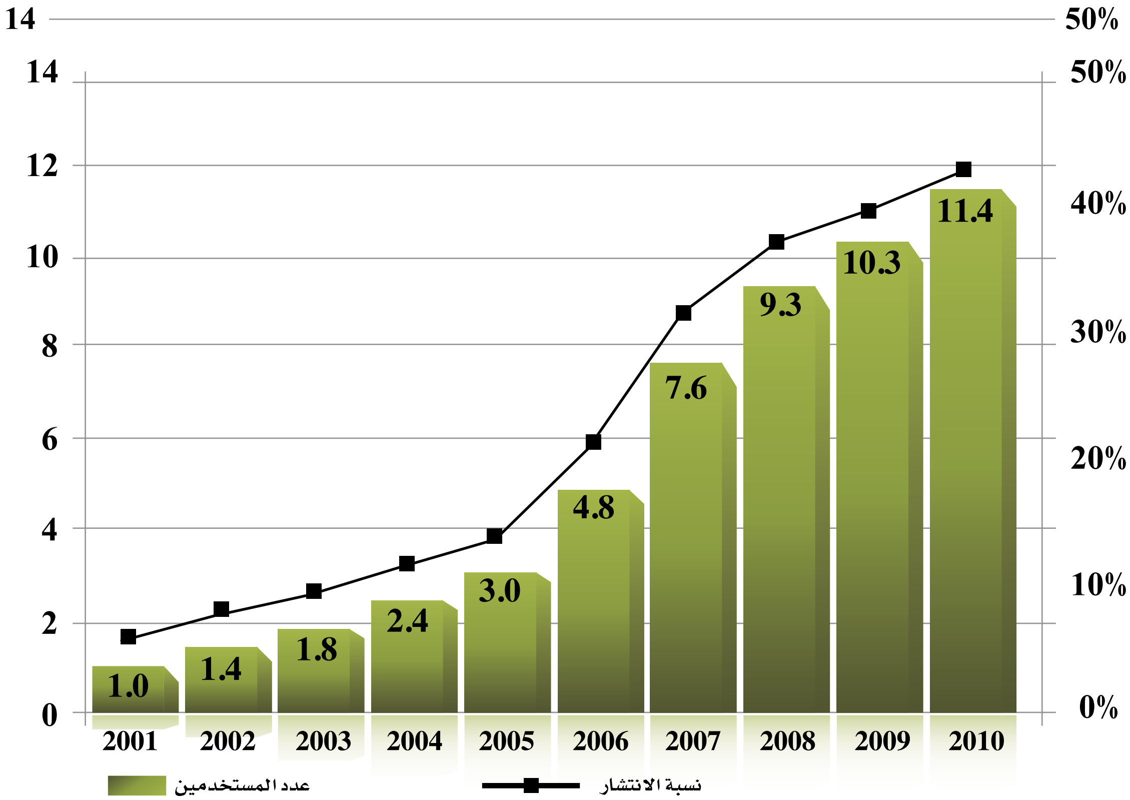
shutterstock

تعرّف «الإنترنت» تعريفاً مبسطاً ومختصراً، بأنها أكبر شبكة كمبيوتر في العالم، تتكون من آلاف الشبكات الصغيرة، إلا أن سرعة انتشارها، وسهولة ارتباط جميع أنواع الأجهزة بها، جعلتاها بوابة مفتوحة على مدار الساعة إلى عالم متشعب من المعلومات والبيانات حتى العلاقات. السؤال العام: ماذا يفعل الناس بـ«الإنترنت»؟ وكيف تمكنت من الاستحواذ على جزء كبير من اهتماماتهم وأوقاتهم؟

لا يقتصر دور «الإنترنت» اليوم على أنها مصدر معلومات «أرشيف» زاخر بكَمٍّ هائل من الأبحاث والدراسات القيمة، بل يتجاوز ذلك إلى تأمين معظم الإصدارات الحديثة من كتب ومجلات وبرامج تعليمية، وحتى قنوات تلفزيونية، كل هذه المصادر للمعلومات تستطيع تصفحها بالكامل على الشاشة، فقط عليك أن توافق على التنازل عن الحميمية مع الورق لتعقد أواصرها مع شاشة الكمبيوتر.

المعلم التربوي والباحث الاجتماعي ممدوح السليماني يقول: في عالم التربية والتعليم لا تستطيع أن تكون محايداً، إما أن تواكب ما يجري في العالم من حولك وإما أن تتجاهله، وتدخل في كهف لا تخرج منه أبداً، كمعلم للمرحلة الثانوية، ينتمي طلابي إلى فئات وطبقات مختلفة في المنشأ والتفكير وأحياناً الثقافة، أن تعيش في مدينة، مثل جدة سوف يكون هذا الاختلاف طبيعياً لأنها مدينة «كوزموبولتية» منذ القدم.

ويضيف: أنا هنا ولست هنا! هذا بالضبط ما يشعر به الجيل الجديد من الأطفال والمراهقين، أنا بينكم وأعيش معكم، لكني لستُ مع أفكاركم ولا مشكلاتكم أحياناً، وليس بالضرورة أن يكون صديقي هو جاري القريب، ولا أن ألعب



نمو استخدام الإنترنت في السعودية – التقرير السنوي 1431 هـ 1432-هـ (2010م)

مع أصدقائي في الحي، لأني وبكل بساطة لي مجموعة تلائمني أكثر من الأصدقاء والألعاب على شبكة الإنترنت! صار لسان حال طلابي بكل وضوح: معلمي، أبي وأمي أنتم لا تستطيعون إخفاء شيء عني بعد الآن، فـ«الإنترنت» تخبرني بأي شيء أريده!! ويشير كمعلم وأب لا أستطيع إلا أن أكون صادقاً مع نفسي أولاً، ومع أبنائي وطلابي ثانياً، لأن أي محاولة كذب أو مراوغة لإخفاء معلومة قد تقوّض الثقة بيني وبينهم، وإذا ذهبت هذه الثقة فلا جدوى من عملي.

أما الكاتب والباحث التاريخي د.زيد الفضيل، فيرى أن التوسع في استخدام الشبكة العنكبوتية التي وصل مداها التقني إلى خدمات الهاتف النقال، شكل نقلة نوعية في طبيعة مجتمعاتنا العربية وخصائصها، ويمكننا الجزم بأن ملامح مجتمع جديد بدأت في التبلور، والأدهى أنه يجمع بين خصائص المجتمع المدني ومقوّماته، وخصائص المجتمع البدائي ومقوماته، إذ هو في تكوينه الحالي يقوم على أسس المجتمعات المتحضرة ومرتكزاتها في كثير من الجوانب المادية، لكنه في الجانب الوجداني قد أخذ في التراجع بشكل ملحوظ إلى قوالب تلك المجتمعات البدائية القائمة على حب العزلة والانكفاء على النفس، وهو أمر يمكن أن تكون له نتائج وخيمة مستقبلاً ليس على الفرد ذاته وحسب، بل على طبيعة هيكل مجتمعاتنا بوجه عام.

«الإنترنت» في قفص الأرقام

حين تشير معدلات انتشار الإنترنت إلى الارتفاع الملحوظ في عدد المستخدمين خلال السنوات الماضية من 5% في عام 2001م إلى 41% في نهاية عام 2010م، ومن مليون فقط عند إنشاء هيئة الاتصالات السعودية عام 2001م إلى 11.4 مليون مستخدم بنهاية عام 2010م، فلا بد أن تستبق توقعاتنا جميع النتائج المحتملة جرّاء هذه الزيادة الملحوظة في مدة قصيرة، مع الأخذ في الحسبان مضمون ما يتم البحث عنه ومحتواه أو تداوله في بحر المعلومات الشاسع.

تؤكد الأستاذة نوال السرّتي من «مركز الإحصائية السعودية» أن عدد مستخدمي الإنترنت في المملكة في ارتفاع مستمر وأن شبكة الإنترنت خلقت عالماً سحرياً، يتيح للإنسان أن يطلق العنان لأفكاره، وأن يكتسب خبرات جديدة وصداقات ومعلومات. وتشير السرتي إلى أن العالم الافتراضي عند بعض الناس يتقاطع مع العالم الواقعي، لدرجة يصعب التفريق بينهما، وهناك نسبة جيدة تفضل العالم الافتراضي. ومن وجهة نظري، فالمواقع الاجتماعية هي الأكثر استخداماً، لأنها فتحت مساحة للتواصل الاجتماعي وتقوية العلاقات. فهناك من يفضلون المواقع الاجتماعية لأنهم يجدون أجواء خاصة، ويستمتعون بالمواضيع المطروحة أو حسن الاستقبال. وفي نظرهم الخروج في العالم الواقعي واقامة العلاقات الاجتماعية يتطلبان مستلزمات مادية ومعنوية. أما في المواقع

الاجتماعية على الإنترنت فأنت تكون في عملك أو بيتك ودون تكلف بملابس البيت، وتتواصل مع العالم.

الانزياح الافتراضي

كل الشواهد تشير إلى أننا نقبع بين عالمين، كلاهما حقيقي يؤثر فينا ونؤثر فيه، بدءاً من ابتسامة قد تتصاعد إلى قهقهة لافتة، بينما يحملق أحدهم في شاشة صمّاء وانتهاء بانقلابات خطيرة شكلت تحولات جذرية في تاريخ بلدان وشعوب انطلقت شرارتها من الصفحات الإلكترونية، فاجأت العالم بأسره أنها ليست سوى حقيقة ماثلة مجسدة في انعكاساتها على مسار قراراتنا اليومية، وجديّة علاقاتنا وحتى مزاجنا، والأهم من ذلك حتماً، خبراتنا الحياتية التي لم تعد تقاس اليوم بالشهادات، أو بعدد الكتب والموسوعات التي أضنانا البحث عنها تحت شعار «العلم نور» و«خير صديق في الزمان كتاب»!

كما أتاحت الشبكة العنكبوتية الاتصال والوصول لأكبر الأطباء وأشهرهم في العالم لعلاج مرض ما، أو الاستنارة برأي متخصص أثناء عملية جراحية جارية عبر ما يسمى الطب الاتصالي Telemedicine! فكيف يرفض بعضنا الاعتراف بوجود هذا العالم على أرض الواقع؟!

انهيار الأسوار الوهمية يثير تساؤلات عن طرح مفهوم آداب الإنترنت وضرورة الاهتمام بالحصانة وجرعات التطعيم

حول ضرورة تحويل البوصلة في النظرة إلى عالم الإنترنت، يروي المعلم والتربوي والباحث الاجتماعي ممدوح السليماني، الدور المفاجئ للاتصال بالعالم الخارجي أثناء أحد الأحداث الحالية: «في ظل التطورات الأخيرة التي حدثت في دول عربية وبسببها اكتشفنا أن الفرق بين الواقع الافتراضي والحقيقي قد ولى، وأن الافتراضي قد يصبح حقيقياً إذا توافرت له مقوّمات الحياة. ويضيف: أن الأفكار والصداقات والعلاقات الانسانية التي تنشأ من أحضان الواقع الافتراضي هي في الحقيقة جزء واقعي منا اكتسى شكلاً جديداً نحاول من خلاله أن نستكشف المجهول فينا وفي الآخر. التحدي الحقيقي لنا الآن، هو هل المحتوى العربي والإسلامي في «الإنترنت» يعبر عن حقيقتنا الإنسانية؟

علينا أن نثري هذا المحتوى بالمعلومات الصادقة والصحيحة حتى يشعر أبناؤنا بالأمان في خضم هذا السيل الضخم من الأفكار والمعلومات السهلة. وحتى نستطيع فهم أبنائنا يجب علينا الولوج إلى عوالمهم الجديدة لنتحاور معهم، ونزيد ثقتهم بأنفسهم ونطلق لهم الحرية المسؤولة التي تعينهم على فرز الجيد من الرديء في هذا العالم الكبير، لا بد أن نحاول دمج عوالمهم الصغيرة المختلفة في عالم واحد نعيش فيه معاً بكل اختلافاته.

طقوس شاذة تنتقل عبر الإنترنت

تطفو بعض السلوكيات أو المظاهر الخطرة على سطح مجتمعاتنا التي قد تتسم بالمتضعضعة لعدم توافر استعدادات كافية كجدار واقٍ لمواجهة أي موجات تتنافى وقيم الأمة وثوابتها، فحتى الاحتياطات الاحترازية التي تتخذها بعض الجهات المسؤولة في الحكومات العربية من البطء بحيث لا تواكب سرعة رياح التغيير الفكري، واختلاط الحابل بالنابل.

المستشار الأسري د.عبدالله العويرضي يصور المشهد قائلاً: «يتبين لنا أن مشكلات عدة نلقي بتبعات ظهورها على شبكة الإنترنت، ما هي إلا نتاج عدم وجود مبادرات أسرية ودعائم ثقافية أخلاقية رشيدة تصد عن البالغ والطفل ما قد تحمله الأجواء من جراثيم أو عدوى. ومن هنا نستنتج أن الأمراض الاجتماعية تتفاقم حدتها في بيئة رطبة ترحب بها وتخلق لها أجواءً تعزز مراحل نموّها!».

وفي استبانة عشوائية قامت بها معلمة لغة إنجليزية في مدينة أبها وزعتها على المعلمات تحذر وبشدة من دخول الطالبات في عمر المراهقة إلى بعض المواقع التي تنتج وتسوّق لخط أزياء خاص واكسسوارات غريبة، وأغان تخدش الحياء، وتعجّ بالمناظر غير اللائقة. تقوم هذه المواقع أيضاً بتنسيق اللقاءات والاجتماعات عبر الإنترنت للاحتفال بطقوس دينية غير سوية، كما يتم تبادل الرسائل والصور للمفاخرة ببشاعة قدراتهم على تعذيب أنفسهم بجز الندبات والجروح فوق أيديهم. ويرتبط منسوبوها بسمات شكلية ومعتقدات مضطربة لا تخالف منهجيتنا الفكرية والاجتماعية والدينية فحسب، بل تخالف الفطرة الإنسانية السويّة. إنها ظاهرة (إيمو Emo) المتمثلة في صبغ الوجوه بالطباشير الأبيض وتلوين العينين والشفاه بالأسود، وارتداء أي نوع من الملابس شريطة أن يكسوها السواد، والبقاء في الظلام ورفض فتح الستائر مطلقاً. تثير هذه الظاهرة ذكرى الأجواء الغامضة الشهيرة التي أحاطت بالقصر



shutterstock



shutterstock

المهجور «بارون إمبان» الواقع في منطقة مصر الجديدة في القاهرة، عندما تسللت إليه جماعات من الشباب المصريين عام 1997م لإقامة حفلات موسيقية صاخبة وماجنة، وسمّيت حينذاك بقضية «عبدة الشيطان».

تنحي سلطة الأعراف والتقاليد أمام بريق الآيفون.. والبلاك بيري.. وسباق شركات الاتصالات في طرح أجهزة جديدة

عالم الشفافية والصداقات

يجمع عدد كبير على أن مواقع التواصل الاجتماعي لا يمكن احتسابها بأي حال من الأحوال بديلاً عن التجمع الأسري واللقاءات الأسبوعية. وتؤكد التربوية رنا محمد جمال: «أن لا غنى عن الاجتماع العائلي اليومي على صعيد الأسرة الصغيرة، والأسبوعي للأسر الكبيرة، لأنهما من أهم مقومات نجاح الأسرة وترابطها، ولكن لا مانع من استخدام التقنية بجميع أشكالها في زيادة التواصل بباقي أفراد العائلة ممن يعيشون في مدن أو دول أخرى»، وتضيف: «دائماً ما ألزم بناتي وأفراد المنزل بالالتزام بموعد اجتماعنا العائلي لأنه الأصدق والأكثر حميمية».

وعلى النقيض، ترى رئيس قسم العناية المركزة في مدينة الملك عبدالعزيز للشؤون الصحية في الحرس الوطني د.هالة العالم، أن الشبكة العنكبوتية عالم جديد يغري الجميع بالدخول إليه واستكشافه، لكن المشكلة أنها قد تجر المتصفح إلى الإدمان، وبالتالي تخلق جيلاً يوجد معك جسدياً، لكن قلبه وعقله خارج جدران الغرفة والمنزل والحي، مما يقود إلى الانعزالية.

ويعود د.زيد الفضيل لتأكيد أن الإنترنت وسيلة أولى لتكوين المعرفة، وقوة أي معرفة ومتانتها لا تكون إلا بالانسجام الذهني الحاصل، ولهذا كان حرص النبي- صلى الله عليه وسلم- على أن تتم تربية الأبناء لسبع، وتأديبهم، أي تقويم سلوكهم لسبع، ومؤاخاتهم لسبع، أي أن يكون الوالدان قريبين ذهنياً من أبنائهما في السبع الأخيرة من مرحلة النشوء، حتى تتعمق العلاقة بينهما بالشكل الذي يعزز من متانة بناء الإنسان في مرحلته الأسرية الأولى. من هنا يمكن القول إن وسائل التقنية المتنوعة كـ«الفيسبوك» و«التويتر» و«الماسنجر» يمكن في الحد البسيط بحسب طبيعة استخدامها لدينا أن تشكل بوادر أولى لبناء صداقة، إذا تلامس الطرفان فيما بينهما قيماً متفقاً عليها، لكن السؤال الجوهري: هل يمكن أن تدوم هذه الصداقة؟ أم أنها قابلة للذوبان مع أول تغير؟ لعلي أميل إلى التصور الثاني، وأجزم بأن أي صداقة يمكن أن تنشأ عبر ذلك لن يمكنها الصمود طويلاً لكونها فاقدة لكيمياء الروح التي تنشأ عبر آليات التواصل الجسدي من سلام وابتسامة وملامح وجه ونسق بشري متكامل.



shutterstock

ويضيف د.زيد الفضيل: «يجب أن نعي أن ما يمكن أن يجذب الرعيل الأول في أي مجتمع، ليس بالضرورة أن يجذب من يليهم. ولهذا كانت فحوى حكمة الإمام علي بالغة حين قال: «علموا أولادكم، فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم» أي علينا ألا نتصور بأن الأجيال اللاحقة ستكون على القدر نفسه من الاهتمام بما اهتمت به الأجيال الأولى. من هذا المنطلق فأن الاجتماع الأسري إن كان يمثل قدراً من الاهتمام لدى جيل الآباء في الوقت الحالي، فإن الأمر نفسه ليس مرغوباً عند من ألف الانغماس في عوالمه الغيبية المجهولة، وهو ما يمكن ملاحظته حالياً، حيث لم يعد غريباً أن تشاهد مجموعة مجتمعة بأجسامها لكنها مختلفة في طرق تفكيرها وذهنياتها، ولهذا تجد كثيراً منهم يلجأ إلى الاستفادة من تطور التقنية بالاجتماع الذهني مع من يماثله من مكانه الذي هو فيه عبر ممارسة «الشات» والمحادثة الغيبية. وفي تصوري أن المرء لا يلجأ إلى ذلك، ذكراً كان أم أنثى إلا بسبب فقدانه حاجاته النفسية والذهنية، أو نتيجة للإحساس بحالة التضارب النفسي المعاش بين واقع اجتماعي ذهني محافظ جداً يرفضه، وهدف يؤمله، فيه كثير من الحداثة والتحرر، يعمل على تخيله وتمنيه، ويسعى لأن يعيشه.

الانتماء للمفهوم وليس العُرف!

تراجع سيطرة الأعراف والتقاليد أمام جيوش من القناعات المغايرة التي تتفرع بين قويم ومعوّج، بعضه في الأصل يعيد النفس إلى فطرتها الأولى، بعضها الآخر ينزع بها إلى ما وراء المألوف والمنطقي. كانت تحكمنا محاكم غير مرئية من

الأحكام العرفية تضم مجموعة من البنود المتعارف عليها بين مجتمع ما، سواءً كان صغيراً أو كبيراً. فمثلاً لم يكن من اللائق أن يحضر الصغير مجلس الكبار، بل وكان الأهل يوبّخون أبناءهم لو وجدوهم منصتين باهتمام لحديث ما، في حين أن ابنك اليوم يتحدث مع عمه وخاله الأكبر من عمر أبيه بصراحة وبساطة في المواضيع كافة على الأرجح.

الدكتورة س. أ.، طبيبة معروفة متخصصة في مجال معقّد في أحد المستشفيات الكبرى في الرياض، فضّلت عدم ذكر اسمها الصريح، الأمر الذي قد يلمح إلى أن قرار مواجهة العالم بحقيقة ما عن قناعاتنا وأفكارنا أو طبيعتنا الخاصة، أمر لا يزال بعيد المنال! تقول: «تجربتي الخاصة تتلخص في أن تخصصي ومهنتي التي هي جنتي استحوذت عليّ بالكامل، حتى أصبحت كمن يرتدي ثوباً واحداً طوال أيام العام، لا يستطيع الفكاك منه حتى لا يلومه الناس! لقد سلّطت طبيعة عملي الضوء على جزء بسيط في شخصيتي.

وتضيف: عندما دخلت عالم الشبكة العنكبوتية باسمي وبصفتي الاعتبارية، دارت المناقشات والأحاديث في مجال واحد، هو مهنتي، فكان يتحتم عليّ ارتداء قناعي الرسمي حتى في «الفيسبوك»! عندها أخذت قراراً أن أقتحم الشبكة العنكبوتية باسم مستعار ودون تحديد لوصفي المهني وتجرأت بقبول إضافة كل من يبعث بطلب صداقة، فقط لأمثّل نفسي دون مجاملات، وأكون كما أحب أن أكون دون محاذير! اليوم بعد مرور ما يقارب السنة على تجربتي المثيرة، تعرفت على أشخاص في قمة الرقي، تبادلنا النصح والحوارات المفيدة، منها على مستوى خاص، ومعظمها على مستوى عام. مع مرور الوقت وجدت إنسانة جديدة بداخلي قد صقلت شخصيتها العلاقة بأصدقاء لا يقيّمونها من خلال مركزها أو حتى مرجعيتها الاجتماعية، لذا كانوا هم الأصدق في حكمهم على هواياتي ومهاراتي الكتابية، التي أشبعوها نقاشاً وتشجيعاً، ومن ثم، تطوير للذات.

ما تعرضت له خلال هذه التجربة، أصبح إيجابياً أكثر منه سلبياً، لأني وضعت قوانين كي لا تحيد النفس عن الصواب ويلحقها الضرر. بعد تنفيذ القرار، أخبرت عائلتي الصغيرة بتجربتي وأخفيت عنها اسمي المستعار. أناقش مع أختي تقدمي في التجربة وما يجدُّ عليها بصورة عامة فقط، فهي من يوقظ الرقيب في قلبي ويقويه. أخبر أصدقائي في الشبكة العنكبوتية بأنهم جزء من عائلتي الصغيرة. أترفع عن الاستمرار في مواضيع ساقطة، أو وضيعة، أو مثيرة لجدل لا نفع منه، لذا لا بد للشخص البالغ العاقل أن يخطو خطوات جريئة نحو تجربة الجديد.

الشباب والجيل الرقمي

هل صحيح توارت حرقة نار الفراق ونشوة اللقاء، إذا اتفقنا ضمنياً على أنه ليس هناك فراق فعلي ولا لقاء حميمي؟ راقب نفسك وأنت في سفر وترحال عن أهلك والأصدقاء، ستجد أن فرصة اللقاء بهم ربما زادت عبر الوسائل الإلكترونية أكثر مما لو كنت موجوداً معهم! علاوة على أنك لم تعد بحاجة إلى استراق النظر ومراقبة سلوكيات الناس أو عقارب الساعة خلال ساعات الانتظار في صالة مطار أو عيادة طبيب، كل ما عليك، هو أن تدعم جهاز هاتفك النقّال ببرامج تتيح لك التجوال بأعرق المكتبات، أو ممارسة أحدث الألعاب الإلكترونية بين يديك وبلمسة أصبع! واكتسب المحزون صديقاً رؤوماً، والمسافر رفيقاً أميناً.



shutterstock

التربوية نـوال السرتي تعلق على فائدة أجهزة الهواتف النقّالة المدعمة بالإنترنت اللاسلكي بتجربتها كأم: «أصبح الجيل الجديد من الأطفال يسمى الجيل الرقمي، نظراً لأنه يستعمل النت منذ بدايات النمو، ويمثل الشباب الشريحة الكبرى من مرتادي الإنترنت، إلا أن الأطفال والمراهقين ما زالوا في عمر مبكر جداً على أن يُتركوا دون إشراف، لذلك تقع مسؤولية توجيه الجيل وإرشادهم على الأسرة أولاً، والمؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام ثانياً. لقد شجعت أبنائي على استخدام الإنترنت والبريد الإلكتروني ومواقع الشبكات الاجتماعية، ولكن تحت إشرافنا، أنا ووالدهم، كما قمنا بمشاركة أبنائنا في ألعابهم الإلكترونية، وتبادلنا الرسائل ومقاطع اليوتيوب، ما جعلنا مطلعين على أصدقائهم الجدد وأخبارهم الإلكترونية عن كثب وبانتظام.

بساطة متطلبات التواصل الإلكتروني من رداء منزلي وشعر منكوش لا يلغي الحذر من الرسائل الاقتحامية والممارسات الشاذة

المراقبة الذاتية والرسائل الاقتحامية

في استبانة وزعت في أحد مجمعات المرحلتين المتوسطة والثانوية، اتفقت المعلمات على وجود مخاوف حقيقية جرّاء تساهل الفتيات في نشر صورهن وبعض مقاطع الفيديو العائلية، دون الحيطة من أي نتائج مسيئة لكيانهن الأسري والاجتماعي. كما أبدين امتعاضهن من البريد العشوائي، أو ما يسمى الرسائل الاقتحامية التي تحمل كثيرًا دعايات لأفلام، وصور إباحية دون معرفة المصدر.

معلمة التقنية في المختبرات، ريم زاد خان تقول: «إنها حددت لابنتها وقت محدد لا يتجاوز ساعتين لاستخدام الإنترنت، على أن يكون الدخول عن طريق جهاز واحد تستعمله العائلة جميعها، وإدراج الواي فاي برقم سري على هذا الجهاز فقط، علاوة على أنها من الأساس ربت ابنتها على الانفتاح والصراحة، فباتت تحكي لها كل ما يرد إلى البريد وتخجل من مشاهدته. أما الفتاة أو الفتى الذي لا يخجل من المشاهدة، فهذا الموقف يجب ألاّ يشكل مأخذاً ضد الشبكة العنكبوتية بقدر ما يكشف لنا عن بعض الخلل التربوي الذي وقعت فيه أسرة صغيرة من حيث عدم تنشئة الأطفال على تجنب السوء والقفز خلف أسواره وبواباته المشرعة، عوضاً عن الفضول للولوج إليه. وهذا ما حمّل الوالدين عبئاً إضافياً تذمر بعضهم من ثقله، وهو إعادة النظر في أساليب التربية، ومن ثم إعادة التربية نفسها بشكل أو بآخر لإنقاذ ما يمكن إنقاذه».



sspc

ويجيء في التقرير السنوي الصادر عن هيئة الاتصالات والمعلومات السعودية لعام 2010م، أن الرسائل الاقتحامية تمثل إزعاجاً وتهديداً لمستخدمي خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات على المستويين الوطني والعالمي، وأصبحت تشكل خطراً على مستقبل التعاملات الإلكترونية، وأمن المعلومات والمستهلكين، ومجتمعات الأعمال، فضلاً عما تشكله تلك الرسائل من انتهاك لخصوصية الأشخاص، وإمكانية استخدامها وعاءً للترويج للإباحية، والغش والتزييف والخداع والتضليل، ونقل الفيروسات والأشكال الأخرى من المحتويات المرفوضة. واستكمالاً للمراحل السابقة التي انتهت بإعداد المسودة الأولى لوثيقة الحلول المقترحة للحد من مشكلات الرسائل الاقتحامية، ووضع خطة العمل المقسمة إلى تسع مبادرات، تم إعداد مجموعة من المواد التوعوية ونشرها، وتدشين موقع البرنامج على شبكة الإنترنت www.spam.gov.sa. كما قامت الهيئة بإعداد ضوابط للحد من الرسائل الاقتحامية، تشتمل على ضوابط إرسال الرسائل الإلكترونية، وواجبات المرسل والمستقبل لتلك الرسائل وحقوقهما، ومهمات مقدمي الخدمات المرخص لهم ومسؤولياتهم في المملكة. وتم اعتماد تلك الضوابط وإصدارها بقرار من الهيئة. كما أعلنت مؤسسة التعليم في الإنترنت The Internet Education Foundation (IEF) عن تدشين موقع Net Safety Tips On The Go كأول موقع رقمي على مستوى العالم متخصص في توفير نصائح الأمن والسلامة وإرشاداتهما لمستخدمي الأجهزة النقّالة والهواتف الذكية، وذلك بدعم من شركتيّ جوجل وفيريزون لإطلاق مبادرة مشروع يلبي تطلعات العائلات المهتمة بشؤون الخصوصية والأمن في الأجهزة النقّالة من هواتف ذكية وألواح رقمية، سواءً كانت بحوزتهم أم بحوزة أبنائهم.

الحدث من جيبك.. إلى شاشات العالم

نظراً لأن ساعات الإنترنت لم تقتصر على الجلوس عند جهاز ثابت أو متحرك في المنزل، ولم تنحصر في أوقات محددة، فإن الاتصال بالإنترنت من أي مكان مجهول غيّر

مفهوم المصداقية والشفافية في الصحافة ووسائل الإعلام أيضاً، حيث مكّنت كل من بيده جهاز مزوّد بكاميرا وبداخله صحافي مغمور، أن يحقق سبقاً صحافياً، أو يحتفظ بدليل إخباري لا يمكن إنكاره! يقول التربوي ممدوح السليماني: «في كارثة سيول جدة الأولى... لم أتخيل نفسي أبداً أن ما كنت أفعله في تويتر والفيس بوك له تأثير كبير في لفت انتباه العالم إلى مدى فداحة الكارثة»!
ويضيف: عندما كنت أرسل تغريداتي لتويتر وأشرح وأتحدث عن مشاهداتي، ومشاعري في حدود 140 حرفاً، كان الناس يتساءلون ماذا يحدث بالضبط؟ هل فعلاً الكارثة ضخمة إلى هذا الحد؟ لا أدعي أو أنسب الفضل لنفسي، هناك كثر فعلوا مثلي، ولكن بالنسبة لي كانت تجربة جديدة تماماً.

الحصانة وجرعات التطعيم

تتم معالجة أكثر من 676901 طلب لحجب مواقع أو رفع الحجب عن أخرى في مركز أمن خدمات الإنترنت بإدارة أنظمة ترشيح البيانات في المملكة وتنظيمها ومراقبتها، كإحدى وسائل الحماية، وقد تكون الحقيقة القائلة بأن لا أحد يمتلك أن يتحكم في الإنترنت، مثيرة ظاهرياً، ولكنها ليست كذلك في الواقع. إن ترك الأمور تجري على علاّتها بشكل عام على المستوى العالمي، ودون إدارة، أنتجت في الحقيقة أساليب مختلفة لإدارة الإنترنت، حيث مارست بلدان كثر سلطات رقابية على شكل الإنترنت وأسلوبها وتكاليف إدخالها لمواطنيها، وبطرق مختلفة.


shutterstock

في حين لا تزال النظرة العربية لأخلاقيات الإنترنت عند الغرب والولايات المتحدة نظرة مرتابة، إلا أنهم سبقونا في اتخاذ احتياطات أمنية ضد المواقع المسيئة أخلاقياً، كما سبقونا في الاندماج بعالم التقنية واختراعاته واستخداماته. فما بين ما يطرحه موقع «أمريكا أون لاينAOL» الشهير من محركات بحث آمنة خاصة بالأجهزة العائلية التي يتاح استخدامها من قبل جميع أفراد العائلة، تمنع الوصول إلى مواقع إباحية مخلّة لحماية البالغين وليس الأطفال فحسب، إلى جانب تقديمهم لشريط أدوات آمن يمكن إضافته بأعلى صفحة برنامج تشغيل متصفح الإنترنت، كما دشنت أكبر مصدر معلومات عبر موقع Safety Clicks للعائلات الحريصة على صحة أبنائها الذهنية والنفسية، وعلى مستقبلهم الأخلاقي والمعلوماتي.

هولي هاوكينز Holy Hawkins التي تضطلع منذ خمسة عشر عاماً بمسؤولية تدشين أساليب وممارسات حماية للأطفال على الإنترنت ضمن إطار عملها كمديرة إدارة لوائح وأنظمة الحماية للأطفال في موقع أمريكا أون لاين، لاحظت من خلال أبحاثها أن الناس اليوم ينامون ساعتين أو ثلاث ساعات كل ليلة أقل مما كانوا يفعلون قبل عشر سنوات، وأن أكبر لعبة ضخمة في موقع ألعاب مثل WoW تجمع 13 مليون لاعب على شبكة «النت»، وأن عمليات المبيعات والتحويل النقدي لشراء البضائع عبر الإنترنت وصلت إلى 18 مليون دولار عام 2009م. ومن هنا تأتت من وجهة نظرها الحاجة إلى التذكير بأهمية الأمن في «النت» على نحو مطّرد بوساطة الإعلان عن يوم خاص للاحتفاء بالأمن على شبكة الإنترنت بدءاً من 2011م.

في الوقت الذي يحاول فيه العالم العربي الانعتاق من مفهوم «الخصوصية» والانفتاح على الجانب المعاكس من الكرة الأرضية، نجد أن العالم الغربي نفسه مطالب وحريص على ترسيخ مفهوم الخصوصية في أذهان الصغار والكبار على شبكة الإنترنت، لكن الفرق يكمن في نقطة محورية ألا وهي المبادرة! فلقد أدرك المجتمع الغربي، بمنظماته وجمعياته وأفراده، مكامن الخطر وبدأ جدياً في اتخاذ احتياطاته المضادة للتسرب أو الاقتحام.

بينما يظل المجتمع العربي أسير فوضى واضطراب اصطدامه الأول بعالم مكشوف لا سقف له.

ما يدعو للتفاؤل بعيداً عن الدور المنوط بالخدمات المؤسساتية المنظمة، أن وعياً جديداً بدأ بالتشكل فعلاً لدى الشباب العربي، وتحديداً عام 2011م على وجه الخصوص، بالطبع هذا الوعي لم ينبت فجأة، بل هو نتاج تأمل وتحليل حجم الضرر الذي تسببت فيه الفوضى والسلبية في مواجهة العولمة، لكننا سنظل بحاجة إلى فصول متغيرة ومراحل تدريجية حتى نجني الثمار.

قول في مقال

المرأة السعودية.. منتخِبة ومنتخَبة

قضايا المرأة في المجتمعات الخليجية عامة، وفي المجتمع السعودي خاصة، بدأت تأخذ حقها من الاهتمام ، وذلك إثر القرار التاريخي لخادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز بأن تكون المرأة السعودية عضواً في مجلس الشورى، ومُشاركةً في انتخابات المجالس البلدية. إن تلك القرارات نقلت المرأة السعودية نقلة فاقت التطلعات، لتكون المرأة شريكة للرجل بفضل قدراتها. فاتن الشيخ تتطرق للدور والمكانة الذين حظيت بهما المرأة السعودية في الآونة الأخيرة.

حظيت المرأة السعودية في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز، بمكانة كبيرة، وتبلور دورها في العديد من المجالات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، ما جعلها تصل إلى مراكز قيادية مهمة في المجتمع داعياً في أكثر من مناسبة إلى دعم المرأة وتوجهاتها، خصوصاً وقد أصبحت شريكاً أساسياً في تنمية المجتمع السعودي، فضلاً عن المستوى المتقدم الذي وصلت إليه المرأة السعودية علمياً وعملياً وبالجهد الذي تبذله في سبيل خدمة الوطن مع التزامها بتعاليم دينها الحنيف وعاداتها وتقاليدها.

وهناك العديد من الشواهد التي تبرز اهتمام ولاة الأمر في المملكة بالمرأة السعودية وقضاياها وتعزيز دورها، ويُعد صندوق الأمير سلطان بن عبدالعزيز لتنمية المرأة من أبرز مؤسسات المجتمع المدني الذي قدَّم خدماته لكل شرائح المجتمع النسائي، وقد نجح الصندوق في تبني أول مركز من نوعه في الخليج لتنمية المرأة، بمبادرة من الأميرة جواهر بنت نايف، حرم أمير المنطقة الشرقية، بغية تدريب المرأة وتأهيلها

بناء على دراسات وأبحاث يشرف عليها اختصاصيون وأكاديميون من المملكة، ومن أهدافه إبراز دور المرأة ودفعها للمشاركة في التنمية الوطنية اقتصادياً واجتماعياً، وتأهيلها لترتقي بأدائها في عملها، وتذليل العقبات التي تواجهها بما في ذلك بحث جميع القرارات والأنظمة المتعلقة بالمرأة في المملكة وتحديثها بما يتناسب مع متطلبات العصر.

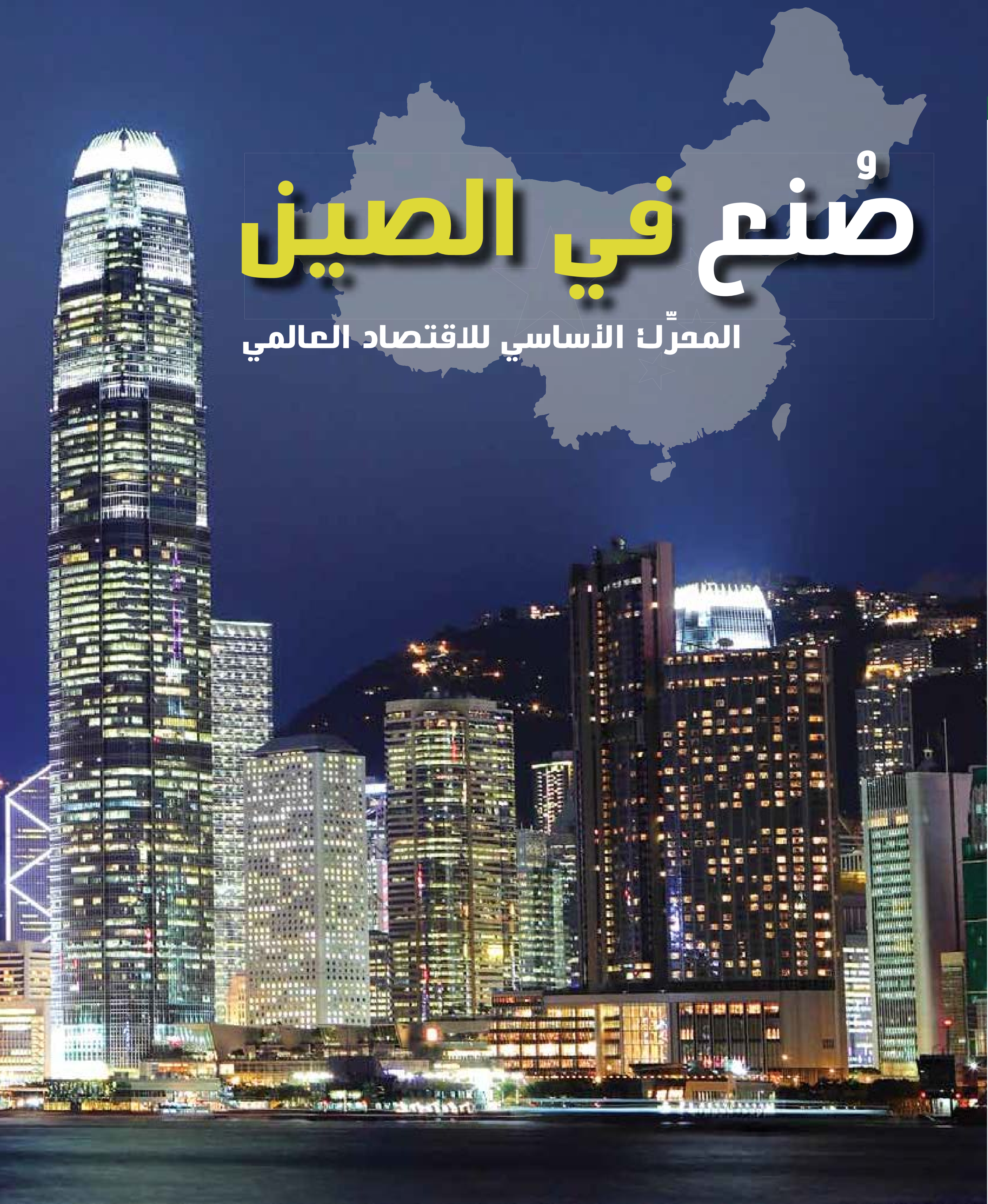
وقد كانت توجيهات القيادة السعودية تلحظ إحداث نقلة نوعية في واقع المرأة السعودية وفي ومختلف المجالات التي تستطيع خوضها ضمن الضوابط العامة، والوصول بها إلى أقصى درجات الإبداع للارتقاء بمحتواها الفكري والمعرفي، وتوعيتها بالقضايا المحلية والعالمية، وما جامعة الأميرة نورة، التي تُعد من أكبر الجامعات النسائية على مستوى العالم، إلا خير دليل على مستوى الاهتمام الذي يوليه الملك عبدالله للمرأة السعودية ودفعها للمشاركة في الحركة التنموية بالمملكة، من واقع أن المرأة السعودية في تقدير النظام الأساسي للحكم في المملكة ينص في مادته الثامنة على أن الحكم يقوم على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية، ولأن سياسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز نأت بالتعامل مع قضايا المرأة بوصفها مواطنة مثلها مثل الرجل في الحقوق والواجبات، فقد عمل خادم الحرمين الشريفين على أن تكون المرأة السعودية هي في الإطار الإسلامي كاملة الأهلية، وتتمتع بحقوقها المشروعة، وقد راعت خطط التنمية تعزيز دور المرأة، وعزم الدولة في المضي قدماً وبخطوات حثيثة في عملية تنمية المرأة السعودية. فقد أصبح للمرأة السعودية مشاركات فاعلة في «الحوار الوطني» من خلال عقد المنتديات وورش التدريب ونشر ثقافة الحوار في الأسرة والمجتمع، كما استُحدثت أقسام للنساء في السلك العسكري مثل الجوازات والسجون، وكذلك قسم نسائي في الدفاع المدني ومكافحة الحرائق، كما استخدمت المملكة في إطار سياسة وزارة التربية والتعليم المتعلقة بتأنيث الوظائف القيادية التعليمية وفق الهيكل الجديد للوزارة بعض العمادات في إطار فصل المهام لتسيير المهمات وتحديد المسؤوليات لضمان سرعة الإنجاز، وتوظيف النساء في السلكين الدبلوماسي والعسكري، وهناك سعوديات يعملن في سفارات السعودية في الخارج، إضافة إلى مشاركة المرأة السعودية في معظم الوفود الرسمية لتمثيل المملكة في المحافل الدولية.

وفي عام 2007 م تم تعيين الأميرة الدكتورة الجوهرة بنت فهد بن محمد آل سعود مديرة لجامعة الأميرة نورة بالمرتبة الممتازة، وفي عام 2009 م تم تعيين نورة الفايز بمرتبة نائب وزير التربية والتعليم لشؤون البنات بوصفها أول سعودية تحتل هذا المنصب العالي، أما هذا العام2011م فقد تم تعيين د.هدى بنت محمد العميل مديرة لجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالمرتبة الممتازة، وفي عام 2004 م شاركت المرأة للمرة الأولى في انتخابات أعضاء مجالس الإدارة في الغرف التجارية في جدة، وفي عام 2006 م تم انتخاب المهندسة نادية بوخرجي في أول مجلس لإدارة هيئة المهندسين السعوديين.

وقد تميَّزت المرأة السعودية في مجال الطب والعلوم وقدمت عدداً من الاختراعات المميزة، وفي المجال السياسي بدأ دور المرأة السعودية يأخذ طريقه إلى منافذ غير مسبوقة بالنسبة إليها، ولكن سبقها إليها العديد من النساء المسلمات، وقد أعطى الإسلام حق الشورى للمسلمين رجالاً ونساءً فقال تعالى:﴿وشاورهم في الأمر﴾، وفي تاريخ المسلمات فإن أم المؤمنين أم سلمة أشارت على الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، في صلح الحديبية وأخذ بمشورتها، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله، خطت المرأة السعودية خطوات مهمة نحو المشاركة السياسية، وتم في عام 2005 م تعيين ست مستشارات غير متفرغات في مجلس الشورى، تمت زيادتهن إلى 12 مستشارة، وفي هذا العام أعلن خادم الحرمين الشريفين دخول المرأة السعودية كعضوة في مجلس الشورى ومنحها حق الانتخاب في مجالس البلدية بوصفها مرشحة وناخبة، وبذلك تكون المرأة السعودية مشاركة في صنع القرار ذات المدلول الوطني.

صُنع في الصين

المحرِّك الأساسي للاقتصاد العالمي



هل استطاعت الصين خلال سنوات قليلة الفوز في معركة الاقتصاد، بتلبية متطلبات سكان العالم الاستهلاكية، بغض النظر عن اختلاف ثقافاتهم؟! أم هو مجرد إغراق للسوق بسلع ممهورة بـ«صنع في الصين»؟
نانسي أبو حوسة تستعرض العوامل التي أسهمت في نجاح التجربة الصينية، ومراحل الطفرة الاقتصادية من إنتاج السلع الاستهلاكية إلى إنتاج المعرفة.

«صُنع في الصين» هي العلامة التجارية التي تشير إلى كثير من السلع التي تتداولها معظم بلدان العالم على امتداد قاراته. إنها علامة لكل ما هو صيني ويتميز بالخصوصية والكفاءة. وإذ اختلفت النظريات حول ما إذا كانت طفرة الصين في الاقتصاد والتقنية هي ثمرة نظامها الشيوعي، أو تبني قادتها الحاليين الطرق الرأسمالية في إدارة الأسواق، ذكر تقرير عن الصين صدر نهاية عام 2009م عن مؤسسة «تومسون رويترز» البريطانية وعنوانه: «الجغرافية الجديدة للعلم»، أن «هذا النمو المذهل سيدفع السيطرة التاريخية لأمريكا الشمالية وأوروبا على العلوم إلى التكيف مع نظام عالمي جديد».

يصعب على أي نظام إداري أو قيادي أن يسود العالم دون أن يملك منظومة اجتماعية وراءه تستطيع أن تحوِّل ظاهرة هذا الغزو الاقتصادي والفكري والاجتماعي إلى ثقافة، وتصبح الشعوب المتلقية معتمدة بشكل أساسي على ما تمده بها مظاهر هذا الغزو. ولكي تسود هذه الهيمنة يتطلب من الحضارة الأقوى أن تبدي ترابطاً مؤسساتياً فيما بينها، وأن تظهر احتراماً حقيقياً وتفهماً لمعتقدات الآخرين.

هكذا هم شعوب الشرق الأقصى إجمالاً، ولكن ما هو أكثر وضوحاً هو ذكاء الشعب الصيني والبالغ عددهم حتى الآن مليارًا وثلاثمة وستة وثلاثين مليون نسمة وهم لا يضيقون ذرعًا كما الشعوب الأخرى بأعدادهم وانتماءاتهم المتفاوتة، بل هم يتعدون تلبية احتياجاتهم المحلية إلى تلبية جميع ما نحتاج إليه لاستمرار عادات وتقاليد نمارسها خلال حياتنا اليومية في جميع أنحاء العالم. وهنا نجد المصانع الصينية تزخر بمنتجات متنوعة وكثيرة لا تمت إلى بعضها بصلة، ففي حين تُصدِّر المصانع الصينية للعالم العربي سجادة الصلاة الحريرية والمسبحة والبوصلة لمعرفة اتجاه القبلة وفانوس رمضان والعباءة والثوب، تُصدّر إلى قارات أخرى النقيض تماماً، كالأيقونات المسيحية والمسبحة الهندوسية والرموز البوذية وغيرها الكثير من التفاصيل التي يصعب معرفتها من دون اهتمام فعلي بالشعوب الأخرى. تساؤلات





في بعض السلع الصينية تقليد يرقى لمستوى الإبداع في الصناعة

عديدة طرحت بعد الانتشار الواسع الذي حظيت به صادرات البضائع الصينية بسرعة كبيرة، ومن الواضح أن التجار والمستهلكين فاجأتهم طريقة تلخيص المصانع الصينية لحاجات السوق الفائقة الخصوصية، وكذلك السرعة في التكيف مع التغيرات الاجتماعية المختلفة، وما يواكبها من طلبات في الأسواق الشرائية. وبالرغم من الأزمات السياسية والكوارث الطبيعية كالزلازل التي تضرب الصين من وقت إلى آخر لم تمس شعبية البضائع الصينية التي يتزايد الطلب عليها بشكل تصاعدي ومستمر.

العوامل التي ساهمت في نجاح التجربة

إن التجربة الصينية جديرة بالتأمل، إذ تحوي بين سطورها الكثير من الدروس التي من الممكن أن تأخذ بها الدول النامية، فعلى الرغم من الانعزال الثقافي الذي مرت به الصين إبان الحكم الشيوعي إلا أنها احتفظت بهامش كبير من الانفتاح الاقتصادي. وجاء قرار الانفتاح على العالم متوازناً وحاسماً. ورفعت الحكومة شعار «افهم تسُد» للدعوة إلى الانفتاح التقني والاجتماعي مع الحفاظ على قيم المجتمع الأصيلة من خلال الابتكار وتنظيم الأولويات. فأدرك الشعب الصيني أن هذا هو أسرع الطريق وأقصرها لانتشارهم وانتشار ثقافتهم في الوقت نفسه. فانطلقوا يستكشفون فضاء الثقافات الأخرى في كل مجال بحيوية وشجاعة، وبكثير من الثقة والقدرة على استيعاب كل جديد وبشيء من المتابعة والتحليل، تجاوزت الصين الكثير من الألغام الثقافية والعقبات الفكرية التي تَنتجُ عنها أزمات حقيقية في وضع آخر.

تسعى الصين لفرض نفوذها الثقافي من خلال نشر مراكز لتعليم اللغة الصينية، والتعريف بالحضارة الصينية، وذلك في أكثر من 51 دولة في العالم

مفهوم القرية الصينية

نظريات مختلفة تم طرحها حول أسباب هذا الانتشار، وخصوصاً مع الاعتقاد السائد بأن الصينيين غير قادرين على التواصل مع شعوب الحضارات الأخرى، فعدا عن عائق اللغة يميل الصينيون عند السفر أو الهجرة إلى العيش في محيط يشابه محيطهم في موقع رأسهم الأصلي في الصين، إذ يصعب السفر إلى أي بلد متعدد الإثنيات من دون أن يجد المسافر ما يسمى: China Town أو القرية الصينية، كما أن معظم الصينيين لا يبدون اهتماماً في تعلم أي لغة غير الصينية، لذا يجد الزائر في الصين صعوبة في التواصل بغير اللغة الصينية.

وفي نظرية سائدة أخرى هناك من استند إلى ضخامة التعداد السكاني في الصين وصعوبة الاكتفاء الذاتي من المصادر الاقتصادية المتوافرة، وأن هذه الطفرة هي مجرد فقاعة صابون، إلا أن الصين استطاعت الحفاظ على تلبية متطلبات سوقها المحلية وتوسعت في نطاق صادرتها حتى وصلت إلى منزلة المنافسة مع أقوى الأسواق العالمية.

وفي النظرية المضادة قال بعض الخبراء الاقتصاديين إن توسع الوجود الصيني في القارة السوداء هو استعمار غير مباشر للمصادر والسلع الخام، وإن هدف هذه المساعدات هو استغلال موارد أفريقيا الطبيعية. إلا أن الصين نفت مراراً وتكراراً أن يكون تصرفها استغلالياً أو قهرياً في أفريقيا. الجدير بالذكر أن الصين تستورد من أفريقيا النفط وغيره من السلع الخام، كما أنها في المقابل تقوم بتقديم قروض ذات شروط تفضيلية بلغت قيمتها في العام المنصرم 10 مليارات دولار. وهذا ينفي النظرية السابقة لأن التعاون الحاصل تنتج معه منافع مشتركة.



تتخذ بعض العلامات التجارية الأوروبية المتخصصة في سلع الرفاهية من الصين منصة لعرض منتجاتها

أما النظرية الأقرب لتفسير الواقع بأنه لا يمكن لأي ثقافة أن تُقبل من ثقافات أخرى ما لم تحمل بين طياتها الإبداع في كل مجال، وكثيرة هي مظاهر هذا الإبداع في التقليد في الحياة الصينية، ولا يمكن حصرها في مقال. والحقيقة أن من أهم ما يميز التجربة الصينية هو السعي الدائم لبناء منظومة متكاملة من السياسات في شتى المجالات، لأن التركيز على الجوانب المختلفة من جوانب التغيير والتطوير هو الكفيل بزرع بذور النهضة الحقيقية. وشيئاً فشيئاً ازداد الطلب ولم تتوقف قائمة الصادرات عند الكماليات والأدوات الشخصية والملابس وغيرها من الصناعات، بل وصلت عالم الحاسب الآلي وجديد التقنية وشتى منتجات



الصناعات الثقيلة والألوف من البضائع المميزة، من بينها التوابل ومنتجات اللحوم والزهور والفواكه والأشغال اليدوية وغيرها من المجالات. ومما لا شك فيه أنَّ الصين أصبحت تدريجيّاً ملاذاً للتجار المبتدئين كما هم التجار الكبار الباحثون عن التبادلات التجارية الأكثر إنتاجاً والأقل تكلفة.

لا تكتفي الصين بالوعود الإحصائية بأنها سوف تكون القوة الاقتصادية العظمى في العالم بلا منازع مع حلول 2050م، فهي تسعى لفرض نفوذها الثقافي في شتى المجالات، إذ تسعى بشكل مستمر إلى نشر مراكز تعليم اللغة الصينية بما فيها التعريف بتاريخ الصين وحضارتها والتي تنتشر بسرعة هائلة في أكثر من إحدى وخمسين دولة حول العالم. أما الهدف الرئيس من هذه المعاهد البالغ عددها حتى الآن 133 فهو نشر اللغة الصينية، وتوطيد العلاقة الثقافية بين الصين وشعوب العالم من خلال الأنشطة الثقافية والتعليمية. وإلى جانب ذلك تقدم الحكومة الصينية مساعدات اقتصادية على شكل خدمات اجتماعية للدول التي تفتقر للاستقرار السياسي والاقتصادي. وتشير إحصاءات وزارة التعليم الصينية إلى أنه سوف يصل عدد دارسي اللغة الصينية إلى 120 مليون شخص حول العالم بحلول عام 2015م. هذا النموذج الاقتصادي الصيني الذي يعد الأكبر في العالم أصبح معجزة قريبة الشبه من الطفرة اليابانية، إذ سجل احتياطي النقد الأجنبي في الصين رقماً قياسياً جديداً



يتمتع الصينيون بحياة متوازنة تجمع بين العمل والترفيه

حيث تجاوز ثلاثة تريليونات دولار مع نهاية إبريل الماضي بزيادة 25.3% عن العام السابق.

الصين ومراحل الطفرة

بدأت طفرة الاقتصاد الصيني مع انتهاء الثورة الثقافية الكبرى في أكتوبر 1976م، فدخلت الصين عهداً جديداً من التطور الاجتماعي وبدأ تطبيق سياسة الانفتاح على العالم الخارجي، ومنذ ذلك الحين شهدت التنمية الاجتماعية والاقتصادية إنجازات ملموسة جذبت انتباه العالم. بينما في الفترة الممتدة من أوائل التسعينيات حتى عام 2000م استهدفت تحقيق مجموعة من السياسات لتوسيع عمليات الازدهار الصناعي وتوجيه الصادرات من خلال تخصيص كل سوق دولية على حدة، إضافة إلى تحديث البنية الأساسية للاقتصاد من خلال توطيد المزيد من التعاون التجاري والدبلوماسي. وتنتهج الصين اليوم استراتيجية الاعتماد على الذات من خلال استغلال الطاقات البشرية والموارد الطبيعية المحلية، وبذلك نمت مسؤولية الشركات واحتفظت المؤسسات بمراكزها الاجتماعية والاستراتيجية، لعدم التخلي عنها نتيجة النمو المفاجئ الذي تصعب السيطرة عليه.

يتزايد الطلب بشكل تصاعدي ومتواتر على أنواع عديدة من السلع الصينية التي يلبي بعضها حاجات السوق، بينما بعضها الآخر يمثِّل إغراءات تسويقية

يقوم مبدأ التنمية في الصين على الإخلاص في العمل والتفاني في تحقيق الأفضل، مما لا بد أن يخلق نجاحاً ثابتاً تحترمه باقي الشعوب باختلاف أعراقها، وهذا ما جعل الصين قادرة على الاستفادة من الظروف الاقتصادية السائدة لبناء اقتصاد محلّي متمكن. بعد التنمية البشرية ورفع كفاءة رأس المال البشري يأتي استيعاب التقدم التقني، وتخطي مشكلاته مع الوقت من خلال وجود أداء منضبط بالخطط المرسومة.

اقتصاد الصين من إنتاج السلع إلى اقتصاد المعرفة

لقد جاءت مخططات الحكومة الصينية لتأمين الفرص المتساوية لجميع أبناء شعبها على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم التي تتنوع بين البوذية التي يدين بها الأغلبية، ثم الإسلامية، والمسيحية وأقليات تؤمن بعقائد مختلفة. من هذا المنطلق تمَّ بناء حلم جماعي مشترك بين الجميع، وجرى رسم خطة عملية بعيدة عن المزايدات والأوهام. وعلى هذا تدرّبَ الناس على تجاوز الاختلافات العرقية والمذهبية، وأصبح تزويد العالم بحاجاته الرئيسة هدفاً عملياً قابلاً للتحقيق. لا يحاصر الصينيون أنفسهم عند التعامل مع بعضهم بعضًا ومع الجنسيات الأخرى في المواجهة وافتعال مشاعر التضارب بين الانتماءات حتى في أوقات الأزمات. وفي زمن القرارات الاقتصادية المجحفة في أثناء الحكم الشيوعي لم يلجأ الشعب الصيني إلى العنف وإنما التزم ببساطة بالقوانين وابتكر حلولاً حولها. وعندما تمت الإساءة إلى صورة الصين في بعض المؤتمرات السياسية والاقتصادية كانت ردة فعل الصينيين حكومة وشعباً هي العمل ثم العمل.

لم تقف حدود فكر الإنسان الصيني عند تلك النقطة لاعتقاده أن العمل في حد ذاته لا يكفي لضمان الاستمرارية، ولكن مرة أخرى في وجود الابتكار









والشمولية في التخطيط الثقافي والسياسي والاقتصادي يكمن الاستمرار. وتجهل الكثير من الشعوب حقيقة الصناعة الصينية وقوتها ودقتها، فالشركات الصينية تمتلك شتى القدرات لإنتاج الصناعات العديدة حسب الرغبة والسعر.

ولقد أدركت الصين أنها لا تستطيع أن تطلب من شعبها الانفتاح على الآخر ما لم يتم زرع بذور تلك الممارسة منهجياً في مراكز التعليم، ووضعت سياسات خارجية تسمح بالتعايش وتشجع عليه عملياً ومبنية على توجيه رسالة واضحة بأن تحقيق ذلك الحلم يحتاج إلى نقلة على جميع المستويات. ويعد قطاع التعليم والتدريب في الصين أحد أهمّ الأسباب التي مكّنتها من الرقي والتطور، إذ يتميز الشعب الصيني بتعدد قدراته وكفاءاته والذي كان نتاج الاهتمام بالتعليم والإنفاق السخي على التدريب والبعثات الدراسية، ما أتاح وفرة اليد العاملة في السوق الاستهلاكية، وتكوَّن عدد ضخم من التقنيين والمهندسين المختصين. كما عمدت الحكومة الصينية إلى شراء براءات اختراع الكثير من المنتجات الأجنبية وأبرمت اتفاقيات تبادل الخبرات في العديد من المجالات مع الدول السبّاقة في مجالاتها.



أما فيما يتعلق باتفاقيات حماية حقوق الملكية الفكرية التي خفَّفت من وطأة الادعاءات القانونية الدائمة التي كانت تواجهها الصين نتيجة تقليد مئات الألوف من المنتجات الاستهلاكية من الألعاب إلى الملابس ومن البرامج الإلكترونية إلى مسامير المصانع وغيرها الكثير من الأجهزة والأدوات التي لا حصر لها من البضائع المقلدة. فقد اتخذت الصين موقفاً مسؤولاً لتحفيز أنشطة حماية حقوق الملكية الفكرية، وذلك من خلال التمسك باتباع القواعد الدولية وتحقيق التوازن في المصالح بين أصحاب حقوق الملكية الفكرية والمستهلك. واليوم قطعت الصين شوطاً كبيراً في حماية حقوق الملكية الفكرية بفضل الجهود الدؤوبة من المجتمع الصيني ككل.

الصين قوة صناعية عظمى

عدا عن مصادر الطاقة والمعادن والتي تسهم الصين فيها بحصص مرتفعة من الإنتاج العالمي لمصادر الطاقة كالفحم الحجري والبترول والغاز الطبيعي، تمتلك الصين آبار بترول ومناجم حديد. وللصين مركز ثقل في بحوث البلورات وهندسة التعدين، ما انعكس بإيجابية على التنمية الصناعية. أما سهول الصين فهي غنية بالمواد العضوية التي أسهمت في تطوير مجتمع زراعي من الدرجة الأولى، وفي حين تواصل الصين أبحاثها في الإنتاج الزراعي لسد حاجاتها الغذائية، أخذت المبادرة العالمية للتركيز على أبحاث في علم الأحياء الجزيئي، والذي من المتوقع أن يكون ذا أثر كبير في فهم الجينات والبروتينات.

وختاماً، تقول الحكمة الصينية البالغة من العمر 2500 عام: «إن النصر ليس في الفوز بمئة معركة، بل في إخضاع العدو من دون حرب أبداً». وهكذا حققت الصين فوزاً مختلفاً بأن تكون المحرك الأساسي للاقتصاد العالمي في سنوات قليلة.



النانو أناقة وتجميل



آخر صيحة في عالم الموضة والتجميل جاءت من مصمم مبتكر جداً إنه «النانو»، هذا ليس اسماً لأحد الأشخاص، بل هو مقياس جديد في الصناعة وعالم المال والتكنولوجيا، قرر أن يقدم عروضه المبهرة في عالم الجمال والأناقة من خلال مواد يتم تصنيعها بحجم دقيق لدرجة أنها تصل إلى واحد من المليار من المتر، وسرعان ما ستصبح «حمى النانو» آخر صيحة في عالم الأناقة، فهل تنوون التسوق معنا؟ روناء المصري تصحبنا في جولة تسوق، ولكنها جولة من نوع آخر، فهيا بنا.

«ميجا ماركت» و«نانو ماركت»

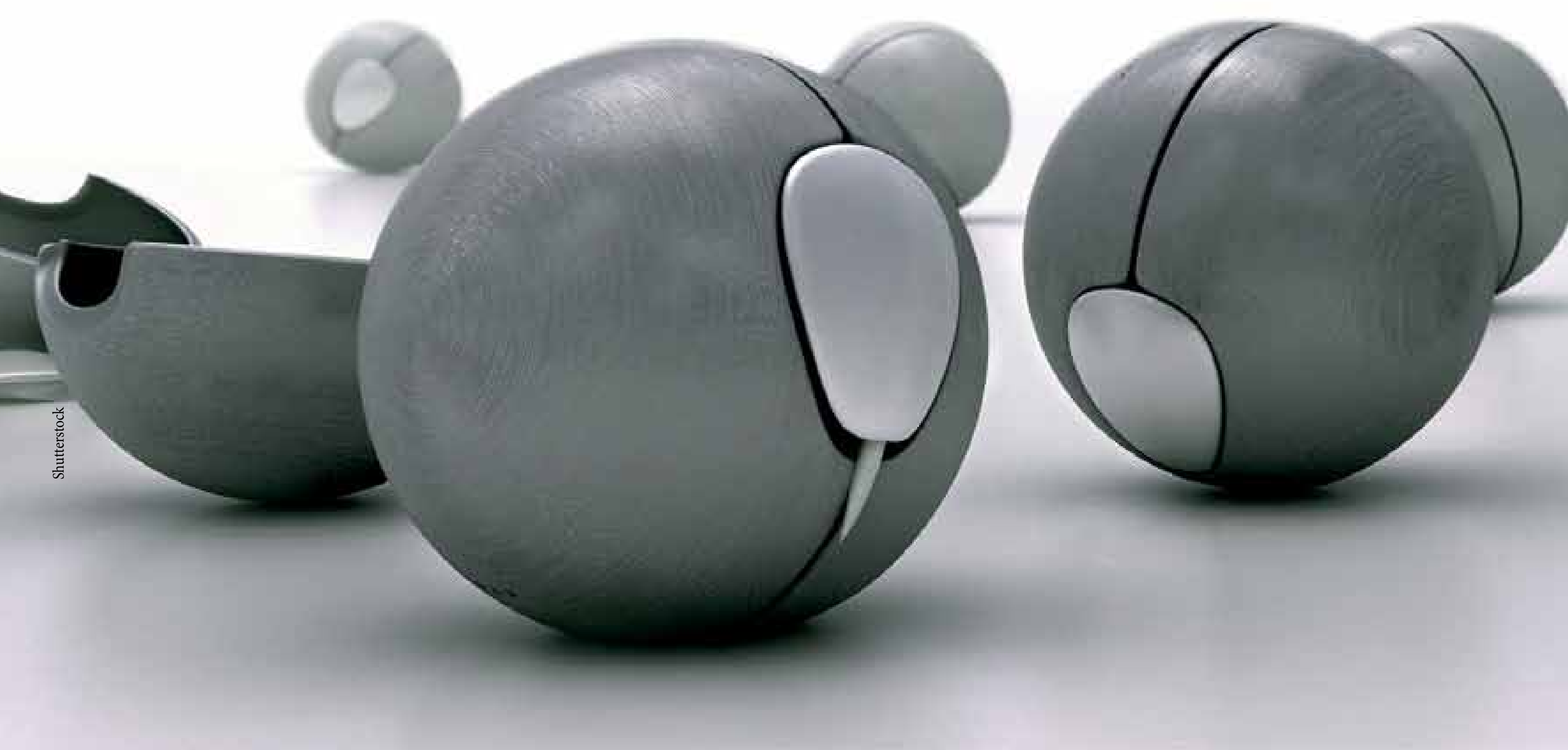
ربما تغيرت مفاهيم التسوق مع مرور الزمن، إلا أنها ستتغير خلال السنوات القليلة المقبلة، كيف؟ إليكم الإجابة: نعرف جميعنا معنى الأسواق الضخمة والملقبة بـ«ميجا ماركت»، حيث تجد كل ما تشاء من مواد وسلع استهلاكية وخدمات متكاملة وترفيهية، لكن في المستقبل ستصبح الصورة مختلفة تماماً عندما يتبدل الحال من الحجم «ميجا» إلى الحجم «نانو»، حيث أصبح ذلك المجال الحديث من العلوم بمنزلة العصا السحرية التي يمكنها تحقيق الأمنيات بأقل الأسعار والتكاليف والإمكانات، لأنك أولاً وقبل كل شيء ترشد استخدامك للمواد الخام من خلال الجزيئات النانوية المتناهية في الصغر، والعجيب أن كفاءة تلك الأحجام الدقيقة قد تزيد مئات المرات عن كفاءة الأحجام الكبيرة، وتتفوق عليها بسبب حقيقة علمية اكتشفها العلماء حول طبيعة تلك الأحجام الصغيرة، تتلخص في أن المواد والعناصر نفسها تختلف في خواصها الكيميائية والفيزيائية تمامًا عندما تكون في حجم النانو، فيصبح ما كان مستحيلاً في حجم الجزيء العادي متاحاً في حجم النانو.

يبدو أن الحكمة التي تقول: «إن الله تعالى يضع سره في أضعف خلقه» تتحقق على أرض الواقع في دنيا النانو، فلقد قدمت لنا متاجر النانو العالمية ابتكارات قد تشكل أهمية خاصة بالنسبة لحواء وجمالها لتمنحها مثلث الصحة والجمال والصبا، وقدمت للرجال الملابس النانوية بما هو معروف عن فوائدها في التوفير والمحافظة على ما في الجيب، ومن ثم فالمتسوقون من الجنسين لن يكونوا بحاجة إلى تغيير تلك الملابس أو حتى القلق بخصوص اتساخها أو تمزقها! لكن ما السرُّ الحقيقي وراء تلك العصا السحرية؟

السرُّ في السطور التالية:

تجملي بالنانو!

يا لدهشتي الكبيرة عند إجرائي لهذا البحث فقد اكتشفت أن تكنولوجيا النانو كانت مستخدمة في تصنيع مواد التجميل منذ أكثر من أربعين عاماً مضت. في البدايات كانت باستخدام مواد تسمى «ليبوزومات»، وهي جزيئات دقيقة موجودة في الطبيعة داخل خلية كل واحد منا، وتحتوي على مواد دهنية تسمى «الليبيدات» Lipids،


Shutterstock

> **بإمكانك الآن الحصول على معجون أسنان من الفضة النانوية بالطبع سيعمل على التوغل في الفراغات الدقيقة التي تعجز عنها أفضل أنواع فرش تنظيف الأسنان**

وكانت لها وظيفة تجميلية محددة وهي إضافة اللمعان والعمل على تحسين امتصاص مواد التجميل وامتزاجها في الجلد تماماً، وعادة ما كانت تلك المواد موجودة في الخلية على الغشاء الخلوي حتى تسمح بمرور بعض المركبات خلالها، ولم يختلف استخدامها في التجميل عن ذلك، فأحياناً نجد بعض مرطبات البشرة من الكريمات وهي مزودة بفيتامينات مهمة مثل فيتامين E، فتعمل تلك الجزيئات الدقيقة على توصيله بسلام إلى الجلد. وكانت تؤدي تلك الوظيفة من خلال الإمساك بالمواد المراد توصيلها للخلية، تماماً مثلما نضع الزيت على الخل في أثناء إعدادنا لطبق السلطة في المنزل، فنجد أن إحداها قد تخلل إلى الآخر ليصنع ما يشبه المعلق، وربما هذا الوصف مجرد أمر تشبيهي قد يقوم العلماء بتصويبه بدقة أكبر، لكنه يسهم في نقل الصورة إلى أذهاننا، لأن هذا ما يحدث عندما تم تغيير «الليبوزومات» بالجسيمات النانوية والتي كانت على هيئة معلق.

قامت حملات الترويج لمستحضرات النانو على أساس تغلغل تلك المواد الدقيقة بما تحمله من مواد مفيدة إلى مسام الجلد وعلى أعماق أكبر بكثير نظراً لصغر حجمها من المواد المعتادة في الأسواق، الأمر الذي يتيح لها النفاذ عبر أضيق المسام والفراغات البينية، ومن ثمَّ أمكن صناعة مستحضرات تجميل تعمل على ترطيب البشرة لعدد ساعات أطول، وبطريقة تعالج بعض العيوب مثل القضاء على البكتيريا أو الميكروبات الضارة التي قد تؤدي إلى ظهور الحبوب في مناطق بالجسم مثل الوجه، أو حتى في منع ظهور الشيخوخة من خلال تحسين خواص الجلد، أو حتى من خلال مستحضرات تجميل تحمي البشرة من الأشعة الضارة للشمس، أو حتى من الأتربة وعوامل الجو المتغيرة من رطوبة وحرارة، ما يمنع جفاف البشرة، أو اختلاف خواصها، ومن ثمَّ يؤخر ظهور أعراض التقدم في العمر، والسبب يكمن في نجاح تلك المواد الدقيقة في غلق



Shutterstock

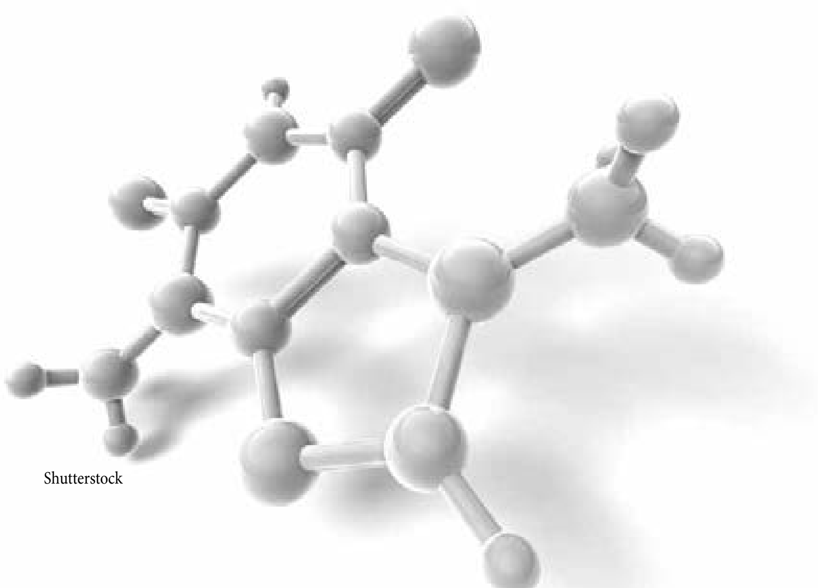
هذا الشخص يضع كريماً للحماية من أشعة الشمس بالحجم العادي على نصف وجهه الأيسر، ويبدو الكريم باللون الأبيض، غير أنه يضع في نصف وجهه الآخر كريماً آخر مصنوعاً بتقنية النانو، ويبدو الكريم شفافاً لا يمكن رؤيته، ما يضيف إلى مزاياه ميزة جديدة.

المسام والاتحاد بسهولة مع الجزيئات الأخرى، ويمكن تشبيه الأمر بأحجار الطوب المتراصة دون أي تجاويف بسبب مواد البطانة التي توضع بينها، ولكن، هل هذا كل شيء؟ بالطبع لا، هناك المزيد.

النانو لشعر أفضل!

كيف ستختار الشامبو يا سيدي؟ بالنانو أم لا؟

هكذا سيصبح السؤال الذي سيطرحه الباعة عند شرائك شامبو أو منظف الشعر، ومنعم الشعر كذلك «بلسم»، فلقد احتلت تقنية النانو منزلة كبيرة وشهرة واسعة في هذا المجال عندما قدمت الحلول السحرية للشعر، فمن يرغب في شعر أملس فعليه استخدام جسيمات نانوية معينة من خواصها ترك الشعر أملس، وبالطبع الفارق بينها وبين مثيلاتها في السوق، هو أن مفعولها أطول بكثير، ونتائجها سريعة وفورية، كما أن لها فوائد جانبية أخرى مثل حماية الشعر من التعرض لأشعة الشمس الضارة أو تغليف كل بصيلة من الشعر بحيث تحميها من



Shutterstock



Shutterstock

عوامل الرطوبة والجفاف والتقصف!
الجديد أن جسيمات النانو، أيضاً، تستطيع إعطاء الشعر مظهرًا مموجاً خلاباً، فبإمكان السيدات التحكم في حجم التموجات المرغوبة ونوعها، هل تريد التموج من الأطراف فقط؟ أم بطول الشعر؟ والسر في حجم النانو مع التمتع بجميع المزايا السابقة.
ولكن ما الجسيمات المستخدمة في تلك التقنية الحديثة لتصفيف الشعر، لا تتعجبي يا حواء كثيراً، فأنت تضعين بمحض إرادتك وباختيارك السيراميك والفضة في خصلات شعرك! بينما تتجملين بكريمات مصنوعة من الذهب، وثاني أكسيد التيتانيوم، والألومنيوم، وأكسيد الخارصين، والفضة أيضاً!
المستحضرات لم تنته بعد، ولكن يبدو أن الفضة تلعب دوراً كبيراً في عالم التجميل، فبإمكانك الآن الحصول على معجون أسنان من الفضة النانوية، بالطبع سيعمل على التوغل في الفراغات الدقيقة التي تعجز عنها أعتى أنواع فرش تنظيف الأسنان، وكذلك الحال بالنسبة لصناعة فرشاة التنظيف، ولا تنسوا حديثنا عن العناية بالشعر، لذا أصبح من الممكن أن تحصلوا على فرشاة وأمشاط نانوية من الفضة أو الجسيمات النانوية الأخرى، وهناك بعض المستحضرات المهمة مثل منظفات البشرة، لأن جسيمات النانو تعمل كمضادات ميكروبية، ومن ثمَّ يمكنها تنظيف البشرة.
أما مزايا الجسيمات النانوية في التجميل فيمكن تلخيصها في الخواص التالية:

- مضادات ميكروبية وبكتيرية.
- مضادات للشيخوخة.
- مصدات للأشعة الضارة والأتربة والغبار.
- طبقات واقية من الرطوبة والحرارة أو الجفاف.
- أغلفة ضد التقصف والخشونة والمواد الضارة.
- متجانسات للبشرة والمسام تتخلل الجلد على أعماق كبيرة.
- ذات مفعول يدوم مدة أطول.

تبدو تلك المزايا مثالية، أليس كذلك؟ وإن كانت هذه هي الحال بالنسبة لمساحيق التجميل ومستحضراته، ماذا إذاً عن الملابس؟ ترى كيف تبدو صورتها بالنانو هي الأخرى؟

صيحة نانوية

إليكم أحدث صيحات الموضة في عالم الملابس والأناقة، تألقوا بملابس تعمل على أداء وظيفة أو أكثر، بإمكانك الآن أن ترتدي سترة أو معطفاً أو قميصاً مضاداً للبكتيريا والميكروبات ولا يلتصق بالأوساخ والملوثات، كما أن البقع ليس لديها أية فرصة في الالتصاق بالنسيج، والأهم أنه أصبح باستطاعتك أن تسير تحت المطر والرياح من دون أن تعلق قطرة ماء واحدة أو ذرة غبار واحدة بملابسك، ولن تحتاج للمكواة أو حتى للتجفيف أو حتى لتنظيف



Shutterstock

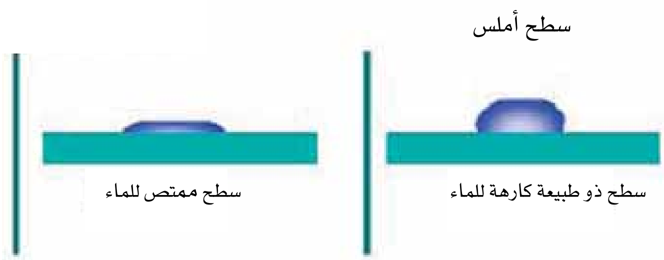
البخار، ولن تحتاج إلى كل هذا العناء وملابسك لا يلتصق بها أي شيء ولا تبتل ولا تتسخ!

وإليكم الصيحة الأخيرة، ملابس تمنع وصول أشعة الشمس فوق البنفسجية إلى جلدك أي أنها مضادة لسرطان الجلد، وملابس جيدة التهوية تعمل كعازل حراري من الطقس الخارجي. إذاً وداعاً لملابس الفصول «الشتوية والصيفية»، فلن تحتاج إلا لطقم أو اثنين على الأكثر لترتديه طوال العام مهما كانت الأجواء، هذه هي مفاهيم الأناقة في عصر النانو، لكن كيف توصل العلم إلى تلك القفزات الهائلة في عالم الأناقة والملابس؟

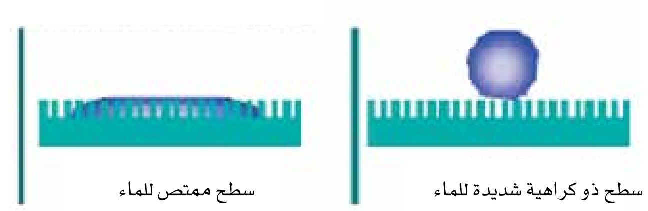
مع النانو سنحصل على ملابس مضادة لسرطان الجلد، وملابس جيدة التهوية تعمل كعازل حراري من الطقس الخارجي

الإجابة ببساطة هي سلسلة من الأبحاث الجادة حول طبيعة المنسوجات وخصائصها وطرق معالجتها في أثناء عمليات التصنيع، وخاصةً في مرحلة التشطيب، حيث تتم إضافة معلقات النانو الخاصة جداً، وعادة ما تكون من ثاني أكسيد التيتانيوم الذي يمكن أن يكون في حالة «جلّ» أو حالة «سائل» وهو ما يعرف علمياً باسم Sol- Gel، وهناك مواد كربونية خاصة يمكن إضافتها إلى المراحل النهائية من تصنيع الملابس والمنسوجات، وطبقاً للباحث حسام أبو الفتوح، الباحث بإحدى شركات القطاع الخاص في مصر والمنتجة لهذا النوع من التقنيات والتي تعمل على تقديمها للأسواق التجارية، فإن مدة تصل إلى 24 ساعة يجب أن تلي المعالجة النهائية بالجسيمات النانوية لكي يتم الحصول على المزايا العديدة لتلك التقنية، كما أن استخدام النانو ليس فقط في المرحلة النهائية من التصنيع، بل يمكن أن تتم جميع المراحل من خلال مواد نانوية أو بمجرد دخول مادة أو أكثر من المواد النانوية في مرحلة أو أكثر من مراحل التصنيع، ويمكن الحصول على تلك المواد في صورة بخاخات يتم رش الملابس بها حتى نحصل على منتج ذي مواصفات عالية وجودة خاصة جداً.

فلنتحدث عن كل خاصية من تلك الخواص، وكيفية الحصول عليها، في البداية خاصية سريان الماء من دون أن يبتل النسيج، هي إحدى الحيل القديمة التي يعرفها صناع النسيج وتتم بإحدى طريقتين: إما عن طريق تكوين طبقة خشنة السطح ذات طبيعة كارهة للماء Hydrophobic، وإما عن طريق معالجة سطح خشن بمواد خاصة تمتاز بانخفاض في مقدار الطاقة الحرة



ملابس كارهة للماء بأسطح من مواد نانوية للمنسوجات الحساسة



ملابس غير منفذة للماء نهائياً وشديدة الكره للماء بأسطح من مواد نانوية خاصة ومعالجات خاصة

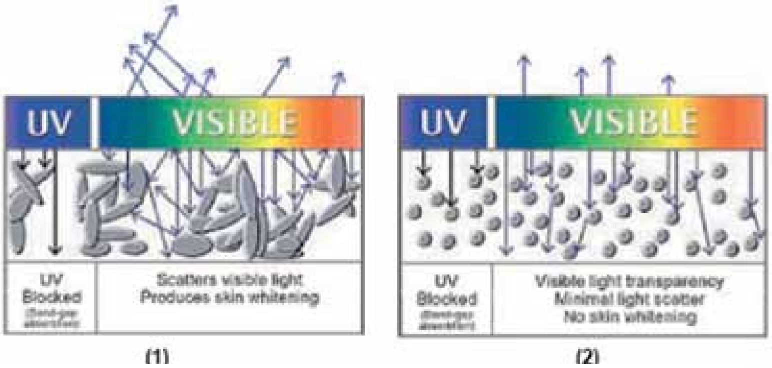


صورة من نسيج تمت معالجته بمادة ثاني أكسيد التيتانيوم النانوي ونسيج آخر من دون معالجة نانوية، والفرق يوضح أسباب عدم وصول الأشعة الضارة إلى الجسم بسبب طبيعة الطبقة النهائية وخواصها العاكسة للضوء الضار.

الموجودة على سطحها وهو الأمر المتوافر في جسيمات الفلوروكربون النانوية والتي عادة ما تمتزج بالمنسوجات القطنية من دون أن تتسبب في حدوث أي تأثير في الأقطان وخواصها. أما عن خاصية منع وصول الأشعة الضارة من الأشعة فوق البنفسجية والضوء المرئي، فيمكن تبسيط ذلك على النحو التالي:

عادة ما تكون المواد والمركبات المانعة للأشعة فوق البنفسجية من أشباه الموصلات مثل ثاني أكسيد التيتانيوم، وأكسيد الخارصين، وأكسيد الألومنيوم، وأكسيد السيليكون وغيرها، على الرغم من أن مفعول

تلك المعالجات لا يدوم، ولكن في الحجم النانوي فإن أكثر تلك المواد شيوعاً في الاستخدام هي مركبات ثاني أكسيد التيتانيوم وأكسيد الخارصين، ومن العجيب أن اختلاف الحجم أحدث فرقاً كبيراً في قدرة تلك المواد على منع



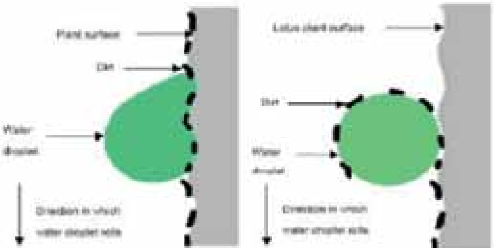
في الشكل 1 تبدو المواد المانعة للأشعة فوق البنفسجية في حجمها الطبيعي وهي تعمل على صد الأشعة الضارة، بينما تسمح للضوء المشتت من المنطقة المرئية بالوصول إلى الجلد، ما يؤدي إلى ابيضاض الجلد، بينما في الشكل 2 والذي يستخدم مواد نانوية تبدو الكفاءة أعلى بحيث يتم منع الأشعة المرئية والأشعة فوق البنفسجية ما يحافظ على سلامة الجلد.

الأشعة في منطقة الضوء فوق البنفسجي الأكثر تشتتاً وهي الأكثر ضرراً بالجسم من اختراق النسيج، ويعود ذلك لمساحة السطح الكبيرة التي تتيحها تلك الجسيمات النانوية لصد الأشعة ومنع وصولها، وبالطبع تحتاج تلك الكفاءة العالية إلى تصميم خاص لأبعاد تلك الجسيمات في الصناعة.

أسرار الأناقة في النظافة

من المعروف أن النظافة مرادفة للأناقة والتميز، وإليكم طريقة الحصول على ملابس ضد الاتساخ والأتربة والقاذورات وضد البقع أيضاً، والسرُّ يكمن في المراقبة الدقيقة لأسطح النباتات التي تتخلص من المواد العالقة بها وتعمل على تنظيف نفسها ذاتياً، وبمجرد دراسة طبيعة أسطح أكثر من 350 نباتاً وخواصها، استطعنا أن نقوم بعمل محاكيات لتلك الأسطح من خلال المواد النانوية، الأمر الذي يحافظ على النظافة ويقلل من عملية الاتساخ، ويعلق على ذلك الباحث حسام أبو الفتوح، بقوله: «إن الأوساخ تبدو وكأنها سيل منهمر من الكريات الصغيرة التي تتدحرج فوق مواد النانو التي تمت معالجة النسيج بها».

وتتبقى لنا خاصية أخيرة وهي خاصية التعقيم، حيث تمنع ملابس النانو الإصابة بالميكروبات من خلال منع امتصاصها على سطح النسيج، وعادة ما يكون



رسم يوضح تحويل الأسطح المعالجة بالنانو للبقع إلى كريات لا تلتصق بالسطح ومن ثم يسهل التخلص منها، بينما تمتاز أسطح المنسوجات العادية بالبقع ما يتسبب في اتساخها.

المركب الأكثر شهرة واستخداماً في هذا المجال هو مركبات الفضة وأكاسيد الفضة، لما هو معروف عن خواصها بأنها تعمل كمضادات للبكتيريا والميكروبات. الصورة في النهاية تبدو مثالية أليس كذلك؟

لا تنجرف وراء الموضة

في الحقيقة يكثر الحديث في الأوساط العلمية عن مخاطر استخدام النانو بشكل مباشر على الجلد، مثلما هو الحال في مساحيق التجميل ومستحضراته، بالرغم من أن غسيل الوجه والبشرة بالماء يخلص الجلد والمسام من قدر كبير من تلك المستحضرات، إلا أن حجمها الدقيق الذي يتوغل بشكل أكثر عمقاً في البشرة قد لا يجعل الوصول إليها ممكناً بوساطة عمليات التنظيف المتبعة عادة، ومن ثمَّ تراكمها في البشرة قد يؤدي إلى حدوث مضاعفات غير محسوبة نتيجة عدم كفاية الدراسات العلمية حول طرق تفاعلها مع الجسم أو الخلايا الحية بشكل دقيق، وبالرغم من أن المعلومات الواردة بهذا المقال مستقاة من مصادر بحثية لدوريات علمية بريطانية، وأمريكية وأوروبية، وصينية، حيث تقدمت وتطورت صناعة النانو في الصين كثيراً، إلا أن الدراسات حول تأثيرها البيئي والصحي لا تزال غير كافية.

ورغم ذلك فالاختيار بين أيديكم.. أي سوق تفضلون؟ ميجا ماركت.. أم نانو ماركت؟

«دكتور في المنزل» لمهاتير محمد
مذكرات صانع ماليزيا الحديثة

يحكي هذا الكتاب «دكتور في المنزل» (2011م) لـ «مهاتير محمد»، رئيس وزراء ماليزيا، قصة واحد من أهم الشخصيات السياسية في العالم، شخصية صنعت تاريخها وتاريخ بلادها على السواء. لقد استطاع مهاتير في الاثنتين والعشرين سنة التي كان فيها رئيس وزراء ماليزيا أن يحوِّل بلاده، من زراعية راكدة إلى قوة صناعية جعلتها ضمن كبريات الدول التجارية في العالم. هذا الإنجاز العظيم لم يمر دون جدل ونقاش حول كيف تم ذلك.

تميَّز د.مهاتير محمد برؤية غير عادية وبقبضة حديدية، أكسبته أعداء أكثر مما له من معجبين ومتحمسين، من داخل ماليزيا وخارجها. لقد وُصف مهاتير بالديكتاتور الطاغية والتنويري والمدافع عن المضطهدين في العالم الثالث، كما عُرف بدفاعه عن الإسلام المعتدل. وفي كل منعطف وفي كل مرحلة جديدة يعيد مهاتير كتابة القواعد والأسس.

يكشف هذا الكتاب عن جوانب غير معروفة في حياته، إنها جوانب خاصة وجريئة في حياة الإنسان ورجل الدولة. يسرد في شكل واضح ومقنع التاريخ السياسي لماليزيا الحديثة، من وجهة نظر واحد من أعظم صناعه. من دون اعتذار ولا دفاع إنما بالقوة، كتاب يقول لنا كيف حقق مهاتير ما حققه في وقت قصير.

يغطي الكتاب مراحل مهمة من حياة مهاتير، منذ أن كان صغيراً إلى وصوله لمنصب رئيس الوزراء، الذي حكم بلاده لمدة 22 سنة، ثم إحالته إلى التقاعد. في الكتاب نعرف أن مهاتير يعد الزواج مسألة مثالية، ويرى أنه في الحياة الزوجية لا يمكن تجنب الخلافات، غير أنه لا ينبغي أن يسبب ذلك أي تفكك في العلاقات الزوجية. يتحدث مهاتير عن حفاظه على الوقت، وتشدده في هذه المسألة. وفي فصل آخر يذكر أنه اشترى الكثير من كتب تداول العملات، من أجل فهم أفضل لآلياتها، لاعتقاده أن تداول العملات، وليس الاقتصاد، هو من يؤثر في العملة الماليزية. وسعى إلى وقف التداول بالعملة، لكن هناك من نصحه بالعدول عن الفكرة، لأنها مضرة باقتصادات البلدان النامية. قال إن العالم أدان الضوابط التي فرضها على عملتهم، في حين قال عدد من الاقتصاديين، إن ذلك لا يتماشى مع النظام التجاري المفتوح في السوق. وأشار إلى توقع الخبراء كوارث بالنسبة لماليزيا. لكنه أصرَّ على ضبط العملة، بل وجد فيها الجواب الصحيح لنهب الدول الصغيرة من تجار العملة في الدول الغنية.

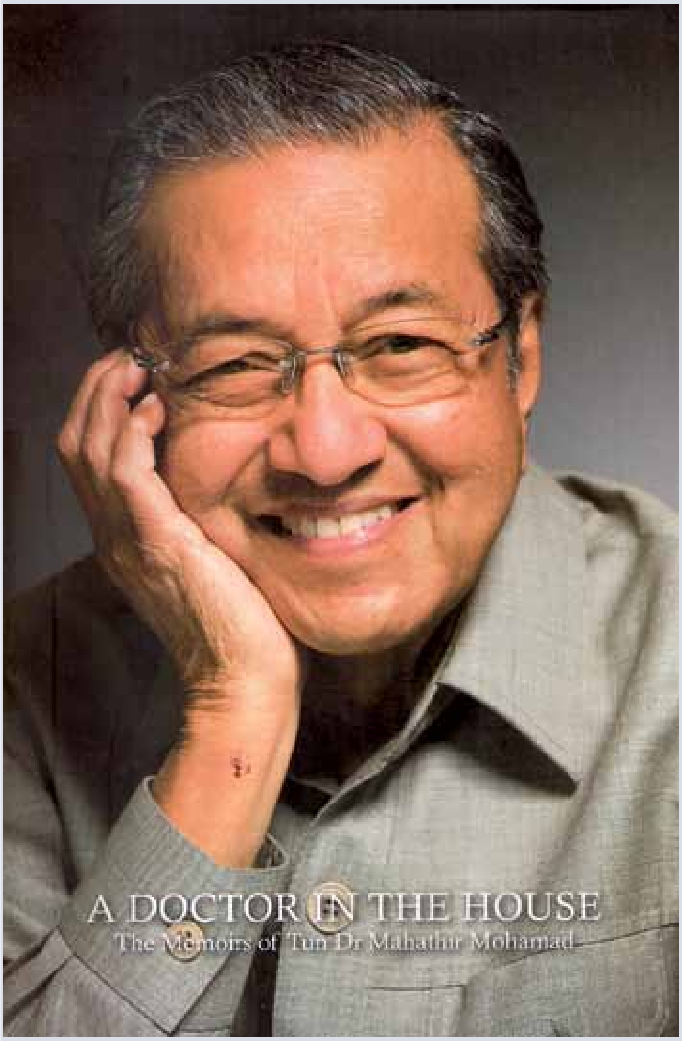
«قد يكون ما سلكناه تقليدياً»، يقول مهاتير، لكنه كان عملاً جيِّداً، حتى إن صندوق النقد الدولي اعترف في خاتمة المطاف بأن عملنا كان جيِّداً، بالرغم من أنهم لم يوصوا الدول الأخرى بأن تسلك طريقنا نفسه».

وقال مهاتير محمد إنه تم الاعتراف بأن ماليزيا فعلت الشيء الصحيح، في عدم الخضوع لصندوق النقد الدولي.

ألهم الدكتور مهاتير عدداً كبيراً من الشخصيات، بما حققه، خلال قيادته لأهم المنعطفات في تاريخ ماليزيا، كدولة وأمة حديثة. تلك الأوقات التي عاشها مهاتير كانت مزيجاً من التحدي الكبير والتغيير، والأزمات والفرص، وواجه انتقادات موضوعية، وبعضها كان قاسياً، لكنه كان مستمراً في التحديث وإعادة صياغة بلاده.

يأخذ رئيس الوزراء، الذي لفت الأنظار إلى إنجازاته الهائلة، القارئ في رحلة غير معروفة، سوى بالنسبة لعدد قليل من خارج أسرته. في أكثر من 800 صفحة، يتجول القارئ، يقوده مهاتير الملهم، في غابة من التفاصيل والعزم والإصرار والطموح الذي لا يعرف الاستسلام. ذكريات الطفولة، أهم الأحداث في تاريخ الملايا في النضال، غروب شمس الاستعمار البريطاني، الحرب العالمية، الاستقلال، نضالاته المستمرة كسياسي، آماله وأحلامه وأيضاً مخاوفه العظيمة، كل ذلك في الكتاب.

يحكي الكتاب البديع قصة ماليزيا، لكنه في الوقت نفسه، يسرد قصة مهاتير نفسه، هذا الرئيس الذي يفتخر بأنه الديكتاتور الوحيد الذي تخلى عن الرئاسة وهو في عز صحته، ترك الرئاسة وبلده في مقدمة البلدان الصناعية، التي كانت تستورد كل شيء تقريباً، والآن أضحت تصدر، وتعيش في رخاء وازدهار.



في هذا الكتاب نعثر على حكمة الآباء المؤسسين لماليزيا، الذين وضعوا النظام السياسي الذي مكَّن البلد سلمياً وديمقراطياً من حل المشاكل، والتغلب على التحديثات الكامنة في مجتمع معقد.

قد لا تكون ديمقراطية ماليزيا على غرار الديمقراطيات الليبرالية في الغرب، ولكنها كانت خيار الحكومات المنتخبة من الشعب وحكومات الولايات، يوضح مهاتير، ويضيف قائلاً: إن العديد من المستعمرات السابقة، لم تكن قادرة على تبني الديمقراطية، غير أنه اليوم وفي ماليزيا يمكن للمرشحين من المعارضة الفوز، وأن ينجحوا بما فيه الكفاية للسيطرة على حكومات الولايات، إن لم يكن للحكومة المركزية.

بلقيس أحمد

الأرض دافئة أكثر من اللازم!



Shutterstock

هل تحتاج الأرض إلى مقياس حرارة بين حين وآخر كما يحتاج الإنسان في حالات تقلب الطقس وتغير الفصول؟! لا بد للأرض أن تحافظ على حرارتها التي تتمثل في التيار المناخي الاستوائي، والتوزان المائي، ونظام الأمطار، كي لا تصاب كما نصاب بارتفاع في درجة الحرارة، ومن ثمَّ نصاب بالحمى وتغزونا الهلوسات. إن قطع الأشجار يغيِّر بشكل جذري حرارة الأرض التي نطمح أن تظل بعافية دوماً. محمد الأمير الباحث في علوم الأرض والبيئة يحدثنا عن التحولات في درجة حرارة الأرض، وذلك من العصر الدافئ إلى استحضار الإنسان للغابات والتحول في الأرض.

يعتقد الكثيرون أن أثر ظاهرة الدفيئة لم يكتشف إلا منذ سنوات قليلة، وخصوصاً بعد الدعاية الإعلامية التي أبرزته كعامل حاسم في الواقع البيئي. إلا أن هذا الأثر معروف منذ بداية القرن التاسع عشر.

يشكل الغلاف الجوي للأرض ما يشبه الغلاف الزجاجي أو البلاستيكي الذي يغلف البيوت الزراعية الزجاجية، وبذلك يكوّن الدفيئة الطبيعية. فهو يمرر أشعة الشمس، لكنه يحفظ جزءاً مهماً من الحرارة المتراكمة عند سطح الأرض. وبفضل الآثار المناخية لهذه الدفيئة الطبيعية أمكن للحياة أن تظهر. إلا أن النشاطات الصناعية البشرية المتزايدة وما يتبعها من إطلاق لغازات الفحم والميثان وغيرهما إلى الجو بنسب خطيرة يطرح تساؤلات كثيرة منها: إلى أي حد نحن، كبشر، مسؤولون عن الإخلال بتوازن المناخ؟ إذا كانت بعض الوقائع تبدو أكيدة، فإن تفسيرها لا يزال دقيقاً وصعباً. فالمسألة لا ترتبط في نهاية الأمر بعوامل محددة، بل هي تتعلق بعوامل متداخلة قد تكون لا نهائية. وكمثال فإن قطع الأشجار يغير بشكل جذري التيار المناخي الاستوائي، ومعه التوازن المائي ونظام الأمطار. كما أن ازدياد الغازات القادرة على امتصاص الأشعة تحت الحمراء سيؤدي إلى تسخين الأرض من خلال زيادة فاعلية الدفيئة. وهذا يطرح تساؤلات عدة عن: كم سيكون حجم هذا التسخين؟ وكيف سيكون توزعه الجغرافي؟ وما أثر ذلك في المسطحات المائية؟


Shutterstock

العصر الدافئ

يعيش العالم اليوم في ظروف مناخية متغيرة بشكل ملحوظ عبر العصور. ومن أمثلة ذلك التغير الدوري في تدفق الطاقة الشمسية الساقطة على كوكب الأرض نتيجة لتغير مسار أو ميل محور دوران الكوكب، وبالتالي تناوب العصور الجليدية والدافئة خلال فترات تمتد بين 20000 و 100000 سنة. إلا أن السؤال المهم يتعلق بدرجة تأثير النشاط الإنساني على المناخ في كوكب الأرض. فقد ترافق العصر الدافئ الأخير الذي حل على كوكبنا بانفجار سكاني هائل


Shutterstock

للنوع الإنساني، الأمر الذي أدى إلى إزالة متزايدة للغطاء النباتي نتيجة تطوير الصناعة، وخصوصاً خلال القرنين المنصرمين. فمنذ أقل من قرنين كان عدد سكان العالم أقل من مليار نسمة، وهو في الوقت الراهن 7 مليارات، وخلال نصف قرن سيصل عدد سكان العالم إلى عشرة مليارات نسمة. وسيترافق ذلك بالتأكيد بتغير هائل في النظام البيئي للأرض، وبخاصة التغير في الغطاء النباتي وفي التركيب الكيميائي للغلاف الجوي. ومثل هذا التغير سيوازي، كما يرى معظم العلماء، التغيرات الطبيعية التي تحدث خلال آلاف السنين، إنما سيتم خلال فترات أقصر بكثير. فالفترة التي كان يستغرقها الانتقال من عصر جليدي إلى عصر دافئ خلال آلاف السنين كانت ضرورية لإذابة الجليد ببطء ولموازنة الأنظمة البيئية. أما الانتقال السريع خلال بضعة قرون فيهدد عدداً كبيراً من الأنظمة البيئية بالزوال.

استهلاك الغابات

لقد استهلك الإنسان منذ نحو ثلاثة آلاف سنة الأخشاب في بناء بيوته وسفنه وفي طهو طعامه. وجرد البحر المتوسط بشكل خاص من جزء كبير من ثروته النباتية. وخلال قرون قليلة استهلكت أوروبا معظم غاباتها. وها نحن اليوم نقضي خلال عقود قليلة على ما تبقى من غابات استوائية في إندونيسيا وأفريقيا والأمازون.

والأخيرة تمتص وحدها بسبب كثافتها نسبة عالية جداً من الطاقة الشمسية ولا تعيد إلى الجو سوى 12 % من هذه الطاقة. وتستفيد المنطقة كثيفة الشجر بفضل البخر من انتظام حراري فعال يعدل درجات الحرارة، ما يؤدي إلى إطلاقها كمية أقل من الأشعة تحت الحمراء. ويوفر البخر لها، إضافة إلى ذلك، غطاء كثيفاً من الغيوم يخفف من ضياع الطاقة الحرارية نحو الجو. وباختصار تستهلك الغابات الكثيفة كمية كبيرة من الطاقة الشمسية وتفقد حرارة بسيطة نسبياً بالإشعاع. وذلك على عكس المناطق الصحراوية تماماً. وهذا يعني أن إزالة الغابات من الكوكب سيؤدي إلى انخفاض عام في درجات الحرارة.

أما الغلاف الجوي فهو أكثر ارتباطاً بالدفيئة. فمضاعفة الغازات الناتجة عن حرق الوقود الأحفوري في الجو ستؤدي حتماً إلى تسخين الأرض. وهذا الأثر الذي يسببه تغيير تركيب الغلاف الجوي هو ما ندعوه بظاهرة البيوت الزجاجية أو الدفيئة، التي ترتكز على خاصية امتصاص الأشعة ما تحت الحمراء، ما يؤدي إلى حبس الحرارة في الطبقات الجوية القريبة من سطح الأرض.. وهكذا تنجم الدفيئة عن هذا الامتصاص. وما يهمنا الآن هو كيف سيؤثر تضاعف نسبة هذه الغازات في الجو، خلال القرن القادم، في الطقس؟ وما هي درجته أو توزعه الجغرافي أو تأثيره في نظم المياه المحلية. ناهيك عن أن ارتفاع درجات الحرارة سينعكس مثلاً على الجليد، ويؤدي بالتالي إلى امتصاص أكبر لطاقة الشمس وارتفاع إضافي في درجات الحرارة. أما الغيوم فتلعب دوراً مزدوجاً ومهماً في الحاصل النهائي للإشعاع الأرضي.


Shutterstock


Shutterstock

خلال قرون قليلة استهلكت أوروبا معظم غاباتها. وها نحن اليوم نقضي خلال عقود قليلة على ما تبقى من غابات استوائية

فهي من جهة تبرد المناخ بعكسها للطاقة الشمسية للغيوم المنخفضة المحملة بالماء، ومن جهة أخرى تساهم بشكل واضح في الدفيئة، لأن الغيوم العالية تمتص بشكل فعال الأشعة ما تحت الحمراء. وهكذا نرى تعقيد مسألة انعكاس ارتفاع درجة الحرارة على الغيوم، الأمر الذي يبقي المسألة مفتوحة على شتى الاحتمالات.

وعلينا ألا ننسى أن التغيير المناخي يرتكز، أيضاً، على المحيطات العميقة، والتي تتراوح فترات استجاباتها للمؤثرات بين قرن أو أكثر. وهكذا نجد أن التغير المناخي الناجم عن تدخل الإنسان لا يزال خاضعاً لأمور كثيرة. ونستخلص من ذلك عدم قدرتنا على التوصل إلى معلومات حاسمة ودقيقة حول أثر هذه الغازات في الجو وكمياتها المتزايدة. كما أن معظم هذه الغازات ذات عمر طويل نسبياً في الجو قبل تحللها، ما يساعد على زيادة نسبة تركيزها ويؤدي إلى إمكانية تأثيرها المباشر في المناخ خلال قرن، أو عقد، أو بضع سنوات.

التحول الغذائي

لا شك أن مناخاً أكثر حرارة سيؤدي إلى تأثيرات واضحة على توزع النباتات والزراعات على الأرض. فالحرارة تؤثر مباشرة في الأيض عند النباتات، أي على التحول الغذائي عندها. كذلك يمكن لتغير مناخي محتمل أن يغير كمية المياه التي تبخرها الأرض والنباتات وبالتالي كمية المياه المتوفرة. وهذا يقودنا إلى البحث عن بعض الحلول الممكنة أو الآراء التي قد تخفف على الأقل من التخلخل البيئي ومن أثر الدفيئة.. لكننا في الحقيقة لا نملك سوى القليل من الكلمات: البساطة، والأصالة، وروح الوحدة مع الطبيعة.

وعلى هذا، فإن دور الإنسان يجب أن يتمثل خلال المرحلة المقبلة في بحث جاد وحقيقي عن كل إمكانية أو قيمة تعيد إليه توازنه الطبيعي الذي فقده منذ زمن.





sspc

مركبات إلكترونية
في معرض EVEX

تولي اليابان اهتماماً كبيراً للاختراعات والاكتشافات في شتى المجالات. في أكتوبر 2011، انطلق معرض تطوير المركبات الإلكترونية لمدة ثلاثة أيام في مدينة يوكوهاما. استقطب هذا الحدث الفريد من نوعه في اليابان ما لا يقل عن 41 ألف زائر من رجال الأعمال ومصممي السيارات ومحبي التكنولوجيا.

ضم المعرض الكثير من المركبات المتطورة، كان من أبرزها سيارة إيفي هيميكو. تعمل هذه السيارة بالطاقة الكهربائية وتصل سرعتها إلى 587 كلم/ساعة وتتسع لراكبين. تمتاز السيارة بفخامة مظهرها وجودة تصنيعها. وكذلك أدهشت دراجة باتورا الزائرين. تسير الدراجة بسرعة 100 كلم/ساعة، وقد صممت كطريقة عملية واقتصادية لإيصال الوجبات السريعة للمنازل.



sspc

كاميرا بحجم عقلة الإصبع

فاجأت شركة ثانكو اليابانية زوارها بكاميرا ضئيلة الحجم. تصب هذه الشركة اهتمامها على إنتاج الإكسسوارات الإلكترونية الغريبة. تزن ميمي كام Meme-Cam أحد عشر غراماً فقط وأطوالها 30x27x27 ملليمتراً. برغم صغر حجمها إلا أنها تتمتع بمواصفات ممتازة، فيمكنها التقاط الصور بوضوح 1200 × 1600 JPEG وفيديوهات بصيغة 640 × 480 AVI. تصل سعة الذاكرة إلى 32 جيجا بايت وتُفرّغ عن طريق وصلها بالكمبيوتر. تعمل بطاريتها لمدة 36 دقيقة، ويتطلب شحنها ساعة واحدة. كذلك يمكن استخدامها كمسجل للصوت.

طالب يبتكر جرساً ذكياً



sspc

ابتكر الطفل اللامع لورانس روك ذو الثلاثة عشر عاماً جرساً ذكياً. يحتوي الجرس على شريحة تقوم بتحويل الرنة تلقائياً إلى الهاتف النقال لصاحب المنزل إذا لم يفتح الباب خلال ثماني ثوان. لقد تبلورت لدى لورانس هذه الفكرة بعد عدم تمكن والدته من استلام بعض الطلبيات عند وجودها خارج المنزل.
أراد لورانس أن يضع هاتفاً بداخل الجرس حتى يتمكن الطرفان من الحديث عوضاً عن الذهاب لمكتب البريد لاستلام الطلب، بهذه الطريقة الذكية يمكنها التحدث مع الطارق والاتفاق على وقت آخر للقدوم. حاز لورانس على 250 ألف جنيه استرليني بعد أن طرح هذا الاختراع في الأسواق، فهو ليس مساعداً لمحادثة الطارق فقط، بل وسيلة خداع لكل من يحاول اقتحام المنزل في غياب صاحبه.



sspc

السيارة الطائرة حلم يرى النور

تعددت المحاولات لاختراع سيارة تطير، لكن سيارة Transition هي الأولى التي بلغت غايتها. قام بالعمل على هذه الآلة خبراء من شركة ناسا بالتعاون مع شركة EAA AirVenture، يمكن للسيارة أن تفرد جناحيها وتبدأ بالتحليق خلال ثلاثين ثانية من ضبط الإعدادات.



sspc

كل ما يحتاج إليه السائق هو قيادتها كسائر السيارات إلى أقرب مطار والانطلاق من مدرجاته. تصل سرعتها القصوى إلى 600 كم/ساعة، وتستمر بالتحليق لمسافة 500 كيلو بارتفاع متوسط. تمتاز السيارة الطائرة بأنها أكثر أماناً من الطائرات، حيث يمكن الهبوط بسهولة حال اضطراب الطقس.

يستطيع أي شخص الحصول عليها بشرط أن يكون حاصلاً على رخصة طيران خاصة تعطى بعد تدريب 20 ساعة فقط. برغم تكلفتها المرتفعة، التي تصل إلى ربع مليون دولار، إلا أن 100 زبون قد حجزوا سياراتهم قبل نزولها في الأسواق. يهدف هذا المنتج إلى تخفيف الزحام المروري وتقليل التلوث البيئي، ومن المقرر عرض السيارة الطائرة في الأسواق عام 2012، وسيتم قصر استخدامها في المرحلة الأولى على قوات الإنقاذ. من المتوقع أن تتاح للعامة بعد خمس سنوات.

كاسبر.. روبوت صديق لمرضى التوحّد

صمَّم مخترعون صينيون من جامعة Hertfordshire روبوتاً جديداً مختصاً بمساعدة أطفال التوحّد. يمتاز الروبوت كاسبر بمشابهته التامة لهيئة الأطفال، وله طبقة من الجلد الصناعي. يهدف صانعو الروبوت إلى أن يفتح أفقاً جديداً لعلاج التوحد ويدخل بصيص أمل على الأطفال وذويهم. تمت برمجة الروبوت على أن يكون صديقاً للطفل المصاب ويعلمه كيف يتواصل بطريقة أفضل مع مجتمعه وأقرانه. يستطيع كاسبر أن يبتسم ويضحك ويعبس، وأيضاً يستطيع نطق بعض الكلمات، ما يساعد الطفل على أن يعبِّر عن مشاعره ويفهم تعابير وجوه الآخرين بطريقة أفضل. يعد هذا الروبوت من أفضل الاختراعات الجديدة في عالم الصحة.



sspc



sspc

السيراميك..
من الأواني إلى العظام



Shutterstock

حين تعيد الطبيعة اكتشاف نفسها مرة واثنتين وثلاثاً، يجد الإنسان نفسه أمام واحدة من أمتع التجارب العلمية، وأكثرها دهشةً وثراءً. كان هذا واقع علاقة الإنسان بمادة السيراميك «الخزف» الذي أعاد الإنسان اكتشافه أكثر من مرة، باستخدامه استخدامات متنوعة إلى حد التباين، ونجاح تجربة الاعتماد عليه في صناعات وأغراض شتى بامتياز، لا يتوافر لكثير من عناصر الطبيعة وموادها أحادية الاستخدام، حسبما ستوضح لنا د. وفاء إسماعيل، ما يجعل هذه المادة المدهشة في قدرتها على التوغل في حياة الإنسان، وتلبية احتياجاته المتعددة، وتطوير استخداماتها عبر حضاراته المتعاقبة، أشبه ما تكون بملح الطعام.

في زمن مبكر بدأت علاقة الإنسان بمادة السيراميك «الخزف»، أدرك خواصها التي جعلت خياره يقع عليها ليصنع منها أوانيه وتحفه، بيد أن الإنسان مع الوقت أعاد اكتشاف هذا العنصر الطبيعي بالغ التأثير الذي دخل في صناعات غاية في الأهمية للإنسان، بل أهمها على الإطلاق، ألا وهي صناعة قوة الردع العسكرية، إذ استعمل السيراميك مؤخراً بوصفه منتجاً حيوياً مختلفاً في رؤوس الصواريخ، فضلاً عن الاستفادة من خواصه في الجراحات الدقيقة وغيرها.

يحتل السيراميك ترتيباً متقدماً بين المواد التي تلعب دوراً مهماً في أولويات الصناعة بالدول المتقدمة. وهو مادة أرضية غير عضوية تتكون من الكوارتز أو السليكا والكولينات، ومجموعة من الطفلات والمصهرات. هناك سيراميك غير تقليدي يطلق عليه السيراميك الحيوي، يستخدم في العلاج البشري، إذ يستبدل بعظام الجسم أو يرممها أو يدعمها التي تتضرر من الأمراض أو الحوادث، إذ يستعاض بالسيراميك في الفكين والأيدي والجمجمة والمفاصل فتستحدث لها أنسجة سيراميكية شبيهة بالنسيج المفقود، باعتماد تركيبة خاصة لكل جزء من الجسم تلائم وضعيته واستخداماته. وهي جراحات دقيقة من دون شك، فالأنسجة الصلبة في تركيبتها تختلف عن تركيبه العظام، لذا تكون عملية الاستعاضة بالسيراميك عن العظام المفقودة أو المعطوبة على مستوى المايكرو، من أجل ملء فراغات دقيقة جداً، بمعنى أنه عمل يتم على مستوى الخلية بالمايكرسكوب.

توجد خمس مدارس عالمية في استخدامات السيراميك، وتختلف كل واحدة منها بحسب تخصصها وخطها العلمي والبحثي والتطبيقي، فهناك مدارس أمريكية وألمانية وهولندية ويابانية. كما يوجد في فرنسا معهد طبي متخصص ينتج الأجزاء التعويضية من السيراميك ويبيعها كذلك في المجر. أيضاً يدخل السيراميك في صناعات شتى منها صناعة السيارات والمفاعلات الذرية، وهي مهام يلزم لكل منها نوع محدد من السيراميك.

ارتباط تاريخي

أثبت اكتشاف مادة السيراميك في الآثار الفرعونية، تجذر حضور هذه المادة في حياة الجنس البشري، إذ أثبتت الدراسات أن جراحي العظام آنذاك استخدموا السيراميك في ترقيع العظام، أيضاً توصل علماء الآثار والإنثربولوجيا إلى أن إنسان الجيل الثاني أو الثالث من العصر الحجري، اعتمد على هذه المادة في صناعة أوانيه التي كانت عماد حياته البدائية القائمة على الجمع والالتقاط والصيد.

ولقد أثبتت التجربة البشرية مع هذا العنصر الحيوي قدرته على أن يصبح قاسماً مشتركاً بين كثير من الصناعات والاستخدامات بعد معالجته، ما يجعل منه استثماراً مضموناً على الصعيد الاقتصادي، فضلاً عن



Shutterstock

قدرته المدهشة على التأقلم مع جسم الإنسان، في حال استخدامه بديلاً للأجزاء المعطوبة. من هنا اكتسب هذا العنصر أهميته، قديماً وحديثاً، وأصبح همزة وصل بين ماضي الإنسان وحاضره.

وتؤكد دلائل كثيرة على أن الحضارات القديمة عرفت السيراميك واستخداماته في شتى شؤون الحياة. ليس في مصر وحسب، بل أيضاً في العراق وسوريا، فكانت تصنع منه الكؤوس وأدوات الشرب المختلفة، كما كانت تتخذ منه حاويات لحفظ الحبوب، فضلاً عن دخوله في تصاميم المباني التي كانت يستخدم فيها سيراميك بديع أخاذ. وحتى الآن يعتمد على السيراميك في واجهات المباني الحديثة والحمامات والمطابخ والأرضيات والجدران في كثير من دول العالم.

نقلة كبرى

مؤخراً شرعت التقنية الحديثة تطوع هذه المادة المدهشة لخدمة أهداف صناعية متطورة، بعد إدخال بعض التحديثات عليها بصهرها واستنباط مواد جديدة منها، أو خلطها بمواد أخرى، ما يتيح استخدامها في أغراض شتى تصل إلى الاعتماد عليها في صناعة قواعد الصواريخ التي تتطلب تحمل درجات حرارة عالية جداً، إذ توصل اليابانيون إلى استخدام نوع من السيراميك يتحمل درجات عالية جداً من الحرارة تتيح له استيعاب الصدمة الحرارية، ولا سيما ذلك النوع من السيراميك الذي يدخل في صناعة رؤوس الصواريخ، إذ اتضح علمياً أن توليفة السيراميك مع البلاستيك يتولد عنها مركب جديد أقوى منهما معاً يتحمل درجة حرارة تصل إلى 2000 درجة مئوية، في حين أن أقصى درجة حرارة يمكن أن يتحملها كل منهما على حدة تراوح بين 200 و600 درجة مئوية. الأمر نفسه يتكرر بخلط السيراميك والألمونيوم الذي ينتج منه مركب يتحمل حرارة تصل إلى 2050 درجة مئوية، في حين أن معدن الألمونيوم وحده ينصهر عند 900 درجة مئوية.

يحتل السيراميك ترتيباً متقدماً بين المواد التي تلعب دوراً مهماً في أولويات الصناعة بالدول المتقدمة

وعليه يمكن تركيب مزيج ذي مواصفات محددة تخدم الغرض الذي يراد له، فعلى سبيل المثال هناك الطوب الذي يحتوي على خامات غير نقية نسبياً تحتوي على أكاسيد حديد يجري حرقها عند درجة حرارة منخفضة، وهناك عوازل الكهرباء التي لا بد من نقاء خاماتها بشكل تام، فلا تحتوي على الحديد مطلقاً، حتى لا تقوم بتوصيل الكهرباء ومن ثم فهي تحتاج إلى درجات حرارة عالية لحرق أكاسيد الحديد أو البوتاسيوم.

ولقد كان عام 1963م فارقاً في تطور استخدامات السيراميك، بابتكار مادة السيروزيوم، مركب من السيراميك المخلوط بالبوليمار «البلاستيك» الذي استخدم في صناعة العوازل الكهربائية والمواد الموصلة كهربائياً، وأخيراً المواد فائقة التوصيل الكهربائي في نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات. وتدخل أشباه الموصلات في جميع وسائل الاتصالات والحاسوب، كما أنتج سيراميك على هيئة شرائح وأفلام، ضمن ما يسمى بسيراميك التقنية المتقدمة والأداء العالي.



Shutterstock

وعلى الصعيد الطبي يأتي دور السيراميك الحيوي المركب من فوسفات كالسيوم بنسبة 65% ومواد عضوية بنسبة 35%. كانت ثمة مشكلة تتمثل في أن فكرة بنوك العظام، التي تضم عظام الموتى التي يتبرع بها أصحابها أو ذووهم، تنطوي على محاذير علمية ودينية، فضلاً عن أن ترقيع العظام وإبدال التالف منها بعظام آدمية ثبت فشله علمياً، لأن الجسم يلفظها بعد مدة. وكان البديل تخليق مواد كيميائية لتغطية هذه الأغراض ومساعدة الجسم على بناء عظام بديلة يقبلها الجسم. فكان أن تم التوصل إلى خلطة من بودرة البروتين تستخدم حالياً في طب العظام والأسنان، تحقن هذه المادة تحت الجلد أو في العضلات، بل يصل الأمر إلى بناء جسور لتوصيل العظام ببعضها اعتماداً على هذه المادة. تقوم فكرة دخول هذا المركب إلى جسم

الإنسان على أن الجسم البشري هو أكبر بركة للأملاح مثل الكالسيوم والفوسفات الخاص بالعظام في العالم، وتوجد لدى الأحياء من الإنسان والحيوان غدة بي – تي – إتش الصنبورية، التي تتحكم في التوازن بين هذه الأملاح. فإذا انخفضت نسبة الكالسيوم تعطي أمراً بزيادته، وإذا قل البوتاسيوم أو زاد تفرز أو تقلل من إفرازها للبوتاسيوم حسب الحاجة.

هذا الاكتشاف لبركة الأملاح أدى إلى التفكير في مساعدة جسم الإنسان بحقنه بالبروتين لإعادة بناء التالف من عظامه طبيعياً وآلياً.

لقد احتاج هذا الأمر إلى تضافر فريق من علماء متخصصين في السيراميك والكيمياء والطب والهندسة والتحاليل الطبية والفيزياء، إذ يشترط لكل بحث في هذا المجال توقيع تسعة من العلماء يشتركون في كتابته وصياغته.

هكذا لم يكن السيراميك كيمياء أو فيزياء أو طباً فقط، بل مجموعة هذه العلوم وهمزة الوصل بينها. فالإحصائيات تشير إلى ازدياد الطلب على السيراميك الحيوي، والحاجة إليه، سواء في مجال الأسنان أو العظام، إضافة إلى براءات الاختراع في تطبيقات جديدة تخدم جميع أنواع الزراعات الطبية والترقيع.

أثبت اكتشاف مادة السيراميك في الآثار الفرعونية، تجذر حضور هذه المادة في حياة الجنس البشري

ولا تتوقف محاولات إنتاج أنواع جديدة من السيراميك المخلق، إذ أنتجت منه الثلاجات الصديقة للبيئة التي تنظف نفسها بنفسها باستخدامها أكسيد التيتايوم، كما تجرى أبحاث على السيراميك الحيوي بشكل موسع لإنتاج نوع منه يستفاد به في تعقيم غرف العمليات له خاصية تفريغ الشحنات الكهربائية في تلك الغرف، وأيضاً يستخدم في عزل أسلاك الفولت العالي.

غياب شرق أوسطي

إذا كانت اليابان وعدد من الدول الأوروبية مثل إيطاليا وفرنسا والمجر والصين تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة وألمانيا وكوريا في بحوث السيراميك وصناعته وإنتاجه، فإن المنطقة العربية والشرق



Shutterstock

الأوسط ليست سوى أسواق لترويج منتجات هذه البلدان. بالرغم من أننا في الوطن العربي نمتلك مزايا جديرة بالاهتمام في هذا الميدان، فنحن نتفوق بتوافر الأيدي العاملة الرخيصة والخامات والطاقة، ما يجعل الفرصة سانحة لاستثمار الخامات المتوافرة بكثرة لدينا، فنتمكن من الدخول إلى قائمة مصدري هذه المنتجات، أو على الأقل ننتج ما نحتاج إليه منها.

ينتشر خام السيراميك التقليدي المسمى «كراموس» في صحراء المنطقة الشرقية بمصر، كما تتوافر في الصحراء نفسها مادة الفلدسبار، التي يستعان بها في حرق السيراميك. وتعد الرمال المصرية من أنقى أنواع الرمال في العالم لهذا الغرض.



Shutterstock

قصة ابتكار

الباراسيتامول

يكاد يكون الباراسيتامول دواءً لكل داء، من مسكن لآلام الصداع وآلام العظام إلى مسكن للآلام النفسية كالاكتئاب والقلق، التي بالرغم من أن لها أدوية علاج خاصة، إلا أنه من الممكن أن يقوم الباراسيتامول بالتأثير في إنزيمات معينة قد تلعب دوراً في التأثير في الحالة النفسية والتخفيف من ألم الرفض الاجتماعي في ظروف معينة.

بدأت قصة ابتكاره بخطأ صيدلي، فعندما ندرت أشجار الكينا في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بدأ البحث عن بدائل. وبينما كان الأستاذ أدولف كوسمال يدرس تأثير مادة النفثالين المضادة للطفيليات في جامعة ستراسبورغ، أرسل مساعده لشراء النفتالين، ولكن الصيدلي أخطأ وناوله مادة الأسيتانيليد. وعندما قام كوسمال بدراسته اكتشف مفعوله الخافض للحرارة. بعد ذلك توالت الدراسات حول الأسيتانيليد حتى طُرح في الأسواق في نهاية سنة 1880م لمنافسة مخفضات الحرارة التقليدية التي كانت موجودة حينها مثل حمض الساليسيليك.

وفي سنة 1956م، طرح فريدريك ستيرنز وشركاه أقراص الباراسيتامول في الأسواق البريطانية تحت الاسم التجاري «بانادول» لتسكين الألم وعوارض الحمى، وكان حاله كباقي الأدوية العلاجية لا تُصرف إلا بوصفة طبية. وكانت شهرته الدعائية في أنه لطيف على المعدة في وقت كانت جميع المسكنات الأخرى تحتوي على مادة الأسبرين وهو مهيج معوي. في سنة 1963م تمت إضافة الباراسيتامول إلى دستور الأدوية البريطاني، بعد أن اكتسب شعبية واسعة كمسكن قليل التفاعل مع الأدوية الأخرى وقليل الأعراض الجانبية. واليوم يتم إنتاج الباراسيتامول في جميع أنحاء العالم بعد أن انتهت صلاحية براءة اختراعه في المملكة المتحدة وتحت أسماء تجارية متعددة.



ينتمي الباراسيتامول إلى فئة الأدوية المسكنة غير المخدرة، وتكمن آلية عمله في التأثير في جملة الأعصاب المركزية التي تُعد مسؤولة عن عمليات رفع الحرارة وإحداث الشعور بالألم، وذلك بتثبيط الإنزيمات التي أطلقتها الأعصاب وهذا ما يُفسر خصائص هذا الدواء في خفض الحرارة وتسكين الألم. يتم استقلاب الباراسيتامول بصورة أساسية في الكبد ولا يؤثر في غلق القنوات الشريانية الجنينية كما تفعل مضادات الالتهاب، لذلك فهو آمن للأطفال ولا يسبب تغييراً في المزاج، كما يناسب المصابين بالقرحة المعدية والذين يُعانون تخثر الدم.

في دراسة قامت بها مجلة الجمعية الطبية الأمريكية رأت أن الباراسيتامول هو أحد أكثر الأدوية الموجودة أماناً، إلا أن الجرعات الزائدة تُؤثر سلباً في إنزيمات الكبد. كما يسبب الاستخدام المفرط منه 40% من الجرعات الزائدة كلها، والتي تؤدي تقريباً إلى مئة حالة وفاة تقريباً في السنة. وعلى عكس الولايات المتحدة الأمريكية، يُعدُّ الباراسيتامول منتجاً دوائياً في اليابان، وعليه فهو غير صالح للصرف للمعالجة الذاتية. كما أنه لا يُصرف من دون وصفة طبية من طبيب أو أحد العاملين بالرعاية الصحية، وذلك مع اشتراط توضيح مدة العلاج والكمية.

أما أطرف أخبار الباراسيتامول فهي فرض العقوبات على المطاعم التي تستخدمه في وجبات اللحوم. إذ يلجأ أصحاب المطاعم الشعبية إلى شراء الأغنام الكبيرة في السن نظراً لأسعارها المتدنية، ومن ثم تُضاف حبتا بنادول لكل ذبيحة في الطبخ، وذلك لتذويب اللحوم وجعلها لينة حتى يكاد يشعر الزبون بأنها ذبائح صغيرة في السن.

وبغض النظر عن اسمه التجاري، يُعد الباراسيتامول أو الأسيتامينوفين مسكناً واسع الاستخدام، وليس له العديد من الأعراض الجانبية، كما أنه لا يحتاج إلى وصفة طبية لكي يصرف في الدول العربية مثل الملينات المعوية ومضادات الحرقة في المعدة وغيرها. وهو يُستخدم عموماً لعلاج الصداع والآلام الخفيفة. ويدخل الباراسيتامول مكوناً أساسياً في العديد من وصفات البرد والإنفلونزا. ولكونه مُستخلصاً من مادة القطران، فإن الجرعات المفرطة منه تزيد من احتمالات التسمم الكبدي.

فيلسوف وعالم رياضيات عربي، عاش في زمن الخلافة العباسية، وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة للخليفتين المهدي وهارون الرشيد. قدَّره الخليفة المأمون وقام بتعيينه في «بيت الحكمة»، وهو ما يشبه الصرح الجامعي في زمننا الحالي، تم تشييده لترجمة الكتب والرسائل في سبيل نقل المعرفة والعلم ونشرهما من اليونانية إلى العربية، فكان الكندي بصحبة العديد من أعلام العلم مثل الخوارزمي والأخوة بنو موسى. ومن تكريسه الجهد لترجمة الأعمال الفلسفية اليونانية والبيزنطية، أتقن اللغات، واستطاع الكندي بلورة نظرياته وتفسيراته ومقارنة ما توصل إليه بما ورد في المخطوطات اليونانية والبيزنطية. من أهم رسائله في التصنيف: رسالة في أنواع الجواهر الثمينة وغيرها، رسالة في أنواع السيوف والحديد، رسالة في أنواع الحجارة.

وله مصنفات ورسائل كثيرة جداً في شتى العلوم. وهو أوّل من رسَّخ فهم الفلسفة في الإسلام وترجم الكثير من كتب الفلسفة ولخَّصها. كان عالماً بالحساب والمنطق وطبائع الأعداد والفلك، كما كان منكبّاً على دراسة الهندسة، والموسيقا، والقانون، وعلم المعادن والجواهر. كذلك خاض الكندي مجال الفيزياء وعلم البصريات الهندسي، وقام بصياغة العديد من النظريات الحسابية. كما أسهم مساهمة كبيرة في مجال الصيدلة، إذ يعزى إليه الفضل في اكتشاف التصنيف التنظيمي للجرعات الواجب إعطاؤها للمريض. وفي مجال الهندسة كان الكندي مهندساً معمارياً بارعاً، إذ تم الإيعاز إليه بحفر القنوات بين دجلة والفرات.

قصة مبتكر

يعقوب بن إسحاق الكندي (805-873م)



أما في الموسيقا فقد وضع الكندي سلمًا موسيقيًا ما زال يستخدم في الموسيقا العربية حتى يومنا هذا، كما أضاف الوتر الخامس للعود، وكتب عن التأثير العلاجي للموسيقا من ضمن خمس عشرة أطروحة في علم الموسيقا. واشتهر بأنه مؤسس علم التشفير، إذ تُعد رسالته: مخطوط في فك رسائل التشفير إحدى أكثر دراسات الكندي سبقاً لزمنها، وهي موجودة حالياً في الأرشيف العثماني في مدينة إسطنبول التركية، وهي أقدم وصف موثق حول تحليل الشفرات، إذ كان للكندي الفضل في توضيح أساليب تحليل الشفرات وتطوير طرق يمكن بوساطتها تحليل وتيرة حدوث الحروف ومن ثمَّ فك الشفرات.

ترك الكندي أبحاثه عن الضوء لخلفه الحسن بن الهيثم، إذ خطّ الأول رسومات عن حدوث الرؤية البصرية إذا كان المحيط يسمح للضوء بالمرور كخط مستقيم، وفسَّر كيف يسمح الزجاج بمرور الضوء على نقيض الأجسام المعتمة، وغيرها من الدراسات عن انحراف الزوايا وحدوث الخداع البصري، وانعكاس الضوء وانكساره. ومن رسائله في الفيزياء: رسالة في اختلاف مناظر المرآة، رسالة في سعار المرآة، رسالة في المد والجزر.

كان الكندي أول مسلم يستعمل المنهج العلمي في تفسير القرآن، وبالرغم من اهتماماته المتنوعة في الرياضيات والفلسفة، كان اهتمامه الرئيس في ربط كل العلوم بالدين. وبهذا المنهج الفكري برز الكندي بفلسفة مميزة في التفكير تتمثل في ربط العلوم ببعضها، فلا فلسفة من دون توحيد، ولا حساب من دون منطق، ولذلك عمد إلى توثيق مذكراته في رسائل غزيرة وقام بتأليف أكثر من مائتين وخمسين كتاباً طوال مسيرة حياته التي امتدت زهاء 73 عاماً، وكانت تُعد جميعها مرجعاً علمياً للباحثين والدارسين في أوروبا في أثناء عصر النهضة. وترجمت أعماله إلى الكثير من اللغات أهمها اللاتينية. ومن رسائله في الفلسفة: الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد، كتاب الحث على تعلم الفلسفة، رسالة في ألا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات.

الدُّبة والجِراء

التسخير الكوني للجنس البشري ليس مقتصراً على المشاهد الحسية التي يراها المرء بعينه المجردة، بل يتعداه إلى مشاهد معنوية تحمل رموزاً كثيرة للإنسان الذي حباه الله ملكة التأمل. هناك مشاهد كثيرة تحدث في عالم الحيوان تحمل ما قد يساعد الإنسان على فهم الكثير من معاني الحياة الحقيقية.

على إحدى القنوات الفضائية المهتمة برصد تحركات الحيوانات في مواطنها الأصلية رصدت إحدى المُصورات الأجنبيات مشهد دُبَّة أم، تقف مع جرائها الصغار على جانب النهر، وبينما تقف بسلام مع جرائها يمر على الجانب الآخر من النهر دب ذكر يتضور من الجوع ويرى الجراء الصغيرة وينوي التوجه إليها، رأته الدُّبَّة الأم وبغريزتها أيقنت نيته في الهجوم على جرائها. كانت شجاعة فبادرت بالهجوم، حيث سبحت في النهر متجهة إليه، وما إن وصلت حتى زأرت بقوة سمعت صداها المصورة التي رصدت المشهد من بعيد، ضربته بيدها واستمرت تزأر بأعلى صوتها وتهاجمه إلى أن استسلم واستدار ليعود من حيث أتى. كانت المعركة مركزة على الزئير أكثر من الهجوم الجسدي بين الدب والدبة، وانتصرت الدبة بصوتها وهجومها. وبعد برهة قصيرة وبينما كانت المصورة مستمرة في رصد المشهد لمحت دباً استبعدت جداً أن يكون هو الأول، ولكن بعد التركيز عرفت أنه هو، فالترقيط الذي على جسده كان يميزه، ظهرت عليه ملامح شراسة غير طبيعية وانتقام جبار، واستبعدت المصورة انتصار الدبة عليه هذه المرة، لأن علامات غضبه كانت جامحة ومخيفة ، توجَّه إليها ورأته وبالقوة ذاتها نزلت إلى النهر مرة أخرى وهاجمته وبدوره هاجمها واستمرت بالزئير وهي تضربه بإحدى يديها وتدفعه للعودة من حيث أتى، أخبرت مصورة المشهد في ذلك الوقت بأن الدب كان أكبر حجماً من الدبة وأقوى. ظهر ذلك من مخالبه التي بدت مخيفة وأكبر من مخالبها، ولكنها، بالرغم من ذلك، هزمته ، وعاد الدب مرة أخرى مهزوماً ولم يجرؤ على العودة مرة أخرى.

كان المشهد رائعاً، إذ خالف الانتصار المنطق بالاعتماد على المقاييس والموازين، لكن القوة الداخلية التي يحملها الكائن تكون أحياناً أضعاف أضعاف ما يُظهر مما حباه الخالق.

إن الأم بين جميع الكائنات قد تقتل نفسها من أجل أولادها، وهذا الحب في أعماقها أقوى من أن تسيطر عليه القوة البدنية لأنه فطري، قد تفعل أي شيء لتحميهم وتحافظ عليهم، والمشهد الذي رصدته المصورة تدخلت فيه العناية الإلهية من دون أدنى شك ليكون النصر لمن يحمل في نفسه الشجاعة الكافية لمواجهة أي خطر بسلاح الحس والمسؤولية، ما يعني أن هذا الكون فيه حسابات كثيرة يمكن أن تقلب كل الموازين التي يعتنقها العقل البشري.

رانية عبد الرزاق

الملف المصوّر

عماد بو خمسين

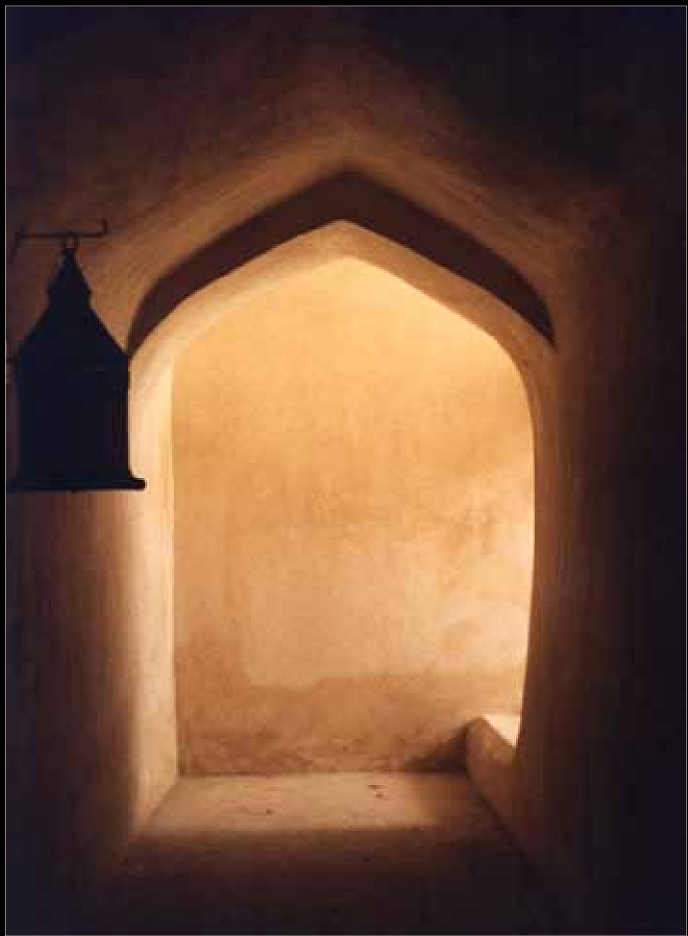
مصوِّر فوتوغرافي وكاتب سعودي، من مواليد مدينة الدمام سنة 1979م. حاصل على شهادة البكالوريوس من جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، تخصص الهندسة المعمارية، سنة 2004م. بدأ التصوير الفوتوغرافي بشكل احترافي منذ سنة 1997م. شارك في العديد من المعارض الفنية الفوتوغرافية العالمية والمحلية. عضو في الجمعية السعودية للتصوير. مهتم بشكل أساسي بتصوير التراث العمراني وتوثيقه في المملكة العربية السعودية والخليج العربي.





على مصاطب الحلم
تتأتى الذكريات تمشي الهوينى،
نفتحِ لها أبواب الزمن
باباً.. باباً
لنتلو على الصحبة ما قد مضى.
بنقاء الأبيض
وبغموض الأسود
وبساطة الزمن الجميل..
الموغل في البعيد
تبقى الصور وحدها
شاهداً على كل التفاصيل.
















ألماسة أم مجرد مرآة عادية؟

التجربة خيار حياة، تصوغك صوب الإيجابي أو السلبي. هذه المسألة ترتبط بشخصيتك، وترتبط بنظرتك إلى الفنجان الذي أمامك.

قلبك هو البوصلة، وصوتك وردود فعلك هي المؤشر الذي يعطي النتيجة.

خيباتنا مع الآخرين من شأنها أن تكون مرايا إيجابية، تعكس الجوهر الذي نكتنزه، الأمر يشبه قطعة الألماس، التي تتحول ضمن سلسلة من العمليات القاهرة إلى شيء يلمع فيضيء الظلام.

أنت تتحدث عن الجور في حياتك من هذا أو ذاك، فلتشعل تلك الألماسة في قلبك، ولتطلق وعداً صادقاً: لن أرضى بالجور لأحد.

ضوء الألماسة سوف يقودك صوب العدل، قد لا تستطيع أن تحققه بشكل كامل، ثمة شركاء لك في المنزل وفي العمل وفي الشارع، لكن يكفي أن تخفف من حدة هذا الجور.

نحن نتحدث عن الحكايات الصغيرة، الحكايات التافهة التي قد لا يتنبه لها الإنسان.

أنت في طريقك إلى منزلك، تلوم قائد المركبة المغرم بالمخالفات، ولكنك لا تنتبه إلى نفسك إذ تمارس ذات المخالفات. المبررات جاهزة أنت مستعجل ومعذور، أما حكمك على الآخر، فيكتنفه نوع من الإدانة: هو جاهل لا يفهم.

هذه صورة من صور الحكايات التافهة التي يمكنك من خلالها أن تستخدم ضوء الألماسة، حتى تحاول صياغة ذلك الخط الشفاف المريح لقلبك.

عندما تبادر باستنكار جور سائق السيارة، وعدم الوقوع في ذات الخطأ الذي وقع فيه، أنت تنتصر على الخيارات السهلة، وتختار ردة الفعل الأرقى.

هذه الأفعال المتحضرة، لا تأتي نتاج فعل فطري، إنها تجربتك وخبرتك وخيباتك مع الحياة. هذه التجارب، أحلتها إلى منجم ألماس، وترجمت من خلالها عذاباتك بشكل يضيء عتمة الأشياء من حولك.

سوف يداهمك الإحباط حتماً، لأنك ستشعر بأن داخلك الطيب، يجعلك تحت ضغط الحلول الأسهل. أن تصبح مثل الآخرين، أن تكون مرآة تبتلع الصور وتعيد تصديرها بكل ما فيها من سلبية.

هنا نلمس الفارق بين المرآة والألماسة، هو نفسه الفارق بين الشخص اليائس والشخص المتفائل.

التفاؤل لا تصنعه أشياء منطقية تماماً، وكذلك الإحباط لا تصنعه أشياء منطقية أيضاً. نحن من يعطي المعنى من خلال كيفية تفاعلنا وتعاملنا مع خبراتنا. لاحظ أنك سوف ترد على كل خيار ستأخذه بسلسلة من التبريرات، وفقاً لما هو مكنوز في جوفك. كلنا يعاني هذا الجوف. وهو مثل أحياناً يغدو مثل الحديقة المهملة، يحتاج إلى إعادة ترتيب وتهذيب. الحديقة الموجودة في داخلنا، تمتلئ بالأشواك، كما تمتلئ النفس بالمرارة. نزع الأشواك هو الخطوة الأولى في إعادة ترتيب الحديقة. والشيءنفسه ينسحب على إعادة تحويل المرارة إلى فعل إيجابي.

هذا السلوك الإيجابي، نحتاج إلى نقله إلى أبنائنا وبناتنا. أصعب لحظة أن يستسلم جيل بأكمله للإحباط. معالجة كل ذلك والتخلص منه يتمثل في إعادة المحاولة مرة وثانية وثالثة. في موروثنا الديني، نجد أن مفهوم التوكل، يعني أن تؤدي عملك على أساس أن لك دوراً في عمارة هذه الأرض. هذا الدور، من الضروري أن تقوم به بإخلاص وبإصرار.

إيقاع من الإيجابية يصل إلى درجة التوجيه النبوي للإنسان أنه إذا قامت عليه القيامة وفي يديه فسيلة فليغرسها. تلك هي قمة الإيجابية. العالم يوشك على الانتهاء، لكن طالما أن لديك فسحة لممارسة إيجابية، لم لا تقوم بها. إنه ضوء الألماسة الذي نفتقده وينبغي أن نحاول استعادته من وقت لآخر.

فلنحاول أن نفتح النوافذ، حتى تضيء الألماسة دواخلنا الجافة، فنصبح أجمل.

خالد السهيل

الإنسان في حضن التجربة



ما من شك في أن التجارب تصنعنا، بل إن الذات الإنسانية لا تعدو في مرحلة متأخرة من مراحلها أن تكون ركاماً من التجارب الإنسانية، السلبية والإيجابية، التي على قدر تفاوت نسبة السلبي إلى الإيجابي منها، وعلى قدر موقف الفرد منها، تتشكل شخصيته ومواقفه من الحياة والناس، على نحو مغاير للآخرين، وعلى قدر غلبة الإيجابي على السلبي أو السلبي على الإيجابي في شخصية الإنسان تتشكل توجهاته في الحياة: من يحب، ومن يكره، وماذا يحب، وماذا يكره، وما الذي بوسعه أن يفعله: تفاصيل كثيرة ذات علاقة بالخط البياني لنمو الإنسان وتشكله عبر تجاربه، يضع أيدينا عليها فريق القافلة في رحلة استكشافية عبر مراحل حياة الذات الإنسانية.

تتبدل حياة الإنسان وتختلف ظروفه، ويبقى هو نفسه تلك الذات المستكشفة التي تندهش من نفسها بنفسها. لا يكتفي بتذوق تجاربه ومشاعره الطبيعية تجاه الأشياء، فيضفي عليها من انطباعاته وخياله، ما يكسب تجربته تكاملاً تستجيب له نفسه بالرضا والرغبة في الاستمرار، أو العكس. وتمتلئ نفس الإنسان بهجة عندما تأتي بداية تجاربه مرضية لأحاسيسه وخياله. لكن الإنسان قد يتخلى حيناً من الدهر عن التفكير العقلاني ويلقي حبل الأمور على غاربها، فتسرق التجارب وقته. نعم قد يدرك



Think Stock



Shutterstock

الكثير عن نفسه حينها، لكن بعد فقدان الكثير.

ولقد قدم لنا أكثر من علم إنساني وصفات لتجارب نافعة في حياتنا، بل إن العلوم الطبيعية نفسها أسهمت في تحليل الذات الإنسانية واستكناه تجاربها وسلوكها، فعلى سبيل المثال، هذا علم الكيمياء، يشرح لنا كيفية توافق الخاطبين، أيضاً علم الاقتصاد يسهم أحياناً في مساعدتنا على إقامة بعض الحسابات والتوازنات ذات الصلة بذواتنا وعلاقاتنا بالكون وبالآخرين. ولا يعني هذا أن بوسعنا أن نضبط كل شيء في حياتنا أو نخضعه للعلم، فأحياناً تتضارب مشاعرنا وأحلامنا إثر اصطدامها بما نحصل عليه فعلياً، فنفقد حاسة الصواب وتلتبس علينا الحقيقة والأوهام. ومهما كانت النتيجة مرة أو حلوة، فالنهاية هي عبارة عن تجربة تُضاف إلى كتاب حياتنا المليء بالتجارب.

العلوم الإنسانية والطبيعية أسهمت في تحليل الذات الإنسانية واستكناه تجاربها وسلوكها ودوافعها

القلب والعقل كفتا الميزان اللتان تدلان على نمط الشخصية، وبهما تتفاوت التجارب من شخص لآخر، بهما نصبر ونواجه، وبهما نتجاوز عتبة الرهبة من الوقوف عند التجربة الأولى، إذ مهما تكررت المواقف فلا يتكرر الصراع مع الذات في رحلة إثبات الوجود بالقوة نفسها. إن مقدار الوقت الذي تتطلبه كل تجربة حتى تنضج وتكتمل شخصيتنا هو ما يميزها عن بقية التجارب التي تليها. ولقد وضع علم النفس الاجتماعي قواعد لأنماط الشخصية المختلفة من حيث كيفية مواجهتها للعوائق وإنهاء كل الأمور المتعلقة بالتجربة التي تعيشها والانتقال إلى التجربة التي تليها.

ولعل أهم التجارب الإنسانية التي يمر بها كل فرد من المنظور البشري هما تجربتا الارتباط العاطفي، والمرحلة التجريبية لتسلم العمل. تكمن أهمية هاتين التجربتين في الجوانب الشرعية والتربوية المتعلقة بهما، وما يتبعهما من جوانب اجتماعية، مالية وقانونية. ولذلك شرعت العادات والأعراف الاجتماعية فترة زمنية تختلف تسميتها من مجتمع لآخر، ولكنها تتطابق في أهدافها. وهي اختبار توافق الذات مع الآخر، سواء في اختيار شريك العمر أو شريك المال والعمل. وللمرحلة التجريبية في الزواج، المتمثلة في فترة الخطوبة، والعمل أثر لا يستهان به في مجالات الحياة كافة، العملية والعاطفية، إذ تختزن نتائج هذه التجربة، الإيجابية أو السلبية، في العقل الباطن، وعلى الفرد التعامل معها بنضج ووعي مهما كانت درجة فشلها.

عاطفة تحت التجربة

شعور الرهبة هو أول ردود الفعل البشرية في أثناء الفترة التجريبية في سنوات الزواج الأولى، وفي معظم الأوقات تلتبس مشاعر الخوف والريبة بمشاعر الدهشة والإعجاب. ويشعر المتزوجون بنشوة غريبة حول أمور بسيطة جداً وروتينية لا يتجاوزونها ظناً منهم أنها الحب. وعندما يبدأ الإدراك باستقبال الحقائق تبدأ مرحلة التقييم الحقيقية التي غالباً ما تتزامن مع قدوم الأبناء أو بعدهم. وعلى قدر ما تتفاوت نتائج التقييم الحقيقية عن الفترة التجريبية الأولى تتباين الدروس الحياتية بين الإيجابية والسلبية. أما بالنسبة لأداة هذا التقييم فهي الحواس التي تمتلك القدرة على تجريد موضوعاتها وتكوين الانطباعات العقلية الحقيقية، فضلاً عن ذلك فهي تكشف للإنسان عن الآخر أكثر مما تكشفه آراء الآخرين ووجهات نظرهم، إلا أن الحواس غير كافية لأخذ القرار بالانفصال إذا كانت نتيجة التقييم سلبية.

هنا يجدر التنويه بحكمة الخالق سبحانه و تعالى بأن شرع الطلاق التجريبي «الرجعي»، وهو بوصفه مهلة شرعية يحمل في طياته قمة الحكمة في قوانين نص عليها القرآن لتلبي جميع الحاجات الفقهية. ففي الطلاق التجريبي

تتهيأ للزوجين الظروف المثالية لتقييم التجربة الإجمالية للزواج قبل حصول الطلاق الشرعي وما يتبعه من عواقب تزيد من الأمور تعقيداً ويمنع صاحبه من التفكير الإيجابي السليم في محاولة للإصلاح وتحاشي أبغض الحلال. وهذا التواصل بين الزوجين اللذين وقعت بينهما جسور التواصل لن يتواصلا إلا إذا تهيأت الظروف لهما لمرحلة تجريبية أخرى، وهذه الظروف هي استعداد كل زوج وقابليته لتحسس إيجابيات الآخر وإدراك معالم العلاقة التي ربطت بينهما.

المرحلة التجريبية في العمل

من المرحلة التجريبية في الحب ننتقل إلى المرحلة التجريبية في العمل، التي على عكس المتوقع، تستنزف طاقة معنوية هائلة تتخطى الطاقة المطلوبة في الزواج وأكثر. إلا أن مدى التفاني والإخلاص والعمل يختلف من شخص لآخر.

وبهذا نجد بعضنا يكد ويعمل ولكنه في الحقيقة بعيد عن المتوقع منه، نتيجة لإدراكه المتقوقع. وهناك، أيضاً، من يقضي هذه الفترة فقط لكونها إجراء طبيعياً، وفي هذه الحالة لا يتوقف صاحب التجربة ليتأمل ما يدور من حوله، وهو بذلك يحرم نفسه والآخرين من فرصة الحصول على التجربة الحقيقية. وقد ينظر بعضهم إلى الفترة التجريبية بوصفها واجباً لا بد من الانتهاء منه من دون تركيز أو تأمل، فيما ترى آخرين يعيشون تحت الضغط ولا يتوقفون عن التأمل وتحصيل الدروس. وآخرون نراهم يعيشون في الوسط يستمتعون بحياتهم يومياً بعد الانهماك في العمل. كل ذلك لا يُعد كفاية للحصول على النتيجة المرجوة من المرحلة التجريبية. وهنا مجدداً يبرز دور علم نفس العمل وعلم النفس الاجتماعي في تحديد أنماط الشخصية وفقاً تفاعلها مع مهام العمل المختلفة وتعاملها مع زملاء العمل ومرؤوسيها.

> **للمرحلة التجريبية في الزواج والعمل أثر لا يستهان به في مجالات الحياة كافة**

وللمرحلة التجريبية قبل التثبيت في العمل شقان رئيسان: أحدهما قبل التثبيت وهو ما ينكب عليه علم نفس العمل التنظيمي، من أجل تعريف قدرات الفرد في مكان العمل وتقييمه، ومن ثمَّ تحديد مهامه والأهداف المطلوب منه تحقيقها، إضافة إلى تأثير بيئة العمل فيه وكيفية تفاعله مع أساليب الإدارة، ومدى تأثير العوامل الخارجية في نسبة إنتاجه.

الشق الثاني يتعلق بمرحلة ما بعد التثبيت، أي بعد أن يتعدى أداء الفرد الحد الأدنى للقبول، وتكمن أهمية هذه المرحلة في تحديد موقع الفرد بالنسبة لهيكلية العمل وفي السلم الوظيفي، كما تساعد في تحديد نوع الحوافز التي يستجيب لها أكثر، والدعم الذي يحتاج إليه، إضافة إلى أولوياته الشخصية وتأثيرها في تحقيق أهداف الشركة، وكذلك نوع المشاكل الصحية والنفسية التي قد تصيبه نتيجة ضغط العمل المزمن المرتبط بمتطلبات العمل. كما يفسر هذا الشق إفادات الترقية وتحديد الموظفين الذين يحتاجون إلى مزيد من التدريب أو التوجيه ومن يمتلكون الكفاءات المناسبة لملء الوظائف العليا.

وتضع المرحلة التجريبية للعمل الموظف الجديد تحت إشراف الهيئة الإدارية، فيما تتم مراقبة سلوكه الفردي والعملي تحت إشراف مديره المباشر، الذي بدوره يراقب أداء الموظف ويثبت مدى صلاحيته للقيام بمهام الوظيفة المكلف بها، وما إذا كان جديراً بالاستمرار فيها. فبعد هذه المرحلة التجريبية يتم إنهاء خدمات الموظف أو نقله إلى وظيفة أخرى تلائم قدراته الملحوظة. وفي هذه المرحلة تحديداً يُطابَق أداء الموظف مع شروط المؤسسة التي تُشكل مرحلة تصفية ثانية بعد تقديم السيرة الذاتية. أما بالنسبة للموظف نفسه فهو في أثناء هذه التجربة يستشف من صفاته الشخصية ما يساعده على التعامل مع الآخرين وتخطي المشاكل والخلافات، سواء الناتجة من طبيعة العمل، أو لعلة إدارية ما. كما أن لهذه المرحلة جانباً تطويرياً يساعد الموظف على تطوير قدراته ومهاراته حتى تمكنه من تحمل المسؤولية والإبداع وتطوير الذات، والتأكد من قدرته على تحمل أعباء الوظيفة العامة وما تتضمنه من حاجة إلى معرفة أصولها، وشروطها وأحكامها، وليعرف حقوقه وواجباته الوظيفية، وكذلك ليتسنى له فهم أهداف المؤسسة التي يعمل بها ليسهل عليه تنفيذها.

وللفترة التجريبية قبل التثبيت في العمل أسس موضوعية تُعد الأعدل في إعطاء الموظف حقه على أساس العدالة الاجتماعية والمدنية، بعيداً عن نظام الوساطة والمحسوبية البالي. كما أن الترقية الوظيفية في هذا النظام تخضع لتقييم الأداء السنوي وليس للتزلف الاجتماعي وغيره من المعايير غير السوية.

ولهذا العدل في طرق اختيار الموظف الذي تتم ترقيته وفق شروط الكفاءة وحسن السيرة والسلوك، الأثر الكبير في قيام الموظف بأداء واجباته بأمانة، وعلى قدر عال من المسؤولية والامتناع عن استغلال الوظيفة لتحقيق المصالح الشخصية.



صندوق الذكريات

أسرار ومقتنيات

بين الذكريات والأسرار نقاط التقاء، وبين المقتنيات والاستثمار نقاط التقاء، وبين صبرنا وشغفنا بالحفاظ على كل أثر ماض يمثل لنا شيئاً جميلاً في مرحلة ما من أعمارنا وحياتنا، هناك أيضاً نقاط التقاء. وبين كلِّ هذه الأشياء هناك حنين ورغبة وسؤال: لماذا الذاكرة تحتاج دوماً إلى من يُذكرها؟! عبير الفوزان تفتح صندوقاً بلا أسرار لتستدعي ذاكرة من رأوا بأمِّ أعينهم كيف للذكريات أن تتسرب من بين أصابع الزمن!



Shutterstock

في زمن الذاكرة التكنولوجية بدءاً من الفلاش ميموري، والهاردسك، لم يُعد لصندوق الذكريات مكان في حياتنا اليومية. فالرسائل الورقية والصور المطبوعة على الورق، والورد المجفف المنسي بين صفحات كتاب، والمناديل المعطرة والمطرزة بأول الحروف من أسماء الأحبة، كل هذه التفاصيل الصغيرة اختفت، فاختفى معها صندوق الذكريات.

باختفاء صندوق الذكريات سقط آخر معقل من معاقل الرومانسية. فلم يعد البكاء على الأطلال وارداً في زمن التقنية الحديثة، ولم يعد اجترار ذكرى الأحبة مثيراً للشجن. لقد أصبح الأحبة حاضرين رغم غيابهم، فعلى قيد ضغطة زر نستدعيهم، بدءاً من الصور القديمة التي ننسخها مئات المرات ونحفظها في ذاكرة التقنية، إلى الأحبة الذين فرقت بيننا وبينهم الأقدار مكانياً، فبفضل الفيس بوك، أكبر متلصص وباحث، لم يعد الفراق موجعاً فبضغطة زر، أيضاً، نستدعيهم، ونستدعي أخبارهم وأخبار من تفصلنا بيننا وبينهم قارات.

لقد أصبح التواصل المتواتر، من خلال التقنية، يقتل لهفة الرؤية وشوق اللقاء، فلم يعد لشعراء الحب دور في حياة المحبين، ولم تعد قصائدهم مقتبسة في رسائل الأحبة، حتى الأفلام لم تعد قصص حب ملتهبة تنتهي بأمل أو ألم. ومن ثمَّ لم يعد الأثر ذا أهمية في زمن الذاكرة الحديدية، ولم يعد الأثر سراً!

مقتنيات للذكرى

يبدأ الحنين عند ملمس الأثر الكامن في تلك المقتنيات، مثل: كتاب مصاب بأنيميا الرفوف، رزمة رسائل ذابلة بحروف على ورق مُسطر مكتوبة بحبر باهت، زجاجة عطر قديم فرّت منه الرائحة، ألبوم صور بالأبيض والأسود، قصاصات كُتبت في مقهى، بطاقات بريدية، علبة شيكولاته حديدية تحولت إلى صندوق ذكريات، أو أشياء مختلفة تخص أناساً أحببناهم.

كثيرون يحتفظون بهذه المقتنيات لتستدعي التذكر، ويقتنصون لحظة من الزمن الحاضر للعودة إلى الزمن الجميل. لذا كان في حياة معظم الناس، قديماً، صندوق ذكريات، أو ما يسمى صندوق الأسرار الصغيرة والجميلة. يرثه، أحياناً، أبناؤهم فيفرطون به، وبالتفاصيل وبالذاكرة الجميلة.

لقد كانت الأسرار والمشاعر تُخبّأ في صناديق متعددة الأحجام والأشكال، فصناديق الذكريات عند سكان الجزيرة العربية والخليج تختلف عنها في بلاد الشام، فبينما كانت سحارة «ومندوساً» في بلاد الخليج، فهي في بلاد الشام صناديق من خشب الجوز والصدف، وبينهم من كانت علب الشيكولاته الحديدية والبديعة الشكل صندوقاً لذكرياته وأسراره. فقد كانوا يختارون أجمل الصناديق لتحفظ ذكرياتهم.

حراج بن قاسم.. سوق الذكريات

في الثمانينيات الميلادية كان يشعر عبد الله بمتعة لا تضاهيها متعة عندما يذهب إلى حراج بن قاسم الواقع في أقصى جنوب مدينة الرياض، ليبحث بين السلع المستعملة المعروضة

أصبح الناس أكثر حيطة من ذي قبل، فهم محاطون بالأسرار والأرقام السرية بدءاً من الهاتف النقال برقم سري، والبريد الإلكتروني، وحتى بعض الأبواب لا تفتح إلا بأرقام سرية.

عن مقتنيات قديمة من كتب أو تحف، أو صندوق ذكريات مليء بالرسائل أو الصور. أو طوابع بريدية قديمة وعملات متنوعة. كان البحث، كما يقول، ماتعاً، فغالباً ما يكون البائع جاهلاً بمحتويات السلعة التي يبيعها، ما يجعل المفاجأة مضاعفة، عندما يقلّب ما قد اشتراه.

ويبدو، كما يقول، أن مسرحية «إلا خمسة» التي عرضت عام 1963م من بطولة ماري منيب، وعادل خيري، كانت دافعاً لجعله يبحث في المقتنيات وبينها، فربما وجد بين دفتي كتاب قديم خريطة للكنز والثروة. في البداية كان هذا دافعه، لكن بعد المداومة اكتشف أن التنقيب في الذكريات كنز أثمن من الكنز المادي. فعندما يتصفح الكتب المستعملة، أو يقرأ ما كُتب على بعض قطع الأثاث كعبارات مؤرخة على باب خزانة، أو تعليقات خلف صور مجهولة في أماكن مجهولة، إضافة إلى المتعة، فإنه يكتشف أن الناس البسطاء أكثر صدقاً عندما يؤرخون الأحداث التي عايشوها. لذا كان سوق السلع المستعملة مكانه المفضل للتلصص على ذكريات الناس وأسرارهم.

الزئبق الأحمر.. مكمن الذكريات

انتشرت في السعودية في عام 2009م شائعة مفادها أن ماكينات الخياطة من علامة سينجر، المُصنعة في ألمانيا من عام 1879م وحتى 1900م تحتوي على مادة الزئبق الأحمر، وهي مادة غير معروفة، لكنها من الأهمية ما جعلت الماكينات القديمة والخردة مطلوبة بشكل مُلّح، وبأي سعر كان. فسارع الكثير من الناس في البحث بين مقتنيات الأمهات والجدات عن هذه الماكينة التي ستجلب الثراء.

وبدا الأمر غريباً حيث اكتشف عدد من الناس أنهم فرطوا في ذكرياتهم القديمة مقابل الجديد. وكم كانت خيبة بعضهم كبيرة عندما أصبح وجهاً لوجه مع حقيقة أنه لا يملك أيّ أثر من الماضي. ولقد ناقش المسلسل المحلي «طاش ما طاش» الذي يُعرض في رمضان هذه الظاهرة، ظاهرة التخلي عن القديم في زمن الماديات، وأن من يرتبط عاطفياً بالأثر هو الرابح في النهاية. لعل حلقة ذلك المسلسل التي بُنيت على شائعة الماكينات جعلت حتى الأكثر ماديةً يفكر ألف مرة قبل أن يبيع ذكرياته ومقتنيات أهله القديمة بثمن بخس.

الذكريات في 2011

تقول شاعرة فضلت عدم ذكر اسمها: كنت أجمع أشياء كثيرة، بدءاً من مفاتيح غرف الفنادق إلى فواتير بعض المقاهي التي جمعتني مع أشخاص مهمين، إلى كتب بطبعات أولى وقديمة. إلى رسائل كُتبت بخط اليد. جمعت هذه الأشياء إلى أن بدأت أشك في أنني مصابة بنوع من المرض النفسي. فلم أستطع أن أفرط في ورقة حتى ولو



Shutterstock

ماكينة خياطة قديمة الصنع، يعتقد أنها تحتوي على الزئبق الأحمر.

كانت قصاصة صغيرة. وبعد سنوات قليلة اكتشفت أنني محاطة بالذكريات أكثر مما أنا محاطة بحياتي الراهنة، لذا قررت التخلص من جميع أشيائي، وأحببت أن يكون هذا التخلص في جو احتفالي مرح، فقمت بعمل مزاد جمعت فيه صديقاتي. ومن المفارقة الغريبة أنني وجدت من يشتري ذكرياتي. كان مبلغاً جيداً يؤهلني لأن أشتري شيئاً



عقد أم كلثوم الذي بيع في المزاد عام 2009م.

sspc

من ذكريات الآخرين من المشاهير.

مزاد الذاكرة

تُعد بونهامس، وكريستز وسوذبي من أكبر دور المزادات العالمية التي تتاجر بالذاكرة، وتزايد على المقتنيات في مـزادات عالمية، فتحصد سنوياً ملايين الـدولارات، كوسيط بين البائع والمشتري، مقابل مـلامح إنسانية للحياة تجلت في مقتنيات خاصة جاهد مُلاكها في الحفاظ عليها. إن لهذه المـزادات روادها من كبار جامعي التحف والكتب العتيقة وكل ما هو مستعمل مرَّ على أشخاص بعينهم، أو أشخاص مجهولين اقتنوا أشياء ذات قيمة فنية. ويعد الزمن وطوله هو الفاصل في قيمة السلعة على منصة المزاد.

كثير من الناس يحتفظون بمقتنيات قديمة لتستدعي التذكر لديهم، فيقتنصون لحظة من الزمن الحاضر للعودة إلى الزمن الجميل.

من الأشياء التي عُرضت في هذه المزادات ولها قيمة عاطفية كانت مجوهرات لسيدة الغناء العربي أم كلثوم، ولعل أغلى قطعة بيعت في المزاد كانت عقداً نادراً، كما يقال، من اللؤلؤ، من عشرة صفوف من اللآلئ الهندية والـفيروز، تزينه من الأمـام حلية ذهبية على شكل طاووس.

ولقد فاق مبلغ هذا العقد ما توقعه الخبراء والمثمنون، حيث بيع العقد بمليون وثلاث مئة وثلاثة وثمانين ألـف دولار أمريكي. الغريب أن عقد أم كلثوم في الستينيات الميلادية في دول الخليج كان هو الهدية الرائجة التي يقدمها العريس لعروسه، لكن أولئك اللواتي فرطن بعقودهن اللؤلؤية وذكرياتهن مقابل الجديد من ألماس وذهب أبيض كانت خسارتهن فادحة. تقول إحدى من حضرن في مزاد مجوهرات أم كلثوم الذي أقيم عام 2009م في دبي:«كنت أتذكر أمي في أواسط السبعينيات وهي ترتدي مثل هذه اللآلئ التي يزايد عليها المزايدون، الآن، وكنت أخجل منها، لأنها لا تواكب موضة الزمن»!

لماذا نفرط في الصندوق؟

هل لأننا لم يعد لدينا أسرار؟ أم لأن أسرارنا أكبر من أن تُحفظ في مجرد صندوق؟ ربما، سيكون متاحاً ليد وعين متلصصة. يبدو أننا أصبحنا أكثر حيطة من ذي قبل، فنحن محاطون بالأسرار والأرقام السرية، فهاتفك النقال برقم سري، وبريدك برقم سري، وحتى بعض الأبواب لا تفتح إلا بأرقام سرية. كما أن صورنا وأشياءنا الغالية نضعها في «فلاش ميموري» بحجم نصف الإصبع أو أقل، وننقلها معنا أينما ذهبنا!

«الصندوق مـوجـود»، هكذا قالت مجموعة من طالبات جامعة الأمير سلطان بالرياض، وكل واحدة منهن تسل من حقيبتها أو ميدالية مفاتيحها أو من سلسال تعلقه في رقبتها: «فلاش ميموري». فهن لم يفرطن في الصندوق حتى ولو كنَّ قد فرطن في شكله الماضي. فأسرارهن تختبيء في هذا الفلاش الصغير الذي سيرثه أبناؤهن كما قالت إحداهن وهي تضحك.



Shutterstock

صورة شخصية

عبدالرحمن الملا..

عينان مغمضتان وآفاق مفتوحة

أن يفقد المرء بصره، هذا لا يعني بالضرورة أن تنغلق دونه دروب الحياة، ويموت في نفسه الأمل، هذا ما برهن عليه، وبقوّة، المؤرخ عبدالرحمن بن عثمان بن محمد الملا، الذي فقد حاسة البصر، وهو لم يتجاوز بعد الخامسة من العمر، إثر إصابته بالرمد الصديدي، ما جعله يخوض معركة مع الحياة تخبرنا عن بعض فصولها شمس علي، كاشفة من خلالها، كيف أن فقدانه للبصر لم يفقده حماسته وإصراره العميقين على مواصلة درب التحصيل العلمي، وممارسة شغف الكتابة، إضافة إلى نظم الشعر.


sspc

كفيفة توقد له قنديلاً

في سبيل أن يبرهن الملا على إيمانه العميق بإرادة الإنسان، اختار أن يُتِمّ حفظ القرآن الكريم في صباه المبكر على يد امرأة صالحة كفيفة، وهو لم يتجاوز بعد الثانية عشرة من العمر، فيما أخذ مبادئ النحو والصرف والتجويد على يد الشيخ عبدالمحسن الحوراني، وهو أحد خريجي الأزهر الذين تم استقدامهم للتعليم بالمملكة.

وفي عام 1374هـ، تمكّن الملا من الالتحاق بالمعهد العلمي، حيث أتم فيه دراسته للمرحلة الثانوية عام 1381هـ، وخلال هذه الفترة تفجّرت في داخله ينابيع الشعر. ولأنه مهجوس بتقطير الوقت والإفادة منه، تطوّع في إجازة الصيف في عقد حلقة لتعليم مبادئ العلوم الدينية، وعلوم اللغة العربية للراغبين في الالتحاق بالمعهد العلمي ولم يحالفهم الحظ للالتحاق به.

إرادة لا تعرف اليأس

لم يكتف الملا بشهادة المعهد العلميّ، والتي كانت مقنعة للكثيرين في ذلك الزمن، وبإرادة لا تعرف اليأس، واصل مشواره التعليمي ليتمكّن بذلك من الحصول على ليسانس اللغة العربية من كلية اللغة العربية في الرياض، وذلك في عام 1385هـ، وفي عام 1396هـ توجه للقاهرة للدراسة بها ضمن بعثة دراسية أوفدتها إلى هناك وزارة المعارف، فعاد منها إلى أرض الوطن بدبلوم في التربية الخاصة.

شغف المعرفة

لم تكن الكتب المنهجية كافية لإرواء عطشه للمعرفة، فقد شغف الملا بالمطالعة منذ نعومة أظفاره. تذوّق الشعر فحَفظَه ونَظَمه. كان يمضي سحابة النهار، وشطراً من الليل في تفيؤ ظلال الأدب الرفيع، برفقة ثلة من مجايليه المهتمين بمتابعة الحركة الفكرية، في رباط الشيخ أبي بكر الملا حيث كان الطلبة مواظبين على الحضور، ما مهد له في وقت لاحق الطريق لمشاركة فاعلة في النادي الأدبي بالمعهد العلمي، والذي احتضن أيضاً بعض بواكيره الشعرية، وقام بنشرها في المجلة التي يصدرها النادي وقتها بعنوان «هجر»، والتي طبعت في بيروت عام 1375هـ.

محطة عملية لافتة

في عام 1385هـ وجهه سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الملا لعمل شرعي بوزارة الأوقاف، ولأن النظر في القضايا الشرعية لا يمت إلى مجال تخصصه بصلة، جهد في محاولة إقناع الشيخ بالعدول عن ذلك، ومن ثم انخرط في سلك التدريس بوزارة المعارف، بيد أنه سعى للحصول على تقاعد مبكر وأنفذ قراره في عام 1414هـ ليتفرّغ للحياة العلمية مخلصاً للبحث والتأليف، وبعد سنوات طويلة عين رئيساً لنادي الأحساء الأدبي في بداية تأسيسه، لينتهى به المطاف حالياً أستاذاً غير متفرغ في جامعة الملك فيصل بالأحساء.

من أبرز مؤرخي الأحساء

تمخضت المسيرة الثقافية لعبدالرحمن الملا عن عدد من المؤلفات شكّلت أبرز المراجع للباحثين والمهتمين بالتاريخ، فـ«تاريخ هجر» كتابٌ من جزأين في التاريخ، وهو عبارة عن دراسة حضارية شاملة للحياة الطبيعية والعمرانية والاقتصادية والسياسية في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العربية، البحرين قديماً، والأحساء والكويت والبحرين وقطر في العصر الحديث، صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1410هـ، والطبعة الثانية سنة 1411هـ.

ولم يلبث الملا أن أردف كتابه الأوّل بكتاب «تاريخ الحركات الفكرية واتجاهاتها في شرق الجزيرة وعمان» «مطبوع» سنة 1414هـ، وديوان شعري بعنوان «أغاريد من الخليج» سنة 1418هـ، وكتاب «تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية» عن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، عام 2002م.

ولم يكتف الملا برصد أحداث التاريخ والحركات الفكرية شرق الوطن، بل واصل رصده وأصدره في كتاب آخر حول:«حركة التأليف والنشر في الإحساء والمنطقة الشرقية»، وهو من مطبوعات مركز الترجمة والتأليف والنشر بجامعة الملك فيصل سنة 1422هـ، ليرسّخ اسمه كواحد من أهم المراجع التي لا يستغنى عنها في قراءة تاريخ وفكر المنطقة.

إضافة إلى ما سبق شارك الملا في تأليف كتاب حول آثار المنطقة الشرقية من سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، أصدرته وكالة الآثار والمتاحف بوزارة التربية والتعليم، ولا ينسى الملا أن يعود إلى ذاته بين فترة وأخرى ليتفيّأ ظلال واحات الشعر في داخله، فقد صدر له عام 1426هـ «وجوه ومرايا»، وهو ديوان شعري تمت طباعته في مطابع الكفاح، الأحساء.

أهم البحوث

بحث: «التصوير الحسي والوجداني في شعر المكفوفين» مقدم لبرج النور في القاهرة.وبحث آخر حمل عنوان: «الرسم بالكلمات عند المكفوفين»، مقدم لملتقى المنال 2004م بمدينة الشارقة للخدمات الإنسانية، إضافة إلى بحث «الخليج العربي واستراتيجية الحياة الحضارية المبكرة»، مقدم للجمعية التاريخية السعودية في الملتقى المعقود في الأحساء في عام 1426هـ قام بطباعته نادي أدبي الأحساء.

رائد في كتابة المسرح السعودي

يعدُّ عبدالرحمن الملا من أوائل من كتب المسرحية الشعرية في المملكة العربية السعودية، كما أنه أول من كتب المسرحية النثرية إنشاءً في المنطقة الشرقية، وكانت من قبل تقتصر على النقل عن قصص التراث والوقائع التاريخية، ولديه رصيد من المسرحيات التاريخية والاجتماعية التي تم تمثيل بعضها على مسارح مدارس في المنطقة الشرقية.

حضوره في الإعلام المرئي والمقروء

أجريت معه جملة من اللقاءات الأدبية والاجتماعية التي تم بثها عبر قنوات محطة التلفزيون السعودي «القناة الأولى» والقناة الإخبارية، وتلفزيون الشرق الأوسط (mbc)، وإذاعات البحرين والكويت والقاهرة والإسكندرية، ودار الإذاعة العربية السعودية بالرياض «البرنامجين الأول والثاني» مثل برنامج وللحديث صلة، أرض الخليج، حديث السهرة، وغيرها. ونشرت قصائده في صحف ومجلات منها مجلة الجزيرة التي كانت تصدر بالرياض تحت إشراف الأديب عبدالله بن خميس، شارك ببعضها في أمسيات شعرية، إضافة إلى إلقائه طائفة من المحاضرات التاريخية والأدبية في عدد من المناسبات الثقافية بالجامعات وبعض المؤسسات الأكاديمية.وعلى سبيل المثال:
ثلاث محاضرات قام بإلقائها بجامعة الملك فيصل بقسميها في الأحساء والدمام.
سلسلة من المحاضرات في الحياة الفكرية والسياسية بهجر تم إلقاؤها في كلية الشريعة فرع جامعة الإمام بالأحساء، وفي كلية إعداد المعلمين، وفي المراكز الصيفية، ونادي المنطقة الشرقية الأدبي،ومحاضرات حول الأدب السعودي شارك بها في عدد من المواسم الثقافية خارج المملكة، ومحاضرة حول تاريخ الأحساء ومصادره تم إلقاؤها بقصر المربع في يوم الثلاثاء 1425/11/2هـ.

ويذكر له تقييمه ومراجعته عدد من الدراسات والبحوث تمت إحالتها له من بعض الجامعات والمؤسسات العلمية والنوادي الأدبية.هذا إلى جانب مشاركته في جملة من الحوارات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي قامت بتنظيمها مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ضمن أنشطة مهرجاناتها في الكويت وبيروت وقرطبة، وكذلك ما قامت به بعض المؤسسات الفكرية والثقافية بالمملكة من اللقاءات الحوارية، والتي كان آخرها اللقاء الذي عقده مركز الملك عبدالعزيز في 1426/8/27هـ بالأحساء بعنوان «نحن والآخر».

عبدالله بن خميس..
علامة فارقة حتى الموت



مثل ملامح الأوطان، يبقى هؤلاء محفورين في جدران الذاكرة، لا يدرك آثارهم المحو، ولا يعتري أحاديثهم النسيان، لأنهم حين تحدثوا ملؤوا الدنيا بما ينفع الناس، فمكث في الأرض، تقتات عليه عقول الأجيال، تتواصى به، وتتعهده بالري والرعاية، لينتقل من جيل إلى جيل. أحد هؤلاء الكبار الذين سطروا التاريخ أولاً، ثم تربعوا في أجمل صفحاته، المفكر الكاتب الأديب عبدالله بن خميس، الذي يحاول فريق القافلة في الأسطر الآتية رصد أبرز ملامح حياته الثرية، المكتنزة عطاءً وإبداعاً.

ربما توقف عن الكلام، ربما جفَّت محبرته، لكنه ترك للأذهان تلك الفضاءات التي ترتادها سبحاً في أفلاك المعارف والآداب، وترك للأبصار تلك الآفاق الرحبة من المتعة الفكرية التي يتلذذ بها متأمل سطور إرث الراحل الكبير، فقيد الأدب العربي، عبدالله بن خميس، الاسم الذي ارتبطت به قائمة طويلة من المنجزات الفكرية والثقافية، والذي ارتبطت به قبل ذلك واحدة من أهم السير الإنسانية وأروعها، لرائد طويل النفس من رواد الفكر والأدب العربيين، وراع أمين من رعاة الكلمة العربية.



sspc

الراحل عبدالله بن خميس مع الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات.

ابن النخيل

ولد العلامة ابن خميس في عام ١٩١٩م في قرية الملقى بالدرعية. درس في الكتاتيب، والتحق بدار التوحيد في الطائف، وهناك برز ولعه بالثقافة من خلال النشاطات التي كان يسهم فيها، حتى إنه أدار النادي الأدبي في الدار. في تلك السنوات المبكرة بدأ اسمه يشق طريقه شاعراً يعد بالكثير من المواهب، ولا سيما حين راح ينشر في عدد من الصحف المهمة، آنذاك، مثل «أم القرى».

رحلة حياة في درب الكلمة أمضاها فقيد الأدب العربي سادناً أميناً على خزانة الأدب والعلم والتاريخ

وحين نال شهادة الثانوية انتقل إلى كلية الشريعة واللغة العربية في مكة المكرمة، وهناك ازداد سطوع اسمه في فنون الأدب. حال تخرجه تقلد عدداً من المناصب الرسمية، وظل في الوظيفة الحكومية إلى أن تقاعد في عام ١٩٧٢م. كان تقاعده بداية رحلة جديدة ثرية من عمره المكتنز بالمنجزات، إذ تفرغ للبحث والتأليف، فأسس نادي الرياض الأدبي وكان أول من ترأسه عام ١٩٧٥م، وعمل عضواً في عدد من المجامع اللغوية العربية ومجالس إدارات مؤسسات ثقافية وإعلامية، منها جريدة الجزيرة، وكُلل مشواره الأدبي بنيل عدد من الأوسمة والجوائز الرفيعة، منها جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٨٢م، ووسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، فضلاً عن اختياره شخصية ثقافية لعام ٢٠٠٢م بالمهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية. وعلى الصعيد الخارجي، قلّده الرئيس ميتران وسام الشرف الفرنسي، بدرجة فارس، كما حظي بوسام الثقافة من تونس من الرئيس الحبيب بورقيبة.



sspc

الشيخ عبدالله بن خميس في لقاء أدبي مع الأستاذ محمد أحمد العقيلي.

الأديب الحق هو من امتزج دمه وروحه بتربة وطنه وعاش مشكلاته، آماله وأحلامه... وبالتالي تطلع إلى معالجة قضايا الوطن الكبير

عبدالله بن خميس

قامة أدبية عربية حصدت شهادات الرواد، وترمقها الأجيال الجديدة بالدهشة والإكبار والإعجاب

يرى بعض المثقفين أن الراحل أحد ثلاثة عُرف عنهم التأليف الموسوعي، إلى جانب حمد الجاسر ومحمد العبودي، إذ اشتهر بغزارة إنتاجه وتعدد مجالاته، وأكدوا أنه من حق ابن خميس على محبيه، أن يُجمَع تراثه الثقافي المتنوع، ويقدم للقراء من خلال مؤسسة ترعى إنتاجه وتتيحه للجميع، فتكون هناك مكتبة شاملة لإنتاجه، ينهل من معينها الباحثون، وتكون مقصداً لكل من يريد الاطلاع على نتاج علم من أعلام المملكة، كان مع صاحبيه امتداداً لأعلام الثقافة والأدب من الرواد الذين جمعوا بين العلم الشرعي والتبحر في مختلف مجالات العلم والأدب، وقدموا لنا نتاجاً غزيراً تعجز بعضُ مراكز الدراسات والبحوث التي تضم عشرات الباحثين عن أن تغطي بعض جوانبه.

لقد نجح الراحل فوق كونه شاعراً مفوهاً، وأديباً متفرداً، وباحثاً واسع الاطلاع، ومؤلفاً موسوعياً ذا ثقل كبير، في أن يصبح حالة إبداعية نادرة الحدوث، ومصدر إلهام لرفقاء جيله من كبار الأدباء والكتاب العرب، فها هو ذا أمين نخلة، يبوح بمكنون ذاته تجاهه بعبارات بالغة المودة والتقدير لشخص الراحل والإعجاب بملكاته، تجسد كثيراً من مكانته العالية، رحمه الله، ومنزلته الرفيعة وسط مُجاليليه، وخَلَفهم، يقول فيها: «لقد مسحت ربةُ الشعر سيادتكم بزيت العبقرية، ونضحته بماء الخلود، ثم ودعتك شاعراً كبيراً. نتعلم نحن الشعراء منك الصدق والجرأة، في عالم الأدب العربي الذي أصبح اليوم مومياء مكحولة الأجفان».

حالة إبداعية

وفيما يحتفظ التاريخ بشهادة عبقة في حق ابن خميس مثل تلك التي سطرها يراع أديب في قامة أمين نخلة، ترك لنا الراحل نفسه من المأثورات، والخطرات، ما يعمِّق الشعور بتلك الحالة والهالة من الإبداع التي أحاطت الراحل الشيخ عبدالله بن خميس الذي يقول: «الأديب الحق هو من امتزج دمه وروحه بتربة وطنه، وعاش مشكلاته، آماله وأحلامه...

وبالتالي تطلع إلى معالجة قضايا الوطن الكبير»، ويقول أيضاً: «الأديب ليس حراً طليقاً في كل ما يقول ويكتب، والأمة العربية ما زالت تقاسي من الغزو الفكري ومن الاضطهاد والفوارق الطبقية التي ينوء بها كاهل الأديب أو المفكر».
ويلاصق عبدالله بن خميس تراب الواقع بقدميه بقوله إن الأديب العربي «إذا لم يتفاعل مع أمته لإيقاظها فهو إنسان حالم والأحلام لا مكان لها على هذه الأرض».

وعبدالله ابن خميس، في الوقت نفسه، فارس الحرية وعاشقها الذي يقول متأسفاً: «إن ثمة بلاداً عربية تدعي الثورية وتتغنى بالتقدمية، بينما هي تغتصب الفكر وتخنق الحريات».



ابن خميس ضيفاً في إحدى الندوات العربية.



ابن خميس ممثلاً المملكة في إحدى المؤتمرات الثقافية.

الإرث

يصعب على ما أنجزه الأديب عبدالله بن خميس، الذي غيبه الموت في ٢٠١١/٥/١٨م، أن يؤول إلى النسيان. فابن خميس، مثل شخصيات نادرة حفل بها التاريخ الحديث في المملكة العربية السعودية، حفرت اسمها في الصخر. عانى الصعوبات وواجه التحديات، في مجتمع لم يكن يحفل برايات التنوير التي يحاول رفعها ابن خميس وجيله، أمام مجتمع كان يتشكل في طوره الأول، فجاء جيل ابن خميس ليأخذ بيده إلى نور العلم وتنوير العقل.

> **الأديب ليس حراً طليقاً في كل ما يقول ويكتب، والأمة العربية ما زالت تقاسي من الغزو الفكري ومن الاضطهاد والفوارق الطبقية التي ينوء بها كاهل الأديب أو المفكر**
>
> **عبدالله بن خميس**

> **نبوغ مبكر، وسَبْح طويل في آفاق الفكر الإنساني، وذهن مشرع على جميع التيارات والاتجاهات**

مثَّل الراحل المملكة في مناسبات عديدة. كما قدَّم العديد من المحاضرات داخل المملكة وخارجها، وأسهم بمشاركات في الإذاعة والتلفزيون. وبقي الشعر من أهم الجوانب في حياته الاجتماعية، فنظم الشعر في أغلب المناسبات الوطنية والعربية والإسلامية. وكانت المساجلات الشعرية والإسلاميات والفلسطينيات وشعر الطبيعة والمراثي من أهم قصائده الشعرية.



مدير جامعة الملك سعود أ. د. عبدالله العثمان يكرم الراحل الشيخ عبدالله بن خميس.

ولأدب الرحلات في حياة عبدالله بن خميس وضع وموقع مهم، إذ قام برحلات في شبه الجزيرة العربية كاملة، ما جعل بعض المهتمين يجزم «أنه لا يوجد شبر في الجزيرة العربية لم تطأه قدم عبدالله بن خميس». زار معظم البلاد العربية من المحيط إلى الخليج، إضافة إلى زيارته بعض البلدان في آسيا وأوربا وأمريكا الشمالية. أثرى المكتبة العربية بعشرات الكتب، وصال وجال في الصحافة والمنتديات والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها.

كتب الراحل عن تعليم المرأة في وقت مبكر، وكذلك شملت كتاباته اقتصاد البلاد والثروة النفطية، كما شارك في الحملات الخيرية التي أقيمت في المملكة بشكل عام والرياض بخاصة لنصرة الفلسطينيين.

عبدالله بن خميس.. بأقلامهم

يقول وزير الثقافة والإعلام، الدكتور عبدالعزيز خوجة، عن الراحل الكبير إنه تحوَّل «رمزاً لتلك القيم العلمية والأدبية التي تحتفل بها أجيال من المثقفين والمثقفات في وطننا العربي الكبير»، مشيراً إلى أن ابن خميس «مكتبة في رجل، فتراثه العلمي الباذخ يعيد إلى الأذهان أسماء تلك الكوكبة العظيمة من العلماء الأعلام في تراثنا الأدبي والتاريخي والجغرافي، بما أتاحه له الله من فسحة في العلم، وذاكرة ثرية وعت جليل المروي، شعراً ونثراً، فكان، بحق جبلاً من العلم».

وتتحدث ابنة الراحل، الكاتبة أميمة الخميس، وريثة قلم والدها، قائلة إنه استطاع أن يزيل البرزخ القائم بين الحلم والواقع، «ليسير به حتى مشارف مدن مسورة بمادة الأسطورة، محققاً بهذا كل شروط القصيدة الكلاسيكية والشاعر الفارس الذي يرصف قصائده بمادة النبل وأخلاقيات الفطرة الصحراوية». وتقول: «لربما اختار نجم سعدي أن أكون مطوقة بهذا المناخ، وهذه الفضاءات، أن أولد وحولي على مرمى النظر أحرف ومفردات، ويتبرعم الوعي على الجدران التي ترصف فيها الكتب من الأرض حتى السقف، ونكهة الأمسيات التي كان يقضيها أبي وأمي تحت شجرة ياسمين في الحديقة المنزلية، وهما منهمكان في مراجعة كتاب».

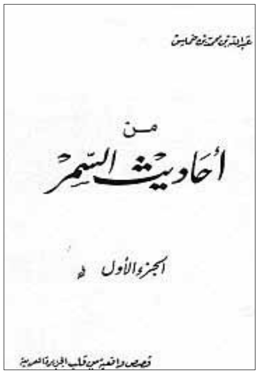
وعدَّ الدكتور عبدالله الوشمي الراحل قيمة ثقافية وأدبية كبرى «وتأتي هذه القيمة من خلال المسارات المعرفية والإدارية التي تكوَّن من خلالها، فهو ابن المؤسسة الإدارية بوصفه وكيلاً سابقاً لوزارة المواصلات، وهو ابن الإعلام، بوصفه ضمن المؤسسين لمساراته صحافياً وإذاعياً، وهو ابن القصيدة العربية الأصيلة بوصفه أحد الشعراء البارزين، وهو ابن الإدارة الثقافية بوصفه أول رئيس للنادي الأدبي، وهو ابن التأسيس الثقافي بوصفه مثقفاً فاعلاً على مستوى الأسرة، إذ جاءت أسرته مميزة من حيث العطاء الفكري، وهو ابن التواصل السعودي العربي بوصف صلاته الثقافية في المجامع العربية، وما زلت أذكر أحد زائرينا من المثقفين العراقيين، وهو يقول إنه يستمتع بالنمط العربي الفخم حين يستمع إلى القصائد ملقاة بصوت الشيخ ابن خميس».

فيما أكدت الكاتبة فاطمة العتيبي أن «ابن خميس لم يرحل أبداً عن التاريخ الثقافي السعودي، فلابن خميس فتحان مهمان: أولهما التنوير الإعلامي بتأسيسه لصحيفة «الجزيرة» وإيمانه بالكلمة تأثيرها واتصافها بالشفافية، وثانيهما اهتمامه الكبير بالثقافة الشفاهية الخاصة للصحراء عبر اهتمامه بتوثيق الشعر الشعبي، وهو بذلك سبّاق إلى الاحتفاء بما تهتم به المنظمات الثقافية العالمية في وقتنا الحاضر، إذ تُعد المحافظة على الثقافة والموروث الخاص دلالة وعي وتنوير غير مسبوقين يحسبان لابن خميس ولا شك. رحم الله التنويري ابن خميس، ومثله يرحل جسداً ويبقى بيننا دائماً ذكراً وتاريخاً».

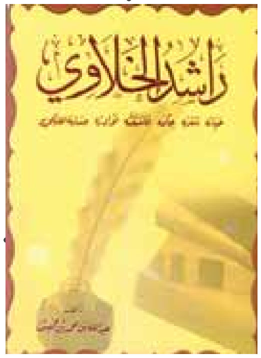
ويقول علي الخشيبان إن المجتمعات عندما تفقد أدباءها «فهذا يعني فراغاً في المنظومة الثقافية والأدبية. وإذا كان الفقيد بحجم عبدالله بن خميس فإن الفاجعة كبيرة، فالأدباء والمفكرون يشبهون النجوم في السماء واختفاء أحدهم لا شك يعني ظلمة كبيرة، وهنا مفترق الطرق والفراغ في المنظومة الأدبية»، لافتاً إلى أن الراحل «عرفه المجتمع صوتاً عذباً من خلال إنتاجه الفكري وتلك السنوات التي حفر بها اسمه .

اليوم نحن نفقد عبدالله بن خميس ولكننا لا نفقد إنتاجه ومسيرته الفكرية. وما يستحقه منا هو أن نتعلم كيف صنع ابن خميس هذه المنظومة الرائعة من الفكر والأدب والتاريخ. فهذا الرجل من العلامات البارزة فكرياً وثقافياً في هذا الوطن الكبير، الذي لا ينسى وفاء أبنائه الذين يقدمون الكثير من أجله. ولعل الشيخ الجليل ابن خميس، رحمه الله، هو أحد أولئك الذين يستطيع الجيل الجديد أن يستخلص من سيرتهم الذاتية ومسيرتهم الفكرية معاني الوطنية والمثابرة والإنتاج».

ويرى الدكتور عبدالرحمن الأنصاري أن ابن خميس «هو المؤرخ وهو الباحث وهو الذي أفاد من أبحاثه كثيراً من العلماء والباحثين، ولا تجد وسيلة من الوسائل إلا وللشيخ عبدالله بن خميس- رحمه الله- يد طولى فيها، لذلك نحس أن شخصية الشيخ ابن خميس شخصية فارعة الطول لها دور كبير في نشر الثقافة العربية السعودية بكل أبعادها وبكل ما يمكن أن تصبح عليه، ولذلك لا نجد





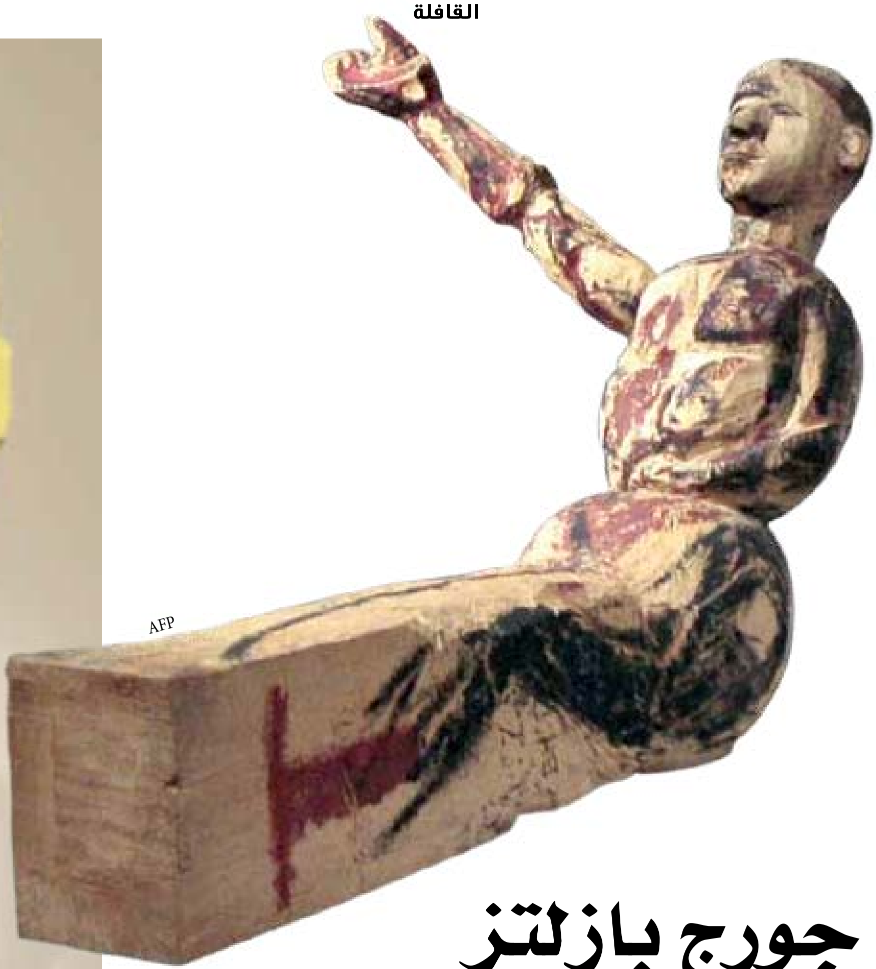


مؤلفاته

- الأدب الشعبي في جزيرة العرب (الرياض، مطابع الفرزدق، عام ١٣٧٨هـ.)
- المجاز بين اليمامة والحجاز. (صدر عن دار تهامة في الحلقة رقم ٤٦ من سلسلة الكتاب العربي السعودي ١٤٠٢هـ/١٩٨١م في جزء واحد)
- معجم اليمامة (صدر ضمن سلسلة (المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية).
- راشد الخلاوي (حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي، الرياض، دار اليمامة، عام ١٣٩٢هـ)
- رُبى اليمامة (ديوان شعري)
- الدرعية (مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤٠٢هـ)
- الشوارد. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام ١٣٦٤هـ.
- على ربا اليمامة: أصداء من الجزيرة العربية، ديوانان في مجلد واحد، مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٣٩٧هـ.
- من أحاديث السمر، قصص واقعية من قلب الجزيرة العربية، مطابع حنيفة في الرياض عام ١٣٩٨هـ.
- من جهاد قلم: في النقد، مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤٠٢هـ
- أهازيج الحرب، أو شعر العرضة، مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤٠٢هـ.
- نتائج حرب حزيران، مطابع الجزيرة، الرياض.
- بلادنا والزيت، عن النادي الأدبي الرياض، عام ١٣٩٩هـ.
- شهر في دمشق، عن مطابع الرياض، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

باحثاً إلا ويعود إلى الشيخ عبدالله في أعماله الكبيرة والتي لا نستطيع إحصاءها»، مشيراً إلى أنهم حين أنشؤوا جمعية التاريخ والآثار في جامعة الملك سعود «كان الشيخ عبدالله بن خميس من الشخصيات التي دعمت هذه الجمعية وكان يأتينا ويلقي خطباً كثيرة، وكان مشجعاً للآثار بطريقة رائعة ومتميزة، وكنا صغاراً وكنا شباباً وكان يدعمنا هذا العلم الكبير في أبحاثنا وفي أعمالنا». وقال الأنصاري إن الراحل «من الشخصيات التي كان لها دور كبير فيما عرف بـ«طسم وجديس»، وكان من الذين يدافعون عن أن «طسم وجديس» كانت في نجد، وأن طسم وجديس كان لها دور في تلك المنطقة، وكنا نحن الشباب ننظر إلى «طسم وجديس» على أنها من الأساطير التي تروج قصصها في هذه المنطقة، وهذه الصورة في تصوري كانت من الأساطير التي لا وجود لها فيما عرف بدولة كندة.

ودولة كندة عندما تذكر لا تذكر «طسم وجديس» مع أن الفترة التي يتحدث المؤرخون أو الأسطوريون كانت في تلك الفترة، ولماذا إذاً لم تذكر «طسم وجديس» مع وجود دولة كندة في هذا الوقت، لكن الشيخ ابن خميس كان مصراً على وجودها وكنت أقول إن «طسم وجديس» كانت موجودة ولكنها لم تكن إلا عن طريق موجود في التوراة قبيلة توشيم»، لافتاً إلى أن ابن خميس «مجادل جيد وكنت أتذكر له صراعاً مع الشيخ عبدالقدوس الأنصاري في منطقة مرات، وهل هي بفتح التاء أو سكون التاء، ولكنني أفخر بأنني كنت موجوداً في زمن هذا الجدل العلمي السليم، ولذلك أشعر أن الشيخ ابن خميس- رحمه الله- كان شخصية مرموقة ولها دورها في الحركة الثقافية في المملكة، وما هذه الأعمال الكبيرة التي هي جزء من أعماله الطيبة إلا نوع من أنواع الفخار الذي نفخر به».



AFP



AFP

النحات الألماني جورج بازلتز

جورج بازلتز
وللفن ثوراته أيضاً!

قد تبدو منحوتات الألماني، جورج بازلتز، سادية وهمجية، فهو بلا شك قد نال العقاب الذي يستحق منذ الستينيات الميلادية، إثر لوحته التي خدشت الحياء، وجعلت رجال الشرطة ينتزعونها من المعرض. لقد آن له الأوان، بعد مضي نصف قرن من الزمان، أن يرأف به عالم النقد، ويصفح عنه كرائد من رواد المدرسة التعبيرية المحدثة في الفن. سارة بدير تقتنص له صوراً ومنحوتات من معرضه الأخير، فهل سنصفق له أم نقلب الصفحة؟!



AFP



AFP

جانب من معرض الفنان، الذي أقيم مؤخراً
في باريس، ويضم نتاج ثلاثين عاماً.



AFP

لوحات مقلوبة تثير الاستغراب، وأخرى تزج به خلف القضبان، وثالثة تكبد عشاق الفن عناء السفر، تلك هي طبيعة أعمال الرسام والنحات الألماني جورج بازلتز ذي الثلاثة والسبعين عاماً. قضى بازلتز خمسين عاماً وهو يحاول سبر أغوار عالم الرسم، وثلاثين عاماً وهو ينقب عن السر وراء جمال النحت. كان ولعه الشديد بالفن، منذ أن كان في العشرينيات، سبباً في جعله خليفة بيكاسو وأكبر نحات في زمننا الحاضر.

درس بازلتز خلال حياته الأكاديمية ما كان له بصمة واضحة على أعماله. فمن دراسة علم الغابات، أجاد فن التعامل مع الخشب بمهارة، ومن دراسة الغرافيكس والفنون، استطاع أن يضفي لمساته بثقة على أعماله.

لا يخط بازلتز خطاً دون أن يكون وراءه معنى يفوق الخط عمقاً وجمالاً. كل المعاني التي تتضمنها أعماله تدور حول فلسفة الوجود وكينونة الإنسان. فنرى منحوتاته ملطخة باللون الأحمر القاني لتحكي اجتثاث روح البشر تحت سياط التعذيب، ونرى المرأة تشابه في تفاصيل جسدها تفاصيل أشجار الغابات الفارعة، لتعكس فلسفة انبثاق البشر من قلب الطبيعة. وكذلك نرى لوحاته مقلوبة رأساً على عقب لتحكي حال الاضطراب الذي أصاب العالم بعد الحادي عشر من سبتمبر. إن لوحة أو تمثالاً واحداً من إبداع يدي بازلتز لكفيل بجلب اهتمام النقاد وأهل الفنون.

رأى أول أعماله النور في عام 1958م، والذي حمل تباشير خطه الفني الخاص. وما هي إلا سنوات قليلة حتى أقيم أول معرض لأعماله. أتى هذا المعرض بما لم يكن في الحسبان، فعوضاً عن أن يتلقّى التهاني على إنجازه، رميت عليه الانتقادات من كل صوب، ما أدى بالحكومة إلى سجنه للتحقيق في الأمر. لقد أثار غضب الجمهور وجود لوحتين رسمت فيهما المرأة بجرأة، لقد عجز غيره عن فهم جوهر اللوحتين وعمقهما فلم يروا فيهما سوى الابتذال.

كان لخلفية بازبتز الدينية التي نشأ عليها إيحاؤها الجلي على فكره المتمثل في فنِّه. الدين، والتاريخ والحضارة لعبت دوراً كبيراً في مسيرة أسطورة الفن والنحت الخالدة.

هذه المسيرة العريقة التي أبهرت الكثير كان حريًّا بها أن تكرم وتجمع في مكان واحد. في سبتمبر 2011م، خصص جانب من متحف باريس للفنون الحديثة لعرض أعماله. لقي المعرض إقبالاً كبيراً واهتماماً إعلامياً واسعاً. تكمن قيمة هذا المعرض في كونه ممهداً لافتتاح معرض المنحوتات الخاص به في شهر أكتوبر، من هذا العام والذي سيستمر إلى منتصف شهر يناير 2012م.

يمتاز هذا المعرض المقام في قلب العاصمة الفرنسية بضمِّه لنتاج ثلاثين عاماً، وهي حصيلة ما قام به جورج بازلتز من منحوتات فنية. من المتوقع أن يستقطب هذا المعرض، الذي ينطق جهاراً بلغة الفن، أنظار الخاصة والعامة. كل ما في هذا المعرض سيمثل مقولة بازلتز «حقيقة اللوحة لا تكمن بمادية وجودها، بل بما يكمن وراء ذلك ويصعب رؤيته».



AFP

توماس ترانسترومر

حياته تفتح عينيها في الظلمات

الصورة فجر الكلام، هكذا كان يراها الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار، وهكذا استشهد أدونيس بها في شعر توماس ترانسترومر الحائز، مؤخراً، جائزة نوبل للآداب. فبعد خمسين عاماً تؤول جائزة نوبل للآداب لأحد مواطنيها، ضاربة بكل التكهنات عرض الحائط. للشاعر أن يكتب عن الشاعر، لكن عندما يكون الشاعر مترجماً فإننا نفرد له مساحة للتحليق في سماء الشعر والترجمة .الشاعر والمترجم جهاد هديب يرى أن ترانسترومر لونان من ضوء يسيلان على ورقة مبتلة.

لم يكن الشاعر السويدي توماس ترانسترومر الحائز نوبل للآداب لهذا العام غريباً عن الثقافة العربية تماماً، لقد كان الرجل على الأقل معروفاً بين النخبة عبر ترجمتين: من السويدية مباشرة بعنوان: الأعمال الشعرية من ترجمة حسن حمادي عن دار بدايات الدمشقية 2005م، مسبوقة بأخرى عن الإنجليزية، ربما لديوانه «ليلاً على سفر» من ترجمة ناصر كنانة عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2003م. لكن هذا الانتشار قد اتسعت مساحته إلى حدٍّ كبير مع تنافسه القاسي مع الشاعر العربي أدونيس (علي أحمد سعيد) على جائزة نوبل لهذا العام، حتى كأنَّ الرجل – أي ترانسترومر – قد أخذ نهر شعريته يتدفق إلى الثقافة العربية لأول مرة عبر ترجمات لقصائده التي أعيد

الكثير منها نقله إلى العربية وعبر ترجمات عنه فضلاً عما كتب حوله وحول شعره.

عبر هذه الترجمات الشعرية، يتلمس القارئ إن هذا الغنى الذي يتوافر عليه شعر ترانسترومر هو وليد معجمه المحدود من المفردات، مقروناً برؤية منفتحة على إعادة كتابة المادة التاريخية بوصفها حدثاً ودلالة، وكذلك على مفردات المشهد الطبيعي اليومي والعادي وقد أعيد تأثيثها وفقاً لمنطق أسطوري، إذا جاز التوصيف، ينأى بالأسطوري عن وظيفته الدينية وجعله دنيوياً تماماً. وربما من هنا يتداخل الجمعي بالفردي في قصائده التي نادراً ما يستخدم فيها أنا «النحن» ليترك لأنا «الذات» أن تعيد صياغة الصورة والتكوين في المشهد الشعري، في سياق ما يمكن القول بأنه سياسة شعرية تجعل من الشعر بسيطاً وفي المتناول، ويمكن لقارئ فرد في عزلته أن يتقاطع في مخيلة القراءة مع الشخص السارد في القصيدة، فيصير الاثنان واحداً.

بدأ شعر ترانسترومر بالتدفق إلى الثقافة العربية من السويدية مباشرة من خلال ترجمة صدرت عام 2005م

يتركز معجم ترانسترومر حول الضوء والظل ومابينهما من تدرجات لونية تفضي إلى ألوان أخرى هي إما مظلمة وإما مضيئة. أيضاً هناك الأشياء المتوافرة في البيئة والمحيط الإنسانيين بوصفهما كائنات حيّة وجامدة تتعين في القصيدة ضمن الحيِّز الخاص بها، من دون أنّ تخرج عن كونها إنسانية وفي متناول المخيلة على إعادة تشكيلها.

ومَنْ يلاحظ ذلك التوزيع البصري للقصيدة على بياض



صبيحة إعلان فوز ترانسترومر بنوبل تصدرت دواوينه واجهة المكتبات.

AFP



AFP

ترانسترومر مع زوجته بعد تلقيه خبر فوزه بجائزة نوبل.

الصفحة يلمس أن للضوء صلة، الضوء لجهة أنه لون وفقاً للمعنى التشكيلي للكلمة، فترانسترومر يكاد لا يكتب قصائده بل يرسمها، يجعل قارئ شعره يتخيلها، كما لو أنَّ عين الناظر إلى اللوحة هي ذاتها مخيلة القراءة. وهنا ليست القصيدة صوراً متجاورة كما هي اللوحة التشكيلية، بل صور متتالية تتجاور في مخيلة القارئ. يبدأ الشاعر قصيدته بشطر أو اثنين متَّبعاً علامات الترقيم ثم يترك بياض النص فارغاً من أي كلمة، ليتابع بعد ذلك بناء مشهد آخر، وهكذا حتى يقفل قصيدته، بحيث يبدو أنها «قفلة» لما بدأ به القول الشعري لا القصيدة كلها، وما بين المشهد الأول والأخير من القصيدة ثمة مشاهد موازية ليست فائضة إنما تعمل على إبراز تلك العلاقة بين المشهدين، على نحو ما تفعل العناصر الأخرى في العمل التشكيلي التي تبرز من مركز اللوحة، إذ تصنع حوله تناغماً لونياً وتكويناً بصرياً يجعل إصبع الناظر إلى اللوحة يكتشف فوراً مركز اللوحة من فرط جاذبيته، وللدلالة على ذلك ليأخذ القارئ أي قصيدة من القصائد المترجمة هنا وليس بقصيدة نثر، بل أي قصيدة من الشعر الحرّ.

لا نزعة تأملية باستثناءات قليلة في شعر ترانسترومر، بل القصيدة كلها، مبنى ومعنى، هي تأمل في العالم وإعادة صياغة لتاريخه، ورغم بساطة القول الشعري لديه هنا إلا أن شعره ينطوي على التماعات شعرية أخّاذة يشفّ عن غموض يقبل القسمة على التأويل:

« هذه اللحظةُ تضرِّج بالدم فيوضاً تخرج من الأبدية،
هذه اللحظة تنزف دماً في الخلود».

إنه، حقّاً، شعر يصيب المرء بالدوار ويجعله دائخاً لقليل من الوقت فيما يردد الكلمات ذاتها.

من قصائد ترانسترومر



بعد موت

ذات مرة كانت هزّة
خلّفَتْ، وراءها إلى الأمامِ منّا، أثر ذيلٍ يكادُ يومِضُ.
أبقَتْنا في الداخل. غَطّتْ صورَ التلفزيون بثلجٍ.
استوطنت في قطرات باردة على أسلاك الهاتف.

أحدُهم ما زال بمقدوره أنْ يمضي ببطءٍ على زلّاجة تحت شمس الشتاء
عبر دُغْلٍ حيث بضعة أوراق تتشبّثُ بأغصانٍ تكسّرت.
إنها تشبه صفحات اقتُلِعَتْ من دليل هاتف قديم.
أسماءٌ ابتلعها البرد.

ما زال رائعاً الإصغاء إلى خفقة قلب.
لكن غالباً يبدو الظلّ حقيقياً أكثر من الجسد.
ينظر الساموراي دون اهتمام
إلى جوار درعٍ، صفائحُه من جِلْدِ تنّينٍ أسود.

رنين

ثمّ إن الطائر المغرِّدَ قد تباهى بأغنيته فوق عظام الموتى.
وقفنا أسفل شجرة وشعرنا بالوقت يُغرقُنا ويغرقنا.
التقى فناءُ الكنيسة بفناء المدرسة فاتسع كلٌّ منهما في الآخر مثل عاصفتين في البحر.

تنامى رنينُ أجراس الكنيسة إلى أربع رياح دفعتْها القوة الناعمةُ لطائرات شراعية.
لقد غادرَتْ في إثْرِ صمت هو الأكثر روعةً على أرض
بينما سكونُ شجَرةٍ يخطو، سكون شجرة يخطو.

الضواحي

رجالٌ بثياب لها لونُ أرض بزغت من مجرى ماء.
إنّها مكانٌ متنقِّلٌ، في مأزِق، فلا بلاد أو مدينة.

شُيِّدَتْ رافعاتٌ تتأرجح على الأفق
تريدُ أنْ تثب وثْبةً كبيرةً، لكنَّ الساعات كانت قُبالتها.
أنبوبٌ من الكونكريت تبعثر حول الأكناف على ضوءٍ بلغاتٍ باردةٍ.

احتلَّت مصانع أوتوماتيكية الاصطبلات القديمة.
صخورٌ حادةٌ كما الأشياء على سطح القمر تُدَحرِجُ ظلالاً.
وهذه مواقع تظلُّ تكبر أكثر
مثل أرض اشتُرِيَتْ بفضة يهوذا: «حقل خزّافٍ لدفن الغرباء».

منتصف الشتاء

ضوء أزرق
يشرقُ من ثيابي.
منتصف الشتاء.
طرطقةُ نُدفٍ من الثلج.
أُغلقُ عينيَّ.
هناك عالمٌ صامتٌ
ثمة طقطقةٌ أيضاً
حيث الموتى
يُهَرَّبون عبر الحدود.

مشهد طبيعي بشموس

تبزغُ الشمسُ من خلف البيت.
تقفُ في منتصف الطريق
وتلقي علينا أنفاساً
مع ريحها الحمراء.
إنسْبورك ينبغي أنْ أغادركِ.
إنما غداً
سوف تكون هناك شمسٌ متّقدة
في الرمادي، في الغابة نصف الميتة
حيث ينبغي أنْ نعمل ونحيا.

ترجمة جهاد هديب

يستضيف هذا الباب المكرّس للشعر قديمه وحديثه في حلته الجديدة شعراء أو أدباء أو متذوقي شعر. وينقسم إلى قسمين، في قسمه الأول يختار ضيف العدد أبياتاً من عيون الشعر مع شروح مختصرة عن أسباب اختياراته ووجه الجمال والفرادة فيها، أما الثاني فينتقي فيه الضيف مقطعاً طويلاً أو قصيدة كاملة من أجمل ما قرأ من الشعر.. وقد يخص الضيف الشاعر «القافلة» بقصيدة من آخر ما كتب.. أو قد تختار «القافلة» قصيدة لشاعر معاصر.



السادية والمازوخية في الشعر العربي

بين قصائد الأمس وما فيها من سادية الشعراء يأخذنا أستاذ النقد الأدبي في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، الدكتور الشاعر عبدالناصر هلال، في جولة مغايرة، حيث الحب العذري وصور من المازوخية والسادية التي يمارسونها على ذواتهم بجنون. وبين ديوان اليوم اختار لنا من قصائده الجديدة ما يشي بالاختلاف عن الأمس البعيد.

ديوان النفس ديوان اليوم

عندما قال القدماء إن «الشعر ديوان العرب» كانوا يدركون أنه اختزال لشؤون حياتهم العامة والخاصة، وسجل أفراحهم وأتراحهم وعلاقاتهم الاجتماعية، لما يتسم به الشعر من خصوصية فريدة واستيعاب تجربة إنسانية معقدة وشائكة تقوم اللغة بإنجازها وكشف هيئتها عبر إرسال يخضع لحركة الشعور، فتتحول اللغة – في منجز الشعرية – من فاعل مباشر إلى مفعول من أهم سماته التلقائية والعفوية والتدفق، ومن هنا اعتمد الوعي النقدي الحديث – في إجراءاته – النص الشعري وثيقة نفسية إلى كونه وثيقة جمالية.

ترك شعراء الغزل أو الحب العذري – نسبة إلى قبيلة «عذرة» وهي إحدى قبائل «قضاعة» التي كانت تنتشر في شمال إقليم الحجاز- تراثًا شعريًا تمحور حول ذواتهم وأحاسيسهم وآلامهم النفسية والعاطفية المفرطة، وكانت الحياة من حولهم مناخاً ملائماً لهذا النزوع، فلم تكن قاسية كقسوة الصحراء والجدب، بل بها خصوبة ونماء وعلاقات قبلية مستقرة، فاحتفلوا بلذة الحب وعذابه، ولم ينحازوا إلى الأغراض الشعرية الأخرى مثل المدح والفخر والحماسة والهجاء.

امتلأت قصائد العذريين: جميل بثينة، مجنون ليلى، كثير عزة، بالقلق والخوف والعذاب والفقد والحرمان والشعور بالاضطهاد والعجز، فتجلت صور «السادية» و«المازوخية» في شعرهم وهي ظواهر نفسية.

السادية من البكاء إلى الاحتفال بالموت:

السادية تنسب إلى الماركي دوساد، وهو من كبار الكتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر، قامت فلسفته على التمرد على نظام الكون الذي يبيح الشر.

وتدل السادية على انحراف ينحصر في استمداد الشخص السادي لذته مما يلحق الغير ألم بدني ونفسي، وقد يكون الألم الذي يحل بالضحية ألماً عضوياً حاداً من ضرب وقتل، وقد يكون نفسياً من تجريح وإذلال واستمتاع بعذاب الآخر وهوانه.

وقد تجلت السادية، بوصفها موقفاً من العالم الذي يستقطب وعي المحب ومشاعره، في خطاب «مجنون ليلى» لغراب البين الذي يحمل له الشؤم، والشر، ونبأ الفراق، فيهيج في نفس «المجنون» اللوعة والهجر والفراق:

ألا يا غراب البين هيجت لوعتي
فويحك خبرني بما أنت تصرخ
أبالبين من ليلى فإن كنت صادقاً
فلا زال عظم من جناحك يفسخ
ولا زال رام فيك فوق سهمه
فلا أنت في عيش ولا أنت تفرخ

ولهذا يتلذذ قيس بن الملوح بعذاب ضحيته غراب البين الذي كان سبباً في بعده عن محبوبته وحمل له الشر، فله العذاب قبل الموت وبعد الموت:

وعانيت قبل الموت لحمك مشدخاً
على حر جمر النار يشوى ويطبخ
ولا زلت في شر العذاب مخلداً
وريشك منتوف ولحمك يشرخ

أما الشاعر جميل بثينة فيتلذذ بعذاب محبوبته – وهي صورة قليلة التجلي في شعر الغزل – لأن «بثينة» كانت سبب مرضه وعذابه، فلا ضير أن يحقق عذابها توازناً نفسيًا ومزاجيًا عنده:

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها
وإذ هي تذري الدمع منها بالأنامل

وينتقل الشعور السادي، في ظل الرغبات المفقودة وعدم التحقق العاطفي، من جنس مواز إلى وجود اتصال الأجزاء المقسومة /الحب كما يسميه ابن حزم، فلم يسلم من رغبة التشفي منه بوصفه مصدر سعادة وشقاء في آن، فليته يجرب العذاب والهجر كما يكابده المحب:

فيا ليت هذا الحب يعشق مرة
فيعلم ما يلقى المحب من الهجر

انتقل الشاعر من إطار التلذذ بعذاب الآخر /الجنس البشري إلى مرحلة التشفي وممارسة السادية ضد الحب بوصفه مصدر تعذيب وملامة وسهاد، وكونه يشكل طبقة من الرغبات المكبوتة لاشعورياً.

لم يكتف الشاعر العذري بموقفه السادي تجاه من أحب ومن الحب نفسه، ولكن ضد كل من لم يعنه على تحققه الوجداني مع محبوبته، فيمارس السادية ضد الحيوان والطير، كما في قول مجنون ليلى وهو يخاطب سرب القطا الذي لم يعره جناحه لكي يطير فله العذاب:

أسرب القطا هل من معير جناحه
لعلي إلى من هويت أطير
وأي قطاة لم تعرني جناحها
عاشت بضير والجناح كسير

لقد أوقعت حرية سرب القطا وقدرته على التحقق من

خلال الحركة حيث يذهب حيث يشاء، وفي المقابل يعاني الشاعر العجز وعدم القدرة على الوصول إلى المحبوب، ومن هنا تدركه نزعة الحقد والتشفي وأمنية العذاب له.

المازوخية وتجلياتها

المازوخية نسبة إلى الكاتب النمساوي «ساخر مازوخ» الذي تفنن في وصف المواقف التي تتسم فيها المرأة بالقسوة واستعبادها للحبيب استعبادًا مطلقًا. والمازوخية تعني أن يستشعر الشخص باللذة بما يعانيه من آلام بدنية ونفسية، وقد تجلت هذه الظاهرة في شعر العذريين بكثرة تختلف عن تجليات السادية، لأن الشاعر المحب يؤثر عذاب ذاته عن عذاب من يحب، بل إن المحب يرى محبوبه كوناً بكراً يتمنى ألا يصيبه عطب أو فناء.

والمازوخية – في الشعر العربي عمومًا وفي شعر العذريين خصوصًا – قد تجلت بصورة كبيرة حتى وصلت إلى حد المازوخية المرضية، فالشعراء لا يريدون الوصل حتى ينعموا به، ولكنهم يريدون الهجر ليتعذبوا به.

ومن أهم العوامل التى تخلق الشعور المازوخي عند الشاعر العذري عدم تحقق علاقته العاطفية بمن يحب على أن تتوج بالامتلاك والتوحد أو التماهي /الزواج، والسبب يكون اجتماعياً حيث تمنع القبيلة زواج المرأة من الشاعر الذي يتشبب بها وتحرم عليه، ومن هنا تتفاقم حدة الصراع النفسي للشاعر فيعذب نفسه لتشبيبه بها:

يقول قيس بن الملوح متلذذاً بعذاب حبه لليلى:

فيا حبها زدني جوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

ويصف العذاب الذي اعتراه وأصابه بالمرض، غير أنه لم يزل هائماً مستطيباً العذاب على الرغم من الإعياء والسقم:

إليك عني أني هائم وصب
أما ترى الجسم قد أودى به العطب

وارتبطت المازوخية عند شعراء الغزل العذري بالبكاء، حيث يجد الشاعر لذته ومتعته فيه، بوصفه مطهرًا عاطفيًا، فـ«المجنون» يبكي على نفسه من فرط قسوة ليلى ومن الصد والهجران:

أبكي لنفسي رحمة من جفائها
ويبكي من الهجران بعضي على بعضي
وإني لأهواها مسيئاً محسناً
وأقضي على نفسي لها بالذي تقضي

أما «كثير» فلم يعرف البكاء قبل فراق «عزة» ولم يذق لذة عذابه الجميل:

ما كنت أدري قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت

ومن صور المازوخية وثنائية القتل والشفاء ما ورد في قول مجنون ليلى:

ألا يا نسيم الريح لو أن واحداً
من الناس يبليه الهوى لبليت
فلو خلط السم الزعاف بريقها
تمصصت منه نهلة ورويت

لقد استخدم المجنون ثنائية القتل والشفاء، حيث يرى أن الداء الذي يلحق به الموت ويتسبب في قتله هو نفسه الذي يشفيه منهما، لقد أدمن العذاب رغبة في المتعة واللذة العميقة، فالتحقق والتوحد بل الارتقاء لا يحدث إلا في ظل هذه المازوخية الخاصة التي لا تتحقق إلا عند أصحاب التجلي العاطفي، أصحاب الشغف المتوقد والروح الفائرة التي تتحقق في وصال معذبها.

السادومازوخية

إذا كانت السادية في مفهومها وتجلياتها في شعر العذريين هي التلذذ والاستمتاع بعذاب الآخر، والمازوخية أن يتلذذ الشاعر بعذاب من يحب، فإن صورة ثالثة جمعت النقيضين معاً في حالة واحدة وهي السادومازوخية، حيث يستمتع الشاعر العذري ويتلذذ بعذاب نفسه وعذاب محبوبته معه في آن، كما ورد في قول كثير عزة:

ألا ليتنا يا عزة كنا لذي غنا
بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدي وأجرب
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله
علينا فما ننفك نرمى ونضرب

لقد وجد الشعراء العذريون في مواجهة العالم وجوداً خاصًّا، فلم يرق لهم كثيراً عذاب الآخر، واستمتعوا بعذاب ذواتهم المرهفة وأنين أرواحهم التواقة إلى التماهي مع المحبوب، فازدادت جدلية الأنا والآخر، وهيمن على بنية خطابهم الشعري ضميرا المتكلم والمخاطب، وبنيتا الماضي والمضارع، ما يشير إلى الحركة النفسية والحركية التعبيرية.

قصيدتان

د.عبد الناصر هلال

تفسير

لو يمنحني الماء،
تواشيح الماء
أو يمنحني البحر العشق الكوني،
أفسر:
ما تمليه الدهشة
والغربة تحت الشمس.
وجهي حقل
أقرأ:
تاريخ البهجة أحياناً
عشق المرأة للنافذة وللزهر،
وأحياناً أقرأ:
أرق الخطو،
«وشخبطة» الرمل،
إذا اكتسب الرمل قيامته
وجهي لا يستعصي
أزعم أن الضوء هو القانون السري،
وللماء لغات
تبدو لينة
إذ يقرؤها القلب بشهقته
أو اعترك مع الألوان،

إني منجذب
وَلِهٌ بالشجر وبالأفق
والبحر إذا اهتاج لوحدته
وانصاع لرغوته الصخر
إني منجذب
أطرافي تختلس من الرعشة،
قاموسا للبرد وللغاب
للماء تواريخ
والقلب لديه مواويل محبطة
النار لقاح للماء
والماء كتاب الطير
الكون رحيب
يبدأ بالجرح
وبامرأة ناحلة
أو عرس بكارتها
الخطوة ميثاق
أشرعة للموت
والأرض تباهي الريح بورقة عشب
إني حددت الأرض بمعيار الرغبة
والسحب بخاصرة ضامرة
قلت:
الدهشة ميلاد
والغربة تحت الشمس
جنون غامض.

ابتداء

بين قصيدتك وبيني
أول طير
يخرج من رئة الأرض،
يشاكس ظل جناحيه،
ويجتاح الأفق
امنحني غنوة طفل
أو شكلني الكرة الأرضية
قلت:
للكرة الأرضية
حال ومدار
وأنا مغترب بين الحال وبيني
أنتخب الأرض بجمر
والبحر بشرنقة
والحب بجرح
للكرة الأرضية أسرار
يلبسها ليل
ونخيل
وامـــرأة تتزيا بالوهج،
الإخصاب
المرأة هوس
والكرة الأرضية تأويل للموت

قالت:
بين قصيدتك وبيني وهج
المد الجزر هو الإيحاء
لديك،
كتاباتك أشبه بالجرح العربي
لكنك توجز أحياناً
لست المغرم بالإيجاز
أنت احتدمت أعضاؤك
تختصرين دلالات الشمس
تبتدئين اللغة العربية
بالرعشة
وأنا أبتدئ اللغة العربية
بالنار

فلسفة سأسميك
أو جرحاً يبدأ.



تأتي روايات عبده خال انعكاساً عن الواقع في قالب سردي شرس.إذ يجابه الشر بأنواعه الذي يحيط بالمهمشين والمقهورين. **سماهر الضامن** ترصد برؤية نقدية الجانب الاجتماعي في روايات عبده خال. كاشفة عن نقاط الالتقاء فيها.

روايات عبده خال..

عالم مفتوح على المهمشين

تمارس تجربة عبده خال السردية الحفر عميقاً لكي ترى وتكشف ما يجري في الدواخل والبواطن.. فعلى امتداد تلك التجربة، الممتدة من منتصف التسعينيات وإلى الآن، تلبس خال دور الرائي للعاهات، والكاشف عن التشوهات الاجتماعية، والمطارد للشرور كي لا تفر إلى العدم، «مناضل شرس».. قد يبدو هذا توصيفاً لائقاً بعبده خال في مثابرته السردية.

إبقاء الذاكرة الجمعية طرية وغضة، الحفاظ على طزاجة الشعبي وحيويته في مقابل الرسمي والسلطوي، يبدو غاية مقدسة للفعل السردي لدى خال، تسجيل أحداث تاريخية مر بها المجتمع المحلي خلال تحولاته، ورصد مواقف الصراع بين المتنفذين والمهمشين، ومتابعة يوميات البسطاء والمسحوقين.. دوائر ينغمس فيها فعل السرد إلى الحدود القصوى حتى يغرق أحياناً في التصوير والتسجيل والرصد.

على أن الانزلاق بالحديث نحو هذا الاتجاه قد يؤدي إلى قدر كبير من الشطط في التفسير النقدي، وحتى في الحكم على المنجز عندما تؤدي المقاربة النقدية هنا رسالة مفادها أن السرد هو مجرد «رصد» أو «تسجيل» أو «تصوير» للواقع الاجتماعي أو التاريخي، بما يدفع لاستحضار جدلية الانعكاس أو المرآوية التي تحكم علاقة الأدب عموماً بمرجعه الخارجي، وهي علاقة قد أسرفت النظرية النقدية قديماً وحديثاً ببحثها ومجادلتها.. ولابد هنا من التذكر بأن النظرية الحديثة لم تعد ترى في الأدب انعكاساً عن الواقع بقدر ما تجد فيه مقاربة تختلف درجة أو حدة تماسها بذلك الواقع.. وبما يشكل انزياحاً بالنص الأدبي عن مرجعه الخارجي بشكل أو بآخر..

إننا في الأدب، حسب تودوروف، لا نكون إزاء واقع خام، وإنما إزاء أحداث تقدم لنا على نحو معين.. كما أن الوقائع التي يتألف منها العالم التخييلي لكاتب ما لا تقدم في ذاتها، بل من منظور معين وانطلاقاً من وجهة نظر معينة.. ولذا يمكن هنا التساؤل عن الكيفية التي يصف بها النص الأدبي العالم.. بعبارة أخرى يمكن طرح قضية صدقه: فالقول بأن النص الأدبي يعود إلى واقع، وأن هذا الواقع يمثل مرجعه أو يصور واقعه، يعني أننا نقيم بالفعل علاقة صدق بينهما، وأننا نخول لأنفسنا إخضاع الخطاب الأدبي لامتحان الحقيقة..وهذا ما لا يشكل غاية لهذه المقاربة ولا تعتنقه بقدر ما تسعى لاختبار درجة تماس هذه التجربة بواقعها الاجتماعي والكيفية التي تعبر

83 90

بها عن تلك العلاقة، والتي هي بالنتيجة علاقة مؤكدة، وثيقة، لا سبيل إلى إنكارها أو تجاهلها، كما يرى الناقد عبدالله إبراهيم، لكنها في الوقت نفسه علاقة شائكة ومعقدة وغامضة ومتعددة المستويات، ومتباعدة، ويتعذر وضع قانون لضبطها وتفسيرها وكشف أواصرها..

ليس من الصعب على المتتبع للتجربة السردية لعبده خال منذ بداياته في «الموت يمر من هنا» أن يستشرف خط مسيرته الروائية، لقد كان جلياً أن خال يوظف سرديته لتلاوة نشيد الإنسان المهمش السفلي في صراعه ضد قوى الهيمنة بكافة تمظهراتها: الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية.. برمزية عالية في حينها، وواقعية تالية بلغت حد التوحش في بعض أعماله كنباح، ومدن تأكل العشب، وفسوق.. وقد توج كفاحه بمجابهة حدية في روايته الأخيرة الحائزة البوكر «ترمي بشرر»..

إن توظيف تعبيرات «الكفاح» و«المجابهة» و«التوحش» ليس اعتباطياً هنا أبداً، إذ الرواية المحلية ولدت في فضاء جاهز للتنافس الأيديولوجي، بتعبير محمد العباس، وتبرعمت كشكل من أشكال المواجهة التنويرية ضد قوى تسعى لاختطاف المجتمع وتجييره في قوالب ماضوية وسد منافذ الحياة والحداثة الاجتماعية في طريق مسيرته بدعوى الفضيلة وسواها من الشعارات.. مما يجعل الرغبة المعلنة في التجربة الروائية لأداء الدور التجابهي والكفاحي ضد تلك القوى رغبة مفهومة ومبررة.

المشروع السردي لخال يبدو منظماً ومرتباً وغير اعتباطي، فهو يمتلك تصوراً واضحاً لما يريد أن يصل إليه من خلال ممارسته السردية

من هنا جاءت العديد من التجارب الروائية المحلية رداً اجتماعياً إبداعياً يسعى لمجادلة القيم التي تتشدق وتتشبث بها تلك القوى، ولعلي لا أبالغ كثيراً حين أزعم بأن عبده خال كان من أشرس هؤلاء المناضلين الذين حملوا همّ الكائن المسحوق والمهمش والمسلوب الإرادة والحقوق، والذاكرة الجمعية ضدّ تزييفها وطمر تراثها وتاريخها القريب فضلاً عن البعيد.

في بداياته كانت تستفزه الحالة الطبقية، وتراتبية العلاقات في المجتمع الزراعي الإقطاعي كما في «الموت يمر من هنا»، بما يمتلئ به فضاؤه من تسخير للكادحين والبسطاء، وغبن لحقوقهم لحساب «السيد» الأوحد الذي مثله «السوادي» في تلك الرواية كرمز لقوى الشر والتسلط والهيمنة.. صور متلاحقة وتفاصيل كثيرة يلتقطها السرد لحياة الكادحين والمغلوبين في هذه الرواية بأسلوب أقرب للرمز وإن لم تكن تلك الصور في النهاية غريبة على متن عايش تلك العلاقات في المجتمعات الزراعية الجنوبية تحديداً، خصوصاً أنه الكاتب الذي يتحدر من قرية جنوبية يعرف ناسها جيداً معنى الكدح وشظف العيش، والذي يزيده جبروت المتنفذين شظفاً ووحشية.

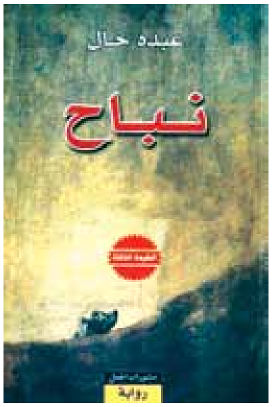


واصل خال في أعماله اللاحقة كـ«مدن تأكل العشب» و«نباح» نقد بنية التسلط وتعريضها لمزيد من الكشف والفضح، وكمن يتدرج في نبش مكامن العطب والتشوهات، انتقل لتدوين التباسات مرحلة تاريخية شرسة مرت بها المنطقة العربية عموماً بين الخمسينيات والسبعينيات، وما تناسل عنها من حروب وشعارات وصراعات وخيبات وانتكاسات، بدءاً بالمرحلة الناصرية والعدوان الثلاثي وحرب أكتوبر وحلم الوحدة العربية، ومروراً بحرب الخليج وغزو الكويت في التسعينيات، وكل ما خلفته هذه الأحداث المفصلية الكبرى في حياة الأفراد والبسطاء في مجتمعه الصغير، لا سيما أولئك الذين يصطلون بدمار الحروب ويتجرعون ويلاتها ومآسيها حتى دون أن يسهموا فيها من قريب أو بعيد.. فالبسطاء يتحملون وزر قرارات الساسة والزعماء وحماستهم، ويدفعون ثمن الشعارات التي يرفعها هؤلاء.



وخال إذ تشغله الصراعات السياسية والحروب والمناكفات الحزبية في البيئة المحلية، التي قلما تعرضت الروايات لمفاعيل تلك المرحلة والأحداث فيها، إلا أنه لا ينشغل بها من الخارج، أو لا تعنيه الحروب والصراعات كأحداث تاريخية بقدر ما يركز على أبعادها الاجتماعية،

وعلى التفاصيل التي لا يراها الكبار، ولا يتنبه لها أحد في غمرة الانشغال بإطلاق الصواريخ وتسيير الدبابات والطوافات.. المنشغلون بالسياسة والأيديولوجيات الكبرى، والكتاب الذين يؤرخون للحروب يروونها كتواريخ وأرقام، كمن يلتقط صورة من برج سماوي فلا يظهر إلا قشرتها الخارجية. أما السرد هنا فيروي الحرب كما يعيش تفاصيلها الأفراد في القرى الصغيرة والأزقة والمنازل.. كما تتشتت وتجوع وتعرى بسببها العائلات المعدمة أساساً، والتي لم يكن ينقصها الحروب والدمار والمعارك الأيديولوجية لتزيد معاناتها الحاضرة والقائمة أصلاً.. والتي لم تكن، أيضاً، بحاجة للحروب والأيديولوجيات بقدر حاجتها للتنمية والرعاية المؤسسية..



ففي «مدن تأكل العشب» يعايش السرد مأساة «يحيى» الذي تدفعه والدته لمغادرة القرية مكرهاً ومكرهة، وهو صبي للتو يفارق الطفولة ليسعى في مدينة «جدة» جالباً رزق العائلة المنكوبة بفقد عائلها وبالفقر والجهل.. وتأتي الحرب لتعيق عودة يحيى لقريته، وتعيق لقاءه بعائلته وأمه التي تحرقها عقدة الذنب فتبذل ما تملك وما لا تملك أملاً في استعادة ابنها الذي انقطع به طريق السفر المرهق والقاتل.. ولينتهي بها العوز والرغبة في الوصول لابنها بالاضطرار لتزويج أجمل بناتها لأحد الجنود الغرباء الأجلاف، والذي كان طامعاً في صباها وصغر سنها، ولتختنق حكاية حب وليدة بين العروس الصغيرة وأحد أبناء قريتها.

يتكرر مفعول الحرب بتقطيع أصر العلاقات الاجتماعية في «نباح» عندما تضطر كثير من العائلات اليمنية إلى مغادرة السعودية إبان الغزو العراقي للكويت، وانحياز الحكومة اليمنية لجانب صدام حسين ضد التحالف الدولي، وطلب الرئيس اليمني من مواطنيه المقيمين في المملكة مغادرتها والعودة لليمن، ما حدا بكثير منهم للاستجابة وترك مصدر الرزق والعودة لحيث المصير المجهول ومكابدة بناء حياة جديدة. وهكذا توقع الحروب هؤلاء الأفراد في مآزق لم يحسبوا لها حساباً، إذ هم لم يختاروا الحرب أساساً ولم يخيروا بشأنها. يستجيب والد «وفاء» حبيبة بطل الرواية مع من استجاب لطلب الرئيس اليمني ويغادر إلى اليمن، ويبقى قلب البطل معلقاً بها، لتبدأ هنا مرة أخرى رحلة بحث جديدة، مختلفة كثيراً بطبيعة الحال عن رحلة البحث عن يحيى، فالزمان والمكان هنا وطبيعة الشخصيات مختلفة.. وقد وسع السارد هنا دائرة الصراع موزعاً فضاء الأحداث بين جدة واليمن.. ولأن البطل كان محرراً صحفياً فقد تسنى له في إحدى رحلات بحثه أن يذهب ضمن وفد لمؤتمر إعلامي فيلتقي شخصيات عربية عدة من جنسيات مختلفة لتكون فرصة سانحة لعرض الأصوات ووجهات النظر والاختلافات الكثيرة والجدل حول القضايا المصيرية كما يسمونها.. وليعثر البطل على حبيبته أخيراً وقد حولتها عصابات الدعارة إلى فتاة هوى تبيع جسدها لأي عابر.. وهي ظاهرة تعرفها أغلب المجتمعات التي تعرضت للحروب، عندما تفقد النساء العائل ويبحن وجهاً لوجه مع الجوع، فيبعن أجسادهن ليطعمن أطفالهن وليثرى تجار الحروب وسماسرتها. لقد غصت «نباح» بكثير من هؤلاء مثل الجحش، وتوفيق عبدالله الذي صار يحتكر بعض السلع ويروج لها على أنها من مقومات حماية الحياة في فترة الحرب كاللصق، والأقنعة الواقية من الغازات السامة.

ولم يفت السارد في «نباح»، وهي التي ترصد مرحلة التسعينيات، أن يتتبع منشأ موجة التطرف الديني الجديدة


Shutterstock

التي تزايدت مع عودة الشباب الذين رحلوا للجهاد بقصصهم الغرائبية حول كراماتهم ومعجزات معاركهم.

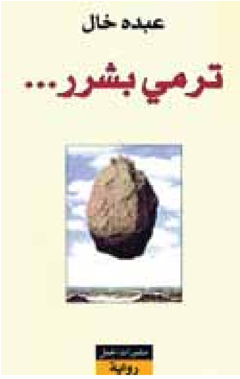
ويحكي خال عن هذه الفئة، أيضاً، في رواية «فسوق»، بشخصية «محمود» عاشق جليلة الذي رفضه والدها عندما جاءه طالباً يدها للزواج بحجة أنه «مجنس» وليس قبلياً أصيلاً.. وبعد أن قبضت عليه الهيئة معها بتهمة الاختلاء المحرم، تحول هو إلى مجاهد من مجاهدي أفغانستان ثم العراق، وانسحبت هي إلى حالة من التدين المَرَضي الذي انتشر كثيراً خلال السنوات الأخيرة، والذي لا يعبر عن العقيدة الصافية بقدر ما هو إفراز ناجم عن حالات الكبت والاستلاب.

المتتبع للتجربة السردية لعبده خال منذ بداياته في «الموت يمر من هنا» أن يستشرف خط مسيرته الروائية، لقد كان جلياً أن خال يوظف سرديته لتلاوة نشيد الإنسان المهمش السفلي

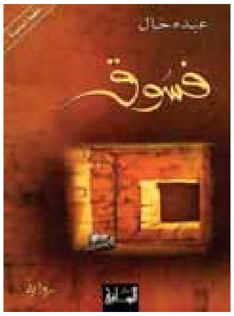
في «فسوق» تنسحب النبرة الأيديولوجية العالية في روايات خال التي تعايش فترات وأزمنة الحروب.. كما تخفت حدة الجدل الوجودي الذي تمتلئ به رواية «الطين»، ليغوص خال هنا في عمق العلاقات الاجتماعية.. العائلة والحب، والزواج، والقبلية، والرجال والنساء.

يقترب خال هنا من لحظته الزمنية وواقعه حتى تتسمى الأشياء بأسمائها، دون ملابسة أو مواربة.. ويزيد حدة الجرأة فيوجه نقداً لاذعاً وغير مهادن للسلطة الدينية المطلقة.. واتخذ خال من حكاية قبض الهيئة على جليلة ومحمود مدخلاً لمجادلة كثير من سياسات الهيئة وحجم السلطة الممنوح لهم، على لسان الضابط أيمن الذي فصل من عمله بعد أن خالف إرادتهم وعمل بما تقتضيه قناعته. ولعل هذا النقد الجريء كان سبباً من أسباب الشهرة التي حازتها رواية «فسوق» أكثر من سواها.

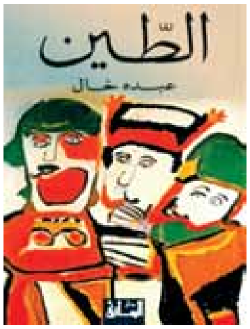
يواصل خال نقد التشوهات والعاهات الاجتماعية في روايته الأخيرة «ترمي بشرر» الحائزة جائزة البوكر للرواية العربية، وقد كرس اسمه فيها ككاتب مناضل لا يتهيب النبش في أكثر المناطق عتمة.. من إساءة استغلال السلطة إلى التعدي على أموال البسطاء وأملاكهم وحتى أقدارهم ومصائرهم. والقوانين التي تطبق بمكاييل مختلفة بناء على الأسماء والألقاب، والأموال الفاسدة التي تشتري كل شيء حتى الأجساد والضمائر والمصائر.. وتمايز الطبقات الاجتماعية بين فقر مدقع وغنى فاحش مهول، وانحسار الطبقة المتوسطة التي لا وجود لها في هذه الرواية كما بدأت تنحسر في الواقع..



وكما اعتاد خال في معاصرته للحظته الزمنية ومعايشة واقعه، فقد أدخل في نسيج الرواية أحداثاً واقعية عديدة ما زالت الذاكرة الاجتماعية طازجة بها، كانهيار أسواق الأموال وما رافقه من هزات اقتصادية طالت كافة فئات المجتمع.



إنه لمن اللافت أن المتابعة الدياكرونية للمنجز السردي لعبده خال تكشف عن تدرج تاريخي معين ومدروس، كمن يحمل مخزوناً هائلاً من الحكي والوقائع والأحداث ويضع له خطة زمنية واضحة لتدوينها وكتابتها حسب تسلسل حدوثها في الواقع المعاش.



قد تنتهي بي هذه المقاربة للقول بأن المشروع السردي لخال يبدو منظماً ومرتباً وغير اعتباطي، فهو يمتلك تصوراً واضحاً لما يريد أن يصل إليه من خلال ممارسته السردية.. فالسرد لديه واقعة اجتماعية، تقارب الواقع وتصوغه من وجهة نظر كاتبه الذي يبني في نصه عالمه الخاص، ويرينا العالم من زاوية تختلف، ربما، عن الزاوية التي ننظر منها.. وهو بهذا المعنى وسيلة تحريك وتغيير للواقع بما هو رؤية مغايرة ومختلفة لهذا الواقع، فتسمية الخلل، وتتبع الشرور، ورصد الوقائع ليس لمجرد التسجيل ونقل صورة الواقع الاجتماعي بصورة فوتوغرافية، بل هو تسجيل موقف الذات الكاتبة ورفضها لمثل تلك الظواهر والتشوهات التي عشعشت في عمق المكون الاجتماعي المحلي، ولابد من إلقاء أحجار كثيرة تحرك المياه الراكدة.

قد يبدو أنه من المستحيل ألا تمر بنا نسخة رديئة عن لوحة لفان غوخ معلقة في غرفة انتظار في مكان ما، أو قميص يحمل رسمة لفريدا كاهلو، أو حتى علبة معدنية مطبوع عليها أحد المناظر التي رسمها مونييه.

وهكذا لم يعد غريباً أن نرى أعمالاً لمن يعدون أعلاماً في عالم الفن الطليعي، وقد تحولت واجهة لبعض السلع استهلاكية، وكتش. أتذكر أن المرة الأولى التي تعرفت فيها على مصطلح «كتش» كانت في أثناء قراءتي لرواية ميلان كونديرا « كائن لا تحتمل خفته». ورغم أن الكتش ليس أمراً بالغ الأهمية في الرواية، لكنني أتذكر أنني توقفت عنده كثيراً، محاولة معرفة معناه أولاً، ثم قلقت من أن أكون من مستهلكي هذا «الكتش».

الكتش كما يعرفه معجم أكسفورد هو: فن، جسم أو تصميم صنف أنه فقير فنياً، بسبب المبالغة في تزيينه، أو بسبب المبالغة في تصوير المشاعر. لكن كونديرا يعرفه في معرض شرحه لمصطلح الكتش أنه: الإنكار المطلق للانحطاط.

فن الانحطاط

في البداية بدا صعباً أن أعرف ما هو الكتش، وما هو سواه، لكن قبل سنوات ليست بالكثيرة، شاهدت لقاء أجري مع الفنان الأمريكي جيفري كونز على هامش المعرض الذي أقيم لأعماله في قصر فرساي عام ٢٠٠٨م.
في عام ١٩٨٨م أي قبل ٢٠ سنة من ذلك اللقاء، عرض كونز منحوتة من البورسلين لمايكل جاكسون يحمل شامبانزي. ليس غريباً أن يعتبر أي شخص يعتقد بامتلاكه ثقافة فنية، أيّا كانت سعتها أن هذا كتش «فن رديء» لكن كانت صدمتي عند رؤيتي لهذا اللقاء، أن يصنف جيفري كونز فنه ككتش.

وصف جيفري كونز لأعماله بالكتش، كان صادماً بالنسبة لي، لكنه أيضاً فتح آفاقاً أخرى لفهم الانحطاط أو الابتذال، وتقدير المعاني التي يحملها. فالانحطاط أو الرخص والتفاهة، هو جزء من ثقافة الشعوب، والقدرة على التعبير عنه، هي فعلاً فن. إن اعتبار بعض أشكال الكتش فناً، لا يعني أن الفن الطلائعي ليس فناً بالتالي، بل قد تكون العلاقة بين الفن الطلائعي والكتش، هي علاقة تشبه مفهوم الين واليانق في الثقافة الصينية. فالاثنان مكملان لبعضهما أو حتى إنهما وحدة واحدة، وأحياناً نجد أن أحدهما جزء من الآخر.
كما ذكرت سابقاً، فإن وجود فن طلائعي هو أمر مرتبط ومتلازم مع وجود الكتش، فلا يمكن إطلاقاً أن يتم تصنيف أحدهما دون وجود الآخر «وبضدها تتمايز الأشياء». لكن ما يبدو غريباً هو أن تتبادل تلك الأضداد الأدوار. ففي حين ليس غريباً أن ترى لوحة ذا لايدي أوف شالوت لجون ويليم واتيرهاوس كخلفية لجهاز كمبيوتر أو جوال ... نرى أن أعمالاً لفنانين معاصرين أو فناني البوب غير شعبية إطلاقاً، في مفارقة رهيبة ومثيرة للسخرية. إن معرفة شريحة ضخمة من الناس لاسم وأهم أعمال ليوناردو دافنشي، يبدو أمراً غريباً أمام تراجع أعمال آندي وارهول المليئة برمزيات الثقافة المعاصرة، لتبقى محصورة بين نخبة ضيقة من الناس، وجدران المعارض الفنية الخاصة.

إن العديد من نقاد الفن يرون أن قيمة الكتش، تكمن في كمية السخرية التي تحملها تلك الأعمال، قد يكون هذا الأمر هو أحد الأشياء التي دعت بالكتش ليتحول لفن نخبوي، فيما يتحول الفن الطلائعي لكتش، من خلال استخداماته، و تحويله لثقافة استهلاك إنتاجاته مطبوعة على أكواب، وداخل إطارات اللوحات في معارض البيع لشركات الأثاث و التحف المتعددة الجنسيات. إن مباشرة الفن الطلائعي كمنتج بصري يحوي عناصر جمالية شائعة قد تكون سبباً في استحالة هذا الفن لمادة استهلاكية لا أكثر. في المقابل تحتاج أن تعرف الرمزية التي تغلف الكثير من عناصر فن الكتش، لتستدرك مقدار السخرية التي تحويها تلك الأعمال.

في سبب آخر لهذا التحول في مكانة «الفنيين» هو الشغف المستمر للعديد من أفراد الطبقة المتوسطة في انتهاج سلوك الطبقة الغنية، لذا يسعى كثير من أفراده في اقتناء «الفن» حتى لو كانت نسخاً رديئة، كجزء من هذا السعي، حيث إن التعاطي مع الفن هو رفاهية تخلق الفرق بين الكادح، والمتنعم. في المقابل تمارس الطبقة الغنية سلوكاً مماثلاً، و قد يكون معاكساً، في سعيها هي الأخرى للإبقاء على هذا الفرق الذي يفصلها عن بقية المجتمع، بالتوجه لاقتناء ودعم الكتش كنوع من التمايز.

إن السؤال الذي يجدر طرحه هنا: إلى متى ستظل الصورة مقلوبة؟ وهل يجدر بنا نحن أيضاً أن نقلب المسميات، حيث يصير أي فن طلائعي كتشاً، ويتحول الكتش لفن طلائعي؟!

أروى الحضيف



الحرير

ليس من اليسير أن تمسك في التاريخ بأول خيط الحرير وقد اختبأ دود القز على أغصان شجر التوت هنا وهناك. فهذا النسيج الذي صنع في الحضارة طريقاً، وفي الأناقة ذوقاً رفيعاً تعددت عواصمه، تنوعت الأنامل الذي تحيك من ألوانه، التي تبتسم للشمس، ملبساً وسجاداً ومتكأ.

ترك الحرير في كل مكان قصة وحكاية: من دمشق إلى الصين، ومن الشعر إلى تلك المساحات الساحرة التي شغفت بالحرير، أو شغف بها، تيهاً وجمالاً.

يجمع فريق القافلة في هذا العدد بعض حكايات الحرير وقصصه التي شغل بها الناس.



Shutterstock

الملف

شجرة التوت.. وصانعة الحرير

الأساطير الصينية وحدها استأثرت بسر تاريخ خروج دودة القز، صانعة الحرير، إلى العالم، واكتشاف دورها الطبيعي في صناعة أثمن نسيج في العالم. إذ ترجع الأسطورة تاريخ اكتشاف دودة القز إلى عام 2700 ق.م على وجه التقريب، وأن المصادفة قادت زيلتش زوجة الإمبراطور هوانجدي، إلى اكتشاف سر الدودة العجيبة التي تتغذى على ثمار أشجار التوت وتنتج هذه الخيوط الرفيعة القوية التي اكتشف، فيما بعد، صلاحيتها لصناعة نسيج ذي صفات خاصة.

وبعيداً عن التفاصيل الكثيرة التي قد تفتقر إلى التوثيق، فالثابت تاريخياً أن الحرير اكتشف في الصين أولاً. وحافظ الصينيون على أسرار دودة الحرير من العالم الخارجي، لما يربو على ثلاثة آلاف عام، قبل أن تعرف هذا السر أي دولة أخرى.



sspc

زيلتش زوجة الإمبراطور هوانجدي

والحرير الطبيعي نوعان، حرير مزروع أو مستزرع، وحرير بري. ينتج الأول دود الحرير الذي يربى على ورق التوت، ويمكن غالباً استزراع الحرير بصورة تجارية. وتنتج معظم أنواع الحرير الفاخر من دود زاحف أو يساريع أو يرقات عثة تسمى دود القز. ودودة القز عثة كبيرة بيضاء ذات أجنحة مخططة بالسواد، ويبلغ قياس العثة من نهايتي الجناحين خمسة سنتيمترات، كما أن جسم العثة قصير وأرجلها ضخمة نسبياً.

أما الحرير البري، ويسمى حرير التوسة، فيستخرج من دود الحرير الذي يتغذى بأوراق البلوط، وتنمو هذه الديدان حتى تصل إلى أحجام كبيرة خصوصاً في الصين والهند. ويصعب تبييض حرير التوسة لأن لونه الطبيعي بني أو أصفر غامق، كما أنه أقل لمعاناً من الحرير الطبيعي، ويستخدم حرير التوسة نسيج حشو في المنسوجات، ويخلط غالباً مع ألياف أخرى.



Shutterstock



Shutterstock

مصانع نسيج الحرير في الصين

أسرار الحرير الصيني

صناعة الحرير هي كغيرها من الصناعات الصينية الأشبه بغزو يقض مضاجع الاقتصاد العالمي نتيجة تفضيلها على الصناعات المحلية وما يترتب عليه من عوامل اجتماعية. وتتوافر لدى صناعة الحرير الصيني شتى عوامل التقدم التقني في تطوير الأنوال الكهربائية، ما أدى إلى اختصار التكلفة والزيادة المتصاعدة في نسب واردات الحرير الصيني، وكذلك الوقت القياسي في تنفيذ أصعب المنسوجات الحريرية تعقيداً. كما للصين اليوم أيضاً نصيبها في تصدير الأنوال الكهربائية دون الاستغناء عن المهارات التقليدية المحلية لمراعاة تصدير منتجات حريرية تغطي شتى أنواع الطلبات.

ولا تزال واردات المنسوجات الحريرية الصينية في انتشار أكثر حتى وصلت نسبة الزيادة المسجلة إلى 23% بين عامي 2008 و2010، بالرغم من سياسات فرض الضرائب من قبل العديد من الحكومات. وحتى مع وجود هذه التحديات للحد من الصادرات الصينية لا يمكن الاستغناء عن استيراد ملايين الأطنان من خيوط الحرير الصينية لتدني أسعارها مقارنة بتكلفة التكرير في البلد المستورد.

وبفضل سياسات التجارة الليبرالية في الصين وثباتها الاقتصادي أصبح من المستحيل الاستغناء عنها، إذ يوفر الإنتاج الصيني من الحرير شتى طبقاته من الرخيص إلى الأثمن أنواعاً منه. ويشكل النساجون المسلمون من الصينيين النسبة الأعلى كونهم موجودين أصلاً في أماكن إنتاجه. ويتضمن العديد من أسماء العائلات الصينية ألقاباً ترتبط بمهن تكرير خيوط الحرير العديدة وحياكتها ونسجها. وفي اليابان أقامت الحكومة الصينية جمعيات يتم توجيهها من وزارة الصناعة لترويج الحرير الصيني وفي الوقت نفسه الحفاظ على مهن نسج الحرير يدوياً.

مدينة الحرير «الكويت»

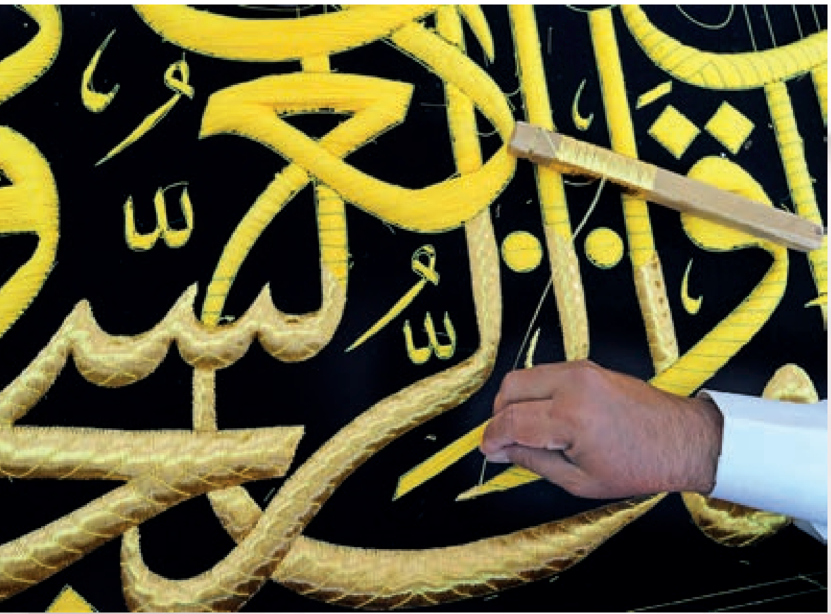
هو من أهم المشاريع العقارية وأضخمها في الوطن العربي، تم الإعلان عنه عام 2006م وبدأ العمل فيه مع نهاية 2009م. سوف يستغرق إنشاء المدينة بالكامل 25 سنة تقريباً. تقع «مدينة الحرير» الكويتية في مدينة الصبية في المنطقة الشمالية للكويت، وتمتد على مساحة 250 كيلومتراً مربعاً. وكان الهدف الرئيس وراء هذا المشروع هو إيجاد بنية تحتية تستوعب النمو السكاني لدولة الكويت مع إيجاد فرص عمل للشباب، إضافة إلى تشكيلها عاملاً جاذباً للاستثمارات المحلية والأجنبية.

تضم مدينة الحرير «برج مبارك الكبير» الذي سيصبح أعلى برج في العالم بارتفاع 1001 متر (250 طابقاً)، وسوف يُزوَّد بأحدث التقنيات المعمارية المقاومة للمناخ الصحراوي. تتألف المدينة من أربعة أجزاء رئيسة هي: المدينة المالية، المدينة الترفيهية، المدينة الثقافية والمدينة البيئية. ومن المخطط له أن تُصبح المدينة المركز المالي والتجاري والسياحي إقليمياً وسوف تبلغ تكلفة بنائها 25 مليار دينار كويتي (100 مليار دولار) تمتد على مراحل التنفيذ.

وتُعد مدينة الحرير أضخم مشروع واجهة بحرية في العالم، إذ يتزامن إنشاؤها مع مشروع إنشاء ميناء بوبيان الجديد المحاذي للحدود العراقية والإيرانية. وسوف يتم اعتماد أسس العمارة الخليجية التراثية في تصميم المدينة.



Shutterstock


AFP

..وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ..

يكفي الحرير شرفاً ومكانةً أن يميِّزه الله، سبحانه وتعالى، من بين سائر المنسوجات ويجعله من ثياب أهل الجنة، في قوله تبارك وتعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ «فاطر آية: 33»، وفي قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ «الحج آية: 23». ذكر أيضاً في القرآن الكريم من ثياب أهل الجنة السندس والإستبرق، وذهب الزجاج إلى أنهما نوعان من الحرير، ما يقصر ثياب الجنة، وفق رأي الزجاج، على الحرير حصراً. بيد أن لبس الرجل الحرير في الجنة، مشروط بألا يكون قد لبسه في الدنيا، كما أتت به السنة النبوية المطهرة، إذ صحَّ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وعن علي، كرَّم الله وجهه، قال: أخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي». وقال صلى الله عليه وسلم في حلة من الحرير: «إنما هذه لباس من لا خلاق له».

وتكتمل روعة، حرير الآخرة، لباس أهل الجنة، حين نسمع إجابة سؤال خطِر لرجل أعرابي جاء النبي، صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبِرْنَا عَنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّة، أَتُخْلَقُ خَلْقًا، أَوْ تُنْسَجُ نَسْجًا؟ فَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا؟» فَأَكَبَّ رَسُولُ اللَّه، صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، قَالُوا: هَا هُوَ ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لا، بَلْ تَشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ».

الحرير المكرَّم.. ثوب الكعبة

مكانة رفيعة احتلها نسيج الحرير، آسر الأذواق، باختياره كسوة للكعبة المشرفة التي تتجاوز تكلفتها عشرين مليون ريال، وتصنع من الحرير الطبيعي الخاص والخالص، داخل مصنع مخصص لها بمكة المكرمة. ويقام في موسم حج كل عام احتفال سنوي داخل مصنع كسوة الكعبة المشرفة، يتم فيه تسليمها إلى كبير سدنة بيت الله الحرام، ثم تسليمها إلى الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

تبدأ مراحل تصنيع الكسوة بالصباغة، حيث يزود قسم الصباغة بأفضل أنواع الحرير الطبيعي في العالم، ويتم تأمينه على هيئة كرات من خيوط الحرير، مغطاة بطبقة من الصمغ الطبيعي، تجعل لون الحرير يميل إلى الاصفرار، وتزن الكرة «الشلة» نحو مئة جرام، وتطول خيوطها نحو ثلاثة آلاف متر تقريباً، بارتفاع 76سم، وتتم صباغته على جزأين هما: إزالة الصمغ، وتتم في أحواض ساخنة تحتوي على صابون زيت الزيتون، وبعض المواد الكيميائية، ثم تغسل بالماء عدة مرات حتى تعود للون الأبيض الناصع، والثاني الصباغة، وتتم في أحواض ساخنة تمزج فيها الأصبغة المطلوبة، وهي الأسود بالنسبة للكسوة الخارجية للكعبة المشرفة، والأخضر لكسوتها الداخلية.

في مرحلة لاحقة يصنع النسيج، بتحويل الشِّلل الحريرية إلى أكوام تتم تسديتها على ماكينة السداء، بتجميع الخيوط الطولية للنسيج بعضها إلى جانب بعض على أسطوانة تعرف بمطواة السداء، ثم تمرر الأطراف الأولى بهذه الخيوط داخل أسلاك الأمشاط الخاصة بأنوال النسيج وتسمى مرحلة اللقي، أما الخيوط العرضية اللُّحمة للنسيج فتلف على بَكَر خاص تثبت داخل مكوك، يتحرك داخل الخيوط الطويلة ليكوّن المنسوج.

ثم تأتي مرحلة التصميم، وفيها يُعد المصمم دراسات للزخارف والخطوط في الفن الإسلامي، ثم توضع تصميمات مدروسة ترسم رسماً دقيقاً في المساحة المطلوبة ويتم تلوينها وتحبيرها، وتشمل التصميمات الزخارف والكتابات المطرزة على الحزام والستارة، وكذلك تصميم الزخارف النسجية المنفذة على أقمشة الجاكارد، للكسوة الخارجية أو الداخلية. وتبقى مرحلة الطباعة، وفي هذا القسم يتم أولاً تجهيز المنسج، وهو عبارة عن ضلعين متقابلين من الخشب المتين يُشد عليهما قماش خام للبطانة، ثم يثبت عليه قماش حرير أسود سادة غير منقوش، وهو الذي يطبع عليه حزام الكسوة، وستارة باب الكعبة المشرفة. جميع المطرزات والطباعة تتم بوساطة الشابلونات، أو السلك سكرين، أي الشاشة الحريرية، ثم ينقل التصميم المراد طباعته على بلاستيك شفاف بلون أسود معتم ليصبح فيلم نيجاتيف، ثم يصور هذا الفيلم وينقل على حرير الشابلون، ثم يطبع وينقل التصميم على القماش مئات المرات.

تصنع كسوة الكعبة المشرفة من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ





العمل على حزام كسوة الكعبة المشرفة
AFP

باللون الأسود المنقوش عليه بطريقة الجاكار عبارة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، و«الله جل جلاله»، و«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، و«يا حنان يا منان»، كما يوجد تحت الحزام على الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية، ويبلغ ارتفاع الثوب 14 متراً، ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض 95 سم، مكتوب عليه بعض الآيات القرآنية ومحاط بإطارين من الزخارف الإسلامية، ومطرز بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب، ويبلغ طول الحزام 47م، ويتكون من 16 قطعة.

تشتمل الكسوة على ستارة باب الكعبة المصنوعة من الحرير الطبيعي الخالص، ويبلغ ارتفاعها 7.5م، وبعرض أربعة أمتار، مكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية، ومطرزة تطريزاً بارزاً مغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب. تبطن الكسوة بقماش خام، كما توجد ست قطع آيات تحت الحزام، وقطعة الإهداء، وأحد عشر قنديلاً موضوعة بين أضلاع الكعبة. يبلغ طول ستارة باب الكعبة 7.5م بعرض أربعة أمتار، مشغولة بالآيات القرآنية من السلك الذهبي والفضي. وبالرغم من استخدام أسلوب الميكنة، إلا أن الإنتاج اليدوي ما زال يحظى بالإتقان والجمال الباهر، حيث يتفوق في الدقة والإتقان واللمسات الفنية المرهفة والخطوط الإسلامية الرائعة.

تحريم لبس الحرير للرجال

إن من التربية الإسلامية الفضيلة أن تبدو على طبيعة الرجل قوته وصلابته، وعلى المرأة أنوثتها ونعومتها. كما أمر الإسلام بأن تتم تربية الصبيان بعيداً عن مظاهر الترف، وذلك حتى يكون الرجل قادراً على الكفاح في معترك حياته اليومية وحتى ميادين الجهاد في سبيل الله إذا اقتضى الأمر. ولشكل الحرير وملمسه ونعومته ما يضفي الكثير من



خيوط الحرير على أنوال مصنع كسوة الكعبة المشرفة
AFP

الرقة، ولذا حرَّم الإسلام لبس الحرير على الرجال، كما حرَّم لبس الذهب للرجال للأسباب نفسها، ولكنه أباحهما للمرأة لما فطرت عليه من حب للزينة.

عن عبد الله بن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، يقول: إن نبي الله، صلى الله عليه وسلم، أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي». صحيح سنن أبي داود للألباني.

وعن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن عمر بن الخطاب رأى حلة سِيَرَاءَ من حرير فقال: يا رسول الله، لو ابتعت هذه الحلة للوفد وليوم الجمعة، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة». رواه البخاري.

وعن عمر وأنس وابن الزبير وأبي أمامة، رضي الله عنهم، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». متفق عليه.

الحرير.. هدايا الملوك

ما إن تقلب صفحات التاريخ وخصوصاً تلك التي جُبلت بزهو الملوك وافتخارهم حتى تجد الحرير قد احتل مكانته، فكان له نصيب بين أروقة القصور وحياة الحكام، فلطالما كان ذلك الساحر ينسج عبر نعومته نوايا طيبة تخاطب الود عبر إهدائه وتبادله لإبداء صفاء النية.

كانت الهدايا التي تُقدَّم إلى الملوك والأمراء تتجاوز مفهومها المادي وحتى قيمتها المعنوية لتكون جزءاً من تلك الأعراف الدبلوماسية، حيث تصب النوايا وتوطد العلاقات الشخصية منها والعامة. وكان الحرير منذ القدم أشبه بذلك الدرب الرقيق الذي امتد بين الشرق والغرب محاكياً حضارات نابضة بالسحر والغرائب حتى قيل إنه في الشرق القديم كان الأمراء وذوو اليسر تُخاط لهم ثياب حريرية خاصة تُزيَّن بالذهب لإظهار مكانتهم، وكانت تسمى بالبروكار، وتنسج في الشام القديمة منذ الألف الرابع قبل الميلاد. لقد نسجت تلك الثياب الفاخرة من الحرير والديباج النفيس وارتداها الملوك والسلاطين وأكثرهم شُهرة في ذلك الوقت. أما العرب قبل الإسلام فقد كانت الثياب الحريرية بالنسبة لهم مصدراً للفخر لا يلبسها إلا الملوك والأمراء والسادة من ذوي المكانة، حتى كان لثيابهم حصة من قصائد المديح، فقد ذكر شاعر المعلقات لبيد بن ربيعة في مدحه أحد ملوك الغساسنة ثيابه الحريرية حين قال:

تحسر الديباج عن أذرعهم
عند ذي تاج إذا قال فعل

فالحرير ملازم لحياة البلاط الملكي منذ القدم، وهذا ما جعله دوماً في مقدمة الهدايا التي تقدم لذوي المنصب والجاه، لأنه جزء من الحياة الملكية.

وما زال الحرير حتى اليوم على رأس قائمة الهدايا التي تقدم للرؤساء والملوك، فنجد الصين المنتجة الأولى لأجود أنواع الحرير قد اعتمدته عبر حقب التاريخ هديةً رمزية للهوية الصينية، فقد أهدى الرئيس الصيني هو جين تاو للرئيس الأمريكي باراك أوباما لوحة من الحرير المطرز لصورة عائلة الرئيس الأمريكي.

في حين كان نصيب الأمير وليام حفيد ملكة بريطانيا وعروسه كيت ملتون من هدايا الحرير قطعة من الحرير الصناعي قدمتها جماعة هندية مدافعة عن حقوق الحيوان. وذلك تعبيراً عن مدى القسوة التي تنطوي عليها صناعة الحرير الطبيعي في الهند.

الدامسكو في سوريا

تميَّزت دمشق منذ القدم بصناعة النسيج وبخاصة صناعة الحرير. ولقد تعددت الآراء حول تسمية دمشق، فمنهم من يقول سُميت دمشق



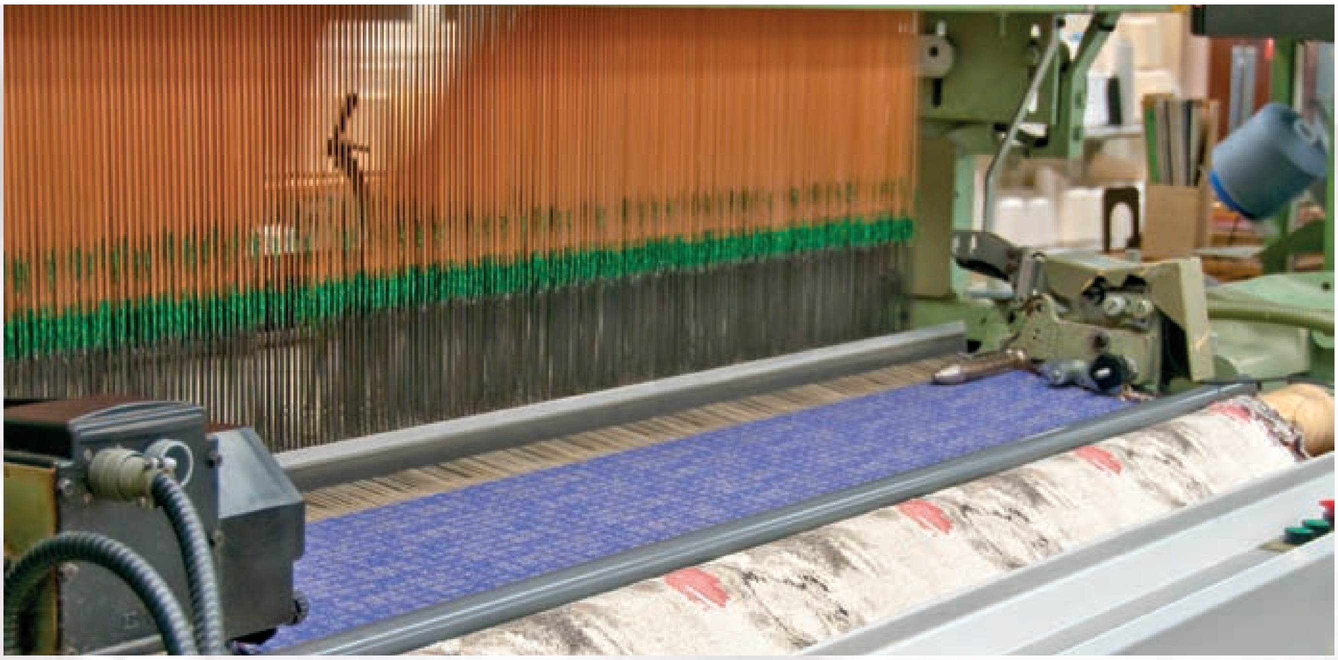
sspc

الملكة إليزابيث في يوم زفافها ترتدي الفستان الحريري المنسوج في دمشق

لأنهم دمشقوا في بنائها، أي عجّلوا. ومنهم من يعود إلى أصل كلمة «دامسكوس» المشتقة من كلمة «دامسكو» اللاتينية التي تعني الحرير الطبيعي، وهو ما تميَّزت به دمشق منذ قرون طويلة. أما شهرة الحرير السوري فقد بلغت المستوى العالمي منذ زمن بعيد، ما دعا الملكة البريطانية إليزابيث الثانية إلى اتخاذ الدماسكو المصنوع في دمشق كأساس لثوب زفافها في عام 1947م. ولقد نفذ قماش فستان زفاف الملكة في أحد معامل النسيج في دمشق، وهو من البروكار الدمشقي، وتزينه صورة عصفورين يقبلان بعضهما، ولقد انتشرت هذه النقشة بعد ذلك على أقمشة عديدة.

يعود تاريخ الحرير في سوريا إلى العصور الوسطى عندما كانت الشام آخر محطة تقع على طريق الحرير القادم من الصين إلى بلاد الرافدين وبادية الشام التي كانت مركزاً تجارياً متقدماً بين جميع الاتجاهات. لقد كانت القوافل الحريرية تستغرق في مسيرتها سنوات عديدة لتصل ببضائعها المتنوعة إلى الأسواق، كانت دمشق من المحطات الأكثر حيوية، ما جعل طريق الحرير العالمي عبر تدمر هو الطريق الأكثر سهولة وأمناً، ولا سيما تجارة الحرير التي تشابه التجارة بالذهب في زمننا الحالي. ومن ثمَّ انتشرت زراعة التوت واشتهر الحرير السوري لمنافسته الحرير الصيني جودة وإتقاناً، ومن ثمَّ تم إدخال صناعة الحرير إلى أوروبا عن طريق الخلافة الإسلامية في الأندلس.

في القرن الثامن عشر أصيبت تجارة الحرير بنكسة اقتصادية بعد فرض الحكومة العثمانية ضرائب باهظة على الصادرات من الحرير فكسد سوقها، حتى اقتصرت التجارة في الحرير على الأنوال فقط. وتوالت النكسات بعد زلزال عام 1822م وانتشار وباء الطاعون والكوليرا في عام 1832م، ما قضى على عدد كبير من الحرفيين في صناعة الحرير وحياكته، وتراجعت صناعته حتى بلغت الحد الأدنى لها بعد


Shutterstock

الأنوال الجديدة كانت ثورة في عالم صناعة الحرير

الحرب العالمية الأولى وارتفعت أسعاره. في زمننا الحالي ونتيجة لارتفاع أسعار اليد العاملة، تراجعت تربية دودة الحرير في معظم البلاد المنتجة له وتركزت في بلاد الشرق الأقصى، حيث ما زالت العمالة الرخيصة سائدة، كما كان لتراجع اللباس التقليدي المصنوع من الحرير الصافي الدور الكبير في تراجع الحاجة إلى نسيج الحرير، إضافة إلى دخول عصر الأنوال الآلية وهبوط قيمة حياكة الحرير.

الحرير الياباني

بعد احتفاظ الصينيين بسر صناعة الحرير لمدة ثلاثة آلاف سنة انتقل سرهم إلى اليابان في القرن الثالث قبل الميلاد من خلال هجرة صنّاع الحرير إليها نتيجة الكوارث الطبيعية التي ضربت الصين في تلك الفترة. واليابان هي في طليعة أكثر الدول تقدماً في صناعة نسيج الحرير، ولا تزال تصدِّر المنسوجات الحريرية عالية الجودة لصناعاته المختلفة من ملابس وأقمشة الستائر والأثاث، وذلك بالرغم من ازدهار بدائل الحرير الطبيعي من اليابان أيضاً مثل الرايون والبوليستر في الأسواق. كما تهتم الحكومة اليابانية بتجارة الحرير بشكل كبير وأقامت من أجله اتحاداً ولجنة هدفهما حماية تجارة الحرير الياباني من المنافسة وفي الوقت نفسه تحسين أحوال القرويين وتعزيز زراعة شجر التوت وتزكية إنتاجه في المناطق الريفية بهدف تنمية عدة مصادر اقتصادية تمتد من إنتاج الحرير.

في مطلع القرن العشرين قام المخترع الشهير ميشيو سوزوكي بتأسيس شركة سوزوكي للأنوال وتسبّب في حدوث ثورة صناعية في صناعة النول المتعدد الأذرع وسهل الاستخدام. وتوالت براءات اختراعاته لمدة أربعين سنة متتالية وضعت اليابان في الصدارة في تصنيع آلات النول المعقدة وتطويرها.

صناعة الحرير في الهند

تُعد صناعة نسيج الحرير في الهند على رأس الصناعات الهندية بواقع 28% من مجموع الصادرات بالرغم من شراسة المنافسة التصديرية مع الصين وضعف القدرة الشرائية محلياً، وتتركز صناعة الحرير في المدن الجنوبية كحيدر أباد بالرغم من وجود مصدر دودة القز في شمال الهند وتحديداً من جبال أسام. وعن طريق التجار الهنود الذين يسافرون عبر طريق الحرير انتقلت صناعة الحرير بشكلها النفيس إلى الدول العربية عن طريق رهبان وتمكنوا من نقل بيوض فراشة الحرير إلى بلاد الرافدين والشام.

وبما أن تجارة الحرير في زمننا الحالي تتطلب طريقة لثبات الأرباح العالية، تم الاتفاق غير المعلن على خفض التكاليف من خلال استغلال العمالة الرخيصة جداً، وهو ما سهل انتشار إنتاج الحرير من الهند. إلا أن هذا الاستغلال ما زال يثير حفيظة العديد من جمعيات حقوق الإنسان وحماية الأطفال ومنع عملهم نتيجة استغلال الفقراء والريفيين والأطفال في مصانع تتطلب العمل لمدة 12 ساعة على الأقل مقابل أجور زهيدة جداً. إلا أن هذا الحال ليس قصراً على إنتاج الحرير فقط، بل إنه منتشر في شتى الصناعات الصادرة من الهند، إلا أن عمليات تكرير خيوط الحرير الخام وتحويلها إلى نسيج تحتاج إلى العمل مع الديدان الميتة والتعرض لأبخرة معالجة كيميائياً في غرف رطبة ومن ثمَّ النسج على النول، ما يعرِّض الأطفال للحروق والالتهابات أكثر من غيرهم، عدا عن العنف المعنوي.



معجم الحرير

تعدَّدت الأسماء لنسيج تميَّز بالنعومة، ولا يتوافر إلا في أصقاع بعيدة من الأرض، ورغم ذلك خلب لب العربي منذ القدم، وتمنى أن يكون فراشه ولباسه من الحرير، فجاءه الوعد القرآني متوافقاً مع أحلامه وأمنياته.

الحرير قماش يتميَّز بالنعومة، يستخرج من دودة القز، وله أسماء عديدة منها:

الديـباج: ثوب من حرير، حيث سداه ولحمته من حرير أيضاً، ويمتاز بأنه غليظ ومنه يُصنع ثوب الكعبة، والديباج كلمة فارسية، ولها أصل عربي وهو دبج أي نقش وزين.

الإستبرق: وهو أغلظ من الديباج، ولقد ذُكر في القرآن كملمح للنعيم فهو ثياب أهل الجنة.

السندس: وهو نوع من الحرير، لكنه أرق الحرير، وذكر في القرآن، حيث ذكر أن السندس بطانة الاستبرق.

إبـريسم: وهو خيط الحرير الذي تصنعه دودة القز.

الدمقس: أو البروكار الدمشقي، وهو قماش حريري لامع يستخدم في نسيجه خيط من الذهب أو الفضة أو يستخدم الخيطان معاً.

بين الحرير الطبيعي والحرير الصناعي

يُستخدم الحرير في صناعة شتى أنواع الملابس والستائر والمفروشات المنزلية، ولقد اعتمد الناس على الألياف الطبيعية في صناعة الأنسجة لحياكة الملابس وغيرها حتى أواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً في عام 1885م عندما سجل الفرنسي هيلير شاردونيه براءة أول اختراع للألياف الصناعية وأطلق عليها اسم الحرير الصناعي. وفي عام 1924م تم تغيير اسمه رسمياً إلى «الرايون» ويصنع من الألياف السليلوزية للقطن أو لب الخشب.

الحرير الطبيعي هو أحد الألياف الطبيعية التي تشمل القطن والصوف، ويرتبط طول ليف الحرير بحجم شرنقة دودة القز، ولذلك هو غالٍ ويشبه الكنز المكنون. ومن العلامات التي تميز الحرير الطبيعي هي عدم انكماشه عند تعرضه للبلل، وزيادة لمعانه وبريقه مع مرور الزمن على حياكته. على العكس من الحرير الصناعي المصنوع من لب الخشب أو القطن والذي ينكمش عند تعرضه للبلل وينطفىء بريقه مع الغسيل، كما أنه سريع التلف.

ولتفادي الوقوع في فخ الفرق بين الحرير الطبيعي والرايون نقوم بخطوات حسية يسهل تطبيقها، وهي: أولاً باللمس، فالحرير الطبيعي يصدر صوتاً يشبه حفيف الأشجار، وأما الرايون فلا يصدر صوتًا. ثانيًا بحرق قطعة صغيرة جداً من زوائد القماش الداخلية، فإن شابهت رائحتها رائحة الشعر المحترق فهو حرير أصلي، أما إن صدرت رائحة كرائحة الورق المحترق فهو حرير صناعي.

واليوم يستخدم الحرير الطبيعي بخلطه مع باقي الخامات الطبيعية والأنسجة الصناعية للحصول على خواص مميزة للمنسوجات، تجعلها راقية وفي الوقت نفسه على قدر عالٍ من قوة التحمل.

Shutterstock



Shutterstock

دودة القز مصدر خيوط الحرير

من الربيع إلى الخريف خيط من حرير

في فصل الربيع يبدأ منتجو الحرير في العالم بتربية دودة القز، تماماً، كمهنة الرعي، حيث يطلق الرعاة أغنامهم إلى المراعي في فصل الربيع. لكن ما يميِّز دودة القز أنها لا تتغذى إلا على أوراق شجرة التوت، ففي الصين، مثلاً، تقوم أكبر الشركات المصنعة للحرير الموجودة في مقاطعة جيانسغو الصينية بزراعة أشجار التوت عالي الجودة على مساحة تصل إلى 3000 هكتار، وتطلق الدود بين أوراقها وأغصانها، ما يؤهلها أن تنتج سنوياً أكثر من 2000 طن من شرانق الحرير الذي يُنسج، أو يُصدر بعضه، كشرانق، إلى بعض الدول الأوروبية لحله وغزله.

عندما يعلن الخريف تباشيره على مزارع أشجار التوت تكون دودة القز قد كفت عن الرعي واستكانت في شرنقتها الحريرية، فيبدأ موسم الحصاد لدى منتجي الحرير، وذلك بجمع الشرانق التي ينسجون منها خيوط الحرير. يمر خيط الحرير الذي يصل طوله في الشرنقة الواحدة من 800 إلى 1400 متر بمراحل عدة، من أول



التفافه على الدودة، إلى جمعه كشرنقة، وغليّه في الماء، ومن ثمَّ حله على المغازل. يختلف خيط الحرير من واحد لآخر حسب طريقة حلّه والآلات المستخدمة في ذلك، فبعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وإيطاليا تنتج أكثر أنواع خيوط الحرير رقة، وذلك بفضل أنواع من مغازل الحلّ المتطورة لديها، بينما البلدان العربية، كسوريا ومصر، تنتج أنواعاً أكثر سماكة. إن خيط الحرير يقاس بوحدة الدينيير، وهناك ثلاثة عيارات منه، فالعيار الدقيق يكون بين 9 و15 دينييراً، والعيار المتوسط بين 18 و30 دينييراً، بينما العيار السميك أكثر من 30 دينييراً.

إذا كانت الصين تُعد من أكبر الدول إنتاجاً للحرير الخام، فإن اليابان هي الدولة التي بفضلها ازدهرت مصانع الحرير، حيث قامت بتصدير أفضل أنوال نسيج الحرير إلى الخارج، ومن ثمَّ ازدهرت صناعة الحرير في البلاد الأخرى مثل إيران، ومصر، وسوريا التي بلغت ذروة إنتاجها للحرير في الستينيات الميلادية، لكن هذه الصناعة بدأت تتراجع بعد أن تم تغيير شجرة التوت بشجرة الزيتون. أما في إيران التي تُعد من أهم الدول المنتجة للسجاد المغزول من الحرير، فتقوم بعض العائلات بتربية دود القز في منازلهم، كما يقومون بحلّه على مغازل تقليدية، فالسجاد الحريري لا يتطلب ذلك الخيط الرقيق الذي تستهدفه دور الأزياء الأوروبية لملابسها.

برامج حريرية!

هل الحرير مجرد خيوط تنسج لتكون أزياءً أو سجاداً أو أثاثاً؟ هل يتجاوز الحرير إلى أبعد من ذلك، إلى حدود التقنية مثلاً؟!

لاسم سيلك، كما هو في اللغة الإنجليزية أو الحرير، إغراء يحمله ما خلف الاسم من الجودة والنعومة، لذا كانت البرامج الحاسوبية تحمل اسم سيلك لتقييم الجودة.

برنامج سيلك لإدارة الجودة التقنية لتطبيقات الحاسوب، وهو برنامج معترف به تجارياً كعلامة مسجلة، اختار علامة الحرير كدلالة على الانسيابية التي تعني سهولة التطويع والاستخدام. يقوم برنامج سيلك بإدارة استراتيجية تهتم باستخدام الجودة العالية في كل تطبيقات أي برنامج يتم تدشينه للحاسوب وجميع العمليات المتعلقة به، كما يُستخدم في تطوير فاعلية البرنامج ومرونته وتقييم وضعه التنافسي مقارنة بالسوق. وبما أن عمليات التقييم التي يقوم بها برنامج سيلك هي إلكترونية، فإن نتائج تقييمه يتم استقبالها بشكل رحب أكثر من التقييم البشري، وذلك يشجع العاملين على تقديم الأفضل والعمل ضمن فريق واحد، وبذلك يتوافر جو عمل ذو قيمة مضافة لتحقيق أهداف المشروع.

يرتكز مفهوم برنامج سيلك على نظام إلكتروني يتضمن مجموعة من الأدوات الإحصائية والعمليات الإدارية الأوتوماتيكية المبنية على توجهات فكرية يمكن تحقيقها من خلال فلسفة إدارية واضحة وممارسات عملية تقوم بمقارنة أداء البرنامج الحالي ونسبة عيوبه التي يمكن تحسينها ليكون أكثر فاعلية وكفاءة لتحقيق أهدافه. ولا ينحصر برنامج سيلك في إطار الإدارة فقط، بل يتعداها إلى تقييم الجودة في انخفاض شكاوى المستهلكين والنجاح في تنمية المبيعات وخفض التكاليف.

يتألف برنامج سيلك من خمسة برامج ثانوية جميعها تصب في سياق وضع خطوط عريضة تدل وترشد المبرمجين لتحقيق التطوير المطلوب، وكذلك على التطبيقات الإضافية التي تحسّن استخدام البرامج وكذلك تبسيط جميع العمليات داخله لتحقيق السهولة في الاستخدام من قبل المستهلكين الحاليين والمرتقبين في المستقبل.

SilkCentral® Test Manager™ هو برنامج تقييمي شامل يعمل على تقييم خصائص البرامج التقليدية من خلال كشف الاختلال في الجودة وإبراز الخصائص الجيدة وتبيين الصفات المميّزة، ومن ثمَّ رسم خريطة افتراضية لجعل البرنامج ذا جودة أعلى أو أكثر بساطة أو أكثر تشعباً وعمقاً. كما يستخدم البرنامج في المرحلة ما قبل التدشين في الأسواق، ما يساعد على الحد من حالات الفشل بناءً على معطيات منطقية واضحة، ويتم استخدامه من قبل المبرمجين ومطوري البرامج ومديري الإنتاج.

SilkTest® برنامج تقييمي سريع يعمل على تقييم ملاءمة أي برنامج جديد للاستخدام الواسع، أي قدرته على تحقيق أهدافه من خلال خصائصه التقنية تحديداً، وملاءمته مع أهداف تصميمه، ويتميز برنامج «سيلك تست» بقدرته على تقييم «عامل العوائد من الاستثمار» وتحسينه. كما يساعد المهندسين والقائمين على تطوير أي برنامج على تحديد العيوب التقنية والتطبيقات الصعبة على المستهلك العادي ومن ثمَّ تقييم التعديلات وملاءمتها مع البرنامج ككل. ويتميز «سيلك تست» بخاصية الربط مع شبكة الإنترنت، ومن ثمَّ يتم تعديل البرنامج نفسه ليلائم أنظمة التشغيل المستخدمة في كل حاسوب ومن ثمَّ زيادة الإنتاج والفائدة المستدامة.

Silk4J™ and Silk4Net™ وهما برنامجان قائمان على التقييم من جهة الملاءمة مع تفضيلات المستهلك من حيث الجودة في الانسجام والمطابقة مع المتطلبات إلى أقصى درجة من الممكن أن يحققها البرنامج المنتج.

SilkPerformer® برنامج تقييمي أعمق من كل ما سبقه من حيث تحليل الكفاءة والفاعلية مهما بلغ ازدحام التطبيقات وكثرتها. ويُعد مبدأ «نجاح طويل الأمد من خلال تغطية جميع التفاصيل» هو مبدأ هذا البرنامج وما يفترض أن يحققه من إدارة جودة التطبيقات مهما بلغت دقتها وتشعبها وتحسين مستوى العمليات الإنتاجية والخدمية.

الحرير الصخري

يُشار إليه بالعربية بالحرير الصخري، أو الصخر الحريري، وهو من المعادن التي تتكون من سليكات المغنيزيوم في الدرجة الأولى. يُعرف عالمياً باسم الأسْبَستوس ويعرف أيضاً بالإيترينيت. شاع استخدام الحرير الصخري مع نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي في عزل المباني والمنشآت الحرارية وفي صناعة الملابس المقاومة للحرارة واللهب. كما لقي رواجاً كبيراً كعازل حراري يستخدم للأنابيب الناقلة للسوائل عالية الحرارة. ليس من المستغرب استخدامه في صناعة سيارات الإطفاء وكوابح السيارات وكذلك كمادة عازلة للأسلاك واللوحات الكهربائية.

في عام 1986م أصدرت منظمة العمل الدولية الاتفاقية رقم 162 في دورتها رقم 92 التي تعرف باسم «الحرير الصخري»، وتضمنت حظر استخدام هذا المعدن بجميع أشكاله والاستعاضة عنه بمواد ومنتجات أخرى أقل ضرراً. وفي عام 1993م صدر قانون في ألمانيا يقضي بحظر استخدام الأسبستوس كمادة بناء في ألمانيا، وفي عام 2005م صدر قانون بحظره في شتى دول الاتحاد الأوروبي.

يكمن خطر الحرير الصخري في استنشاق غباره من قبل المتعاملين به أو القاطنين في مبانٍ استُخدم فيها. ومن أخطر مضاعفاته الإصابة بسرطان الأغشية الرئوية، وقد فتكت هذه الأنواع من السرطان بعشرات العمال الذين عملوا في ورش بناء استُخدم فيها الحرير الصخري.



sspc

لوحة رسمت على الحرير تحمل أسماء الطيور وهي من التراث الفني الصيني

ملح وسكر.. رسم على الحرير

يعد الرسم على الحرير من الفنون التي تتطلب دقة ولمسة عالية الإتقان، نظراً لطبيعة قماش الحرير الرقيق والحساس وعالي التكلفة. يستخدم الرسم على الحرير في مجالات متعددة: ففي الأزياء يستخدم في الفساتين النسائية والأوشحة وربطات العنق والمناديل الصغيرة والقمصان. أما في مجال الإكسسوارات المنزلية ويستخدم في لوحات الحائط والوسائد الوثيرة وغيرها.

للرسم على الحرير ست تقنيات معروفة ومنتشرة وهي: الرسم على الحرير بالملح أو السكر، والرسم على الحرير بتقنية تحديد المساحات، والرسم على الحرير من دون تحديد المساحات، وتقنية الرسم العشوائي، والرسم على الحرير باستخدام الشمع، وتقنية الرسم باستخدام المواد الكيماوية.

كما يختلف الرسم على الحرير عن الرسم على الأقمشة المختلفة بمجموعة من الأدوات الخاصة، فلقماش الحرير أطر خشبية أشبه بالنول الذي يتم شده، تكبيره وتصغيره. كما توجد ألوان خاصة لهذا النوع من الرسم الرفيع الذي يتميز بكثافته. ويتم تثبيت الرسومات بمواد مثبتة خاصة أو بطريقة الكي بالبخار التقليدية.



sspc

لوحة السلاحف الخضراء للفنانة هيلين غولدبرغ

الحرير في قصائد الشعراء

الدمقس والديباج والاستبرق والسندس أسماء عديدة للحرير، تختلف باختلاف أنواع الحرير بين الرقيق والسميك. فالسندس هو أرق الحرير، ولقد ذُكر في القرآن لباساً لأهل الجنة. أما الدمقس فهو الحرير اللامع الذي يسر الناظر إليه، ولقد شبَّه امرؤ القيس شحم بعيره الذي نحره للعذارى يوم دارة جلجل بالدمقس، يقول:

فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل

إن الحرير في عين الشاعر الجاهلي الذي تعود خشونة العيش في طلاقة الصحراء ترف ما بعده ترف، لذا كان الحرير بأسمائه العديدة في قصائدهم شاهداً على المجون والترف والحياة الملكية. فعندما نفتش عن مفردة الحرير في أبياتهم الشعرية نجدها تصاحب المرأة، الحبيبة، والمعشوقة.

عندما أُهدر دم الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري جزاء تغزله ببنت النعمان بن المنذر كان الحرير والدمقس شاهدين على مجونه، يقول:

ولقد دخلت على الفتاة　　الخدر في اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل　　في الدمقس وفي الحرير

وإن كان الدمقس تردد في قصائد الجاهليين، فإن الديباج، وهو الحرير الأكثر ثقلاً، تردد في الشعر الجاهلي وحتى العباسي، يقول امرؤ القيس في إحدى القصائد المنسوبة إليه:

تعلق قلبي بطفلة عربية
تنعم بالديباج والحلي والحلل

وإن كانت فتاة امرئ القيس تنعم بالديباج، فإن المتنبي في قصيدته الشهيرة في مدح سيف الدولة الحمداني «فديناك من ربع وإن زدتنا كربا» يقول:

فبوركت من غيث كأن جلودنا
به تنبت الديباج والوشي والعصبا

فلقد شبَّه جزيل عطاء سيف الدولة بالغيث الذي يكسوهم ترفاً وديباجاً. لقد تغيَّر أسلوب الحياة في العصر الجاهلي إلى العباسي. ففي الجاهلي كان الترف الحريري الذي تنعم به النساء مسوغاً للتغزل، بينما في العصر العباسي غاية الفرد الوصول لهذا الترف.

وإن كان الإستبرق بطائن ملابس أهل الجنة وهو أغلظ من الديباج، فإن الشعراء وظفوه في مدائحهم، فهاهو أبو تمام يمدح الحسن بن وهب فيقول:

صافي الأديم كأنما ألبسته
من سندس بُرداً ومن إستبرق

لقد تردد الديباج والإستبرق والحرير والسندس في قصائد الشعراء العرب القدماء مادحين ومتغزلين بهذا النسيج الذي يمثل ترف الدنيا ونعيم الجنة.

أما في الشعر الحديث فيطول ذكر الحرير، ولعل محمود درويش هو من أسبغ على الحب ترف الحرير حتى لو كان حافياً في الطرقات، يقول في قصيدة سماء منخفضة:

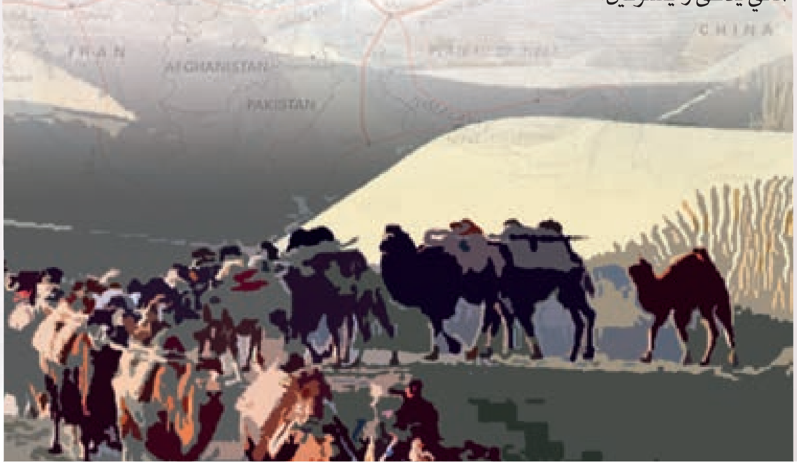
هنالك حب يسير على قدميه الحريريتين
سعيداً بغربته في الشوارع،
حب صغير فقير يبلله مطر عابر
فيفيض على العابرين

طريق الحرير في الصين

للحرير والصين تاريخ يعود إلى 3000 سنة قبل الميلاد، أتقن خلالها الصينيون شتى طرق استخدامه وتطريزه وأخيراً صناعته، وأدركوا قيمته إلى حد أنهم كانوا يشترونه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة. لذا لم يكن من المستغرب أن تكون الصين هي المصدر الرئيس لمزارع دود القز وقماش الحرير لفترة زمنية تمتد إلى قرون. وما لبث أن ازدهرت تجارة الحرير وكثرت حركة القوافل المتجهة من الشرق إلى الغرب، لتمر في طريقها بمسارات ما لبثت أن ازدهرت مع طفرة الحرير وحملت اسمه ويصبح من أقدم الطرق التجارية شهرة في العالم القديم.

وطريق الحرير هو من ضمن المسارات التجارية التي تربط الصين بأواسط آسيا وشمال أفريقيا وأوروبا، حيث اشتهرت معظم المسارات التي تسلكها القوافل التجارية من الصين وإليها بطريق الحرير. لذا فإن طريق الحرير هو كنية لشبكة من الطرق الفرعية التي تصب في طريقين كبيرين، أحدهما شمالي (كانت تسلكه القوافل خلال الصيف) والآخر جنوبي (كانوا يسلكونه خلال الشتاء وتراكم الثلوج في الشمال).

كان لطريق الحرير بُعد ثقافي واجتماعي تتعدى مهمته الحاجة اللوجستية، إذ إنه تجاوز المنفعة الاقتصادية إلى آفاق إنسانية أعمق، فانتقلت عبره الأديان دخولاً وخروجاً، وصناعة الورق، والعديد من الأنماط والنظم الاجتماعية. ولم تندثر أهمية طريق الحرير كلياً إلا بعد افتتاح قناة السويس مع نهاية عام 1869م، ففي حينها اتصل المسار التجاري البحري الآتي من آسيا إلى أوروبا من دون الحاجة إلى طريق بري. حصل طريق الحرير على اسمه عام 1877 من قبل عالم جغرافي ألماني يدعى رايشتوفين.



Shutterstock


Shutterstock

السجاد الإيراني

بساط من الريح والحرير

عندما يُذكر الحرير يُذكر السجاد الإيراني كأروع التحف المنسوجة من الحرير، إذ تتداخل الخيوط الحريرية فيه بدقة متناهية وعقد عديدة في السنتمتر الواحد لتخرج لنا لوحة منفردة البهاء. إن للسجاد الإيراني الذي يمتاز بأنه أرقى أنواع السجاد وأعلاها سعراً، حكاية تُروى حول تراث أجيال تعاقبت لمئات الأعوام على إبقاء هذه الصناعة في الصدارة. لقد عُثر في إيران على أول سجادة حيكت يدوياً في العالم في إحدى مقابر العصر الأخميني التي تعود إلى 400 عام قبل الميلاد. يطلق على هذه القطعة اسم «بازيريك»، ويعتقد أنها كانت تستخدم كسرج للخيل. تطورت صناعة السجاد الإيراني واشتهرت عبر العصور. في عصر ما قبل الإسلام، ذاع صيت سجاد بهارستان المطعَّم بخيوط الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وفي العصر الإسلامي وضعت الزخارف الإسلامية بصمتها عليه. أما في عصرنا الحاضر فقد تمازجت عراقة الماضي بأصالة الحاضر، ولم تبق دولة إلا وأغراها الحصول على هذا السجاد الفاخر.

للسجاد الإيراني عشاقه وهواة متابعة مستجدات تصنيعه، ولذلك نجده يحتل موقعاً دائماً في معارض الفنون والتراث. نرى هذا الفن يجوب العالم وينتقل من متحف فيكتوريا وألبرت في لندن، إلى المتحف الإسلامي في إسطنبول والقاهرة، وصولاً إلى سوق واقف في قطر.وأفتتح، مؤخراً، مزاد علني في بريطانيا لبيع سجادة إيرانية تعود ملكيتها لأول قاض إيراني لشؤون المواصلات قبل 350 عاماً. يختص السجاد الإيرانيّ بميزة الحفاظ على لونه، فجميع الألوان مستخلصة من مصادر طبيعية، كورق النبات، وبتلات الأزهار، وقشور الفواكه، والتربة الحمراء، وبعض المصادر الحيوانية. أما الحرير المستخدم فيُعد من أجود أنواع الحرير في العالم ويجلب من منطقة مجاورة لبحر قزوين معروفة بكثرة يرقات العث. إن موقع إيران الجغرافي وتوافر الموارد الطبيعية بها ساعداها على الاستمرار في الاعتماد المحلي في هذه الصناعة.

تتميز بعض القطع بنوع المجوهرات الداخلة في صنعها كالياقوت والزمرد. ويختم السجاد عادة بعلامة تحمل اسم العائلة المصنعة له. وأبرز المدن المصنعة هي: تبريز، أصفهان، نائين، كاشان، كرمان، أراك وقم.

فتيات الجيشا..
بين الحرير والتاريخ

ترجم الحرير بسحره عوالم الجمال والرفاهية، واختصر بنعومته دلالات الرقي، وبقي خياراً مثالياً للوصف عبر نوافذ أسطورية مخملية، وفكرة اقتنائه داعبت دوماً مخيلة النساء حتى احتل موقعاً أثيراً في نفوسهن. وكسائر النساء كانت المرأة اليابانية غير بعيدة عنه، فقد عُرف عنها توقها إلى ذلك المنسوج الرقيق في زيها التقليدي المسمى بالكيمونو، حيث عُدَّ الحرير النسيج الأمثل له.

إلا أن ذلك الحرير كان ذا خصوصية مع كيمونو فتيات الجيشا اليابانيات الباحثات عن الشهرة والجمال في عالم الفن الياباني القديم، فيبدو كيمونو الجيشا منساباً بحريره، ورهافة طياته، وزخم ألوانه، على أجساد الجيشاوات المتواريات بخفة خلف تبرجهن الصاخب. وعُدَّ ذلك الثوب ثروة بمفهومها المادي والرمزي، فقد يصل ثمنه، أحيانًا، إلى أكثر من عشرة الآف دولار، كما يورث الكيمونو بين أجيال فتيات الجيشا لقيمته الفنية والجمالية العالية.

يُخاط الكيمونو المصنوع من الحرير بالعديد من الطبقات لتصل، أحيانًا، إلى اثنتي عشرة طبقة، تشكل معاً توليفة من التناسق التصميمي، كما كانت تسدل أكمامه وأذياله طويلاً لتبدو الفتيات كفراشات وهن يؤدين رقصاتهن الترفيهية، لتظهر الفتاة بهذا الثوب سحرها وفنها المجبول بملامح أنثوية تحاكي ثقافة فنية فريدة. وللكيمونو أنماط عديدة يحدِّدها، أحيانًا، الموسم، فتزين تلك الأثواب الحريرية بأزهار الربيع وفراشاته، ونوارس الصيف، وأشجار الصنوبر والقيقب، التي توحي بمراسيم الخريف والشتاء.

أما تاريخ تصميم هذا الثوب التقليدي فيعود إلى تأثره بملابس هانفو الصينية التقليدية التي انتقلت إلى اليابان عبر الأسفار بين البلدين، والتي كانت واحدة من أكثر التأثيرات للثقافة الصينية في اليابان في القرن الخامس للميلاد. ومن المعروف أن الفضل في الاكتشاف الأول للحرير يعود للصين في عام 2700 ق.م، على يد الإمبراطور الصيني أنجدي، حيث بقي سر صناعة الحرير في الصين ثلاث مئة عام منذ اكتشافه، حتى خبأت إحدى أميرات اليابان بيوض دودة القز في شعرها وسربته إلى بلدها، حينها بدأت صناعة الحرير تنتشر في اليابان وبخاصة في المناطق شديدة البرودة، حتى غدت ثاني بلد على مستوى العالم في إنتاج ذلك النسيج الساحرالذي كان أساس صناعة الكيمونو. وعبر مراحل زمنية وحقب تاريخية عديدة تطورت ملامح الكيمونو الحريري الياباني، إلا أنه وبعد أن ضرب زلزال كانتو اليابان عام 1923 أدى حجم الدمارالذي خلفه إلى انتشار الفقر، وأصبح من يلبس الكيمونو الحريري عرضة للسرقة والهجوم من اللصوص، فأصدرت قوانين تمنع ارتداء الكيمونو بين موظفي الدوائر والمؤسسات العامة، ومنذ ذلك الوقت انحصر ارتداء ذلك الزي الحريري، لكن بالرغم من اعتماد الملابس الغربية الحديثة عند نساء اليابان حالياً إلا أن الكيمونو المصنع من الحرير ما زال، حتى الآن، ذا مكانة اجتماعية وثقافية في اليابان.



Shutterstock



Shutterstock



Shutterstock

Silk فلم

كم هو مؤلم الحرير!

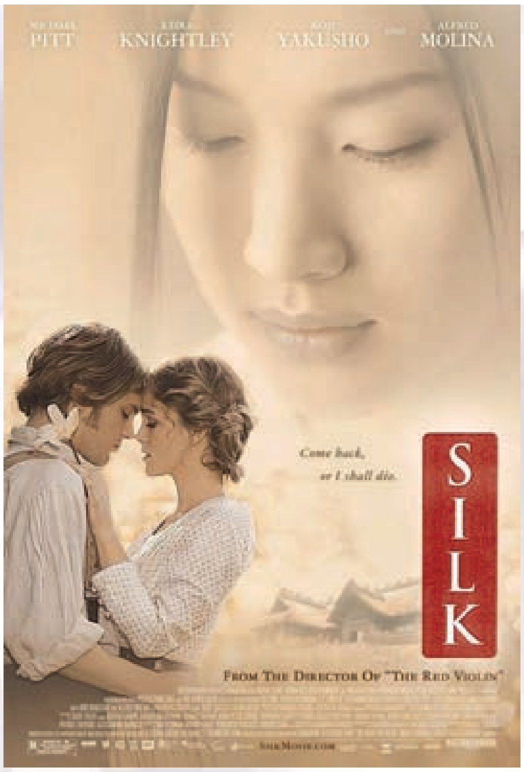
بإيقاع هادئ من الريف الفرنسي ونفحات بساتين ورد الليلي الناعمة، تدور أحداث فلم «الحرير» التي استقت أحداثها من رواية كتبها الإيطالي أليساندرو باريكو الصادرة عام 1996م.

تدور أحداث الفلم والرواية «حرير» في منتصف القرن التاسع عشر، إذ تحكي قصة الشاب هيرفي جونكور الذي ترعرع في حضن عائلة تحلم بأن ترى ابنها ضابطاً في الجيش الفرنسي. يكبر الشاب ويرتبط بهيلين التي أحبها، وتكبر أحلامه بعيداً عن الجيش وخدمته. حيث يصبح جمع بيض دودة القز المنتجة للحرير والمتاجرة به شغفه الأول، لكن لسوء الحظ ينتشر داء البيبرين في المزارع ويقضي على البيض، وهكذا يأخذ شغف الحرير بجونكور بعيداً عن زوجته ووطنه.

يعبر الشاب البحار والجبال والوديان ليصل إلى اليابان التي يندر أن تخطئها قدم أوروبي في ذلك الوقت. ما جعل هيرفي يقضي أشهراً طويلة قبل أن يعود بعد أيام قلائل إلى فرنسا حاملاً صناديق من البيض المجمد. تدفع به هجرته شبه الدائمة إلى اليابان للتعرف على الفتاة هاراكي اليابانية ويهاجر بقلبه إليها. تعلم زوجته هيلين بالأمر، لكنها تبقيه طي الكتمان، وينتهي بها ألم غدر زوجها إلى ملازمة الفراش من دون أن يعلم أحد ما ألمّ بها. يعود جونكور إلى فرنسا ليطبب زوجته، وفي تلك الأثناء، تصله رسالة باليابانية تنبض حباً وشوقاً من دون توقيع مرسلها. يأخذه الحنين الذي يلف الكلمات إلى حزم حقائبه للعودة لحبيبته اليابانية، لكن وفاة زوجته قطعت خطة سيره.

يفاجأ بعد حين أن الرسالة التي أخذت بلب عقله لم تكن سوى رسالة من زوجته المكلومة تُعبِّر فيها عن حزنها، وتتمنى له حياة أفضل في هجرته جسده وقلبه إلى عالم الحرير الوهمي. لم يدم حب جونكور للفتاة اليابانية ولم تلبث بيوض القز أن تلفت جميعها.

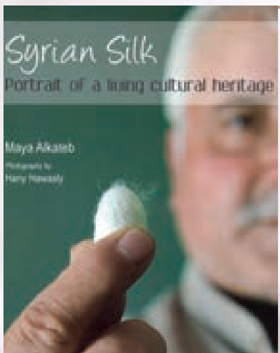
تقوم بدور هيلين ممثلة هوليوود المتألقة كيرا نايتلي Keira Knightley، ويقوم بدور جونكور الممثل الأمريكي مايكل بت Michael Pitt. الفلم من إخراج الفرنسي فرانسيس جيراد François Girard.



مسلسل حراير

مسلسل تلفزيوني كويتي تم عرضه في شهر رمضان 2007م. كتبت المسلسل للتلفاز الدكتورة فوزية الدريع مقدمة برنامج سيرة الحب الشهير والخاص بحل المشاكل العاطفية و الاجتماعية. تناول المسلسل قضايا المجتمع البرجوازي ورحلة البحث الدائم عن السعادة الحقيقية وما يرافقها من مغريات الطمع والجشع، كما قام المسلسل بإلقاء الضوء على الأمراض النفسية وسن اليأس وغيرها من المشاكل النفسية والاجتماعية المتعددة التي يتم إنكارها في مجتمعاتنا، إضافة إلى متاهات الانحلال الأخلاقي بين الأسر الثرية والطبقة الاجتماعية التي تتمتع بالمال والسلطة والنفوذ. وحظي المسلسل بنسبة متابعة لافتة من قبل المشاهد الخليجي، كما ساهم في إحداث نقلة نوعية في تطوير الدراما الكويتية نحو طرح المواضيع بشفافية عالية. وشارك فيه عدد من نجوم الدراما الكويتية ومن بينهم الفنانان الكبيران محمد المنيع ولطيفة المجرن.

كتاب لإنقاذ الحرير



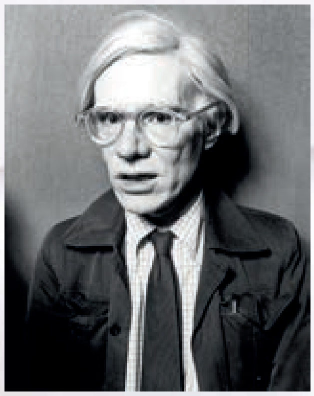
أطلقت الباحثة مايا الكاتب نداءً تستنجد فيه من ينقذ الحرير السوري من خلال كتابها الجديد: «الحرير السوري صورة لإرث ثقافي حي». من خلال ستة فصول مصحوبة بصور جذابة، تستعرض الكاتبة تاريخ الحرير وأسباب تراجع صناعته، وتقترح حلولاً للحكومات والتجار، مرفقة حديثها بإحصائيات دقيقة لم يسبق أن جمعت. الحرير في نظر مايا هو موروث تاريخي وحضاري على سوريا أن تحافظ عليه، إضافة إلى أن سوريا هي الدولة الوحيدة التي لا تزال تملك شرانق دود الحرير، علاوة على توافر المناخ الملائم له. إن تعزيز هذه الصناعة يحدّ من نسبة البطالة، حيث يوفر عملاً لسكان الريف، وينقل الأفراد من عقلية المستهلك إلى المنتج. الحرير هو واجهة جمالية وثقافية يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في استقطاب التجار والسياح إلى سوريا.



AFP

AFP





ssps

آندي وارهول

لوحة من الدولارات بطلها الحرير

ربما لن تصدِّق أن لوحة حريرية نُفذت في عام 1962م قد بيعت عام 2009م في مزاد سوذبي بمبلغ ضخم وصل إلى 43 مليون دولار، بينما اللوحة عبارة عن 200 دولار فقط، ومستنسخة من فئة الدولار الواحد.

تبدو المفارقة غريبة بعض الشيء، إذ كيف 200 دولار مستنسخة تباع بمبلغ 43 مليون دولار؟!
إن لوحة «ورقة فئة 200 دولار» للفنان الأمريكي آندي وارهول تُعد من اللوحات المعاصرة، ولقد راهن الخبراء على أن هذه اللوحة لن تصل إلى نصف هذا المبلغ الذي وصلت إليه، لكن يبدو أن الأسلوب الذي نُفذت به هذه اللوحة كان سبباً في جعلها تصل إلى هذا الرقم الفلكي، حيث نفذت بأسلوب الطباعة بالحرير «السيلك سكرين»، وهو أسلوب بديل عن الطباعة بالإستنسل، حيث يضمن الدقة التامة في العمل، ولقد كان عمل وارهول في المئتي دولار إبداعاً طباعياً، وذلك من خلال الشاشة الحريرية، حيث كان عمله في ذروة الإتقان بالنسبة لأوائل الستينيات الميلادية.





القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
سبتمبر - أكتوبر 2011
المجلد 60 العدد 5

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com

